NURUOS
48
539

RUOSMA
625
810

٨٠١٥

رشحة النصيح من الحديث الصحيح اغانك

٢٨٢

هذا الكتاب رشحة النصيح من الحديث الصحيح
من تأليفات المرحوم المغفور
شيخ الاسلام الشهير
بدباغ زاده
رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الكتاب والسنة متطابقان ١	الناس في التعيش على ثلثة اقسام ٢	في بيان ماخذ هذا الكتاب المسمى برشحة النصيح ٣
المقصد الاول في النصيحة لله وفيه خمسة ابواب ومقدمة ٤	في بيان الدين والملة وتحقيقهما ٥	الباب الاول في بيان ان الايمان والاسلام واحد ٦
قالت المعتزلة لفظ الايمان والكفر وغيرهما الفاظ شرعية لا لغوية ٧	حاصل شعب الايمان رجع الى اصل واحد ٨	الباب الثاني في بيان نفي الشرك عنه ٩
في بيان اندراج عقايد الايمان تحت كلمة التوحيد ١٠	في بيان بطلان المذاهب في تاثير الطبايع والانجم ١١	فصل في بيان معنى محمد رسول الله ١٢
ذكر كلمة التوحيد شرط لصحة ايمان الكافر ١٣	الباب الثالث في القيام بطاعته وفيه فصلان الاول في الطهارة ١٤	للطهارة اربع مراتب ١٥
في بيان اختلاف المذاهب الاربعة في امر الطهارة والنجاسة ١٦	طهارة الظاهر ثلثة اقسام ١٧	الفصل الثاني في الصلوة وبيان اسرارها ١٨
في بيان اسرار الصلوة من التفسير الكبير والاحياء ١٩	لا يتيسر الاقوام على الطاعات الا بعد الفرار من الشيطان ٢٠	في بيان معنى الله اكبر والفاتحة الشريفة ٢١
في بيان آداب الصلوة من التاتارخانية ٢٢	الباب الرابع في الاعتراف بنعمة الله وشكره ٢٣	ان الدراهم والدنانير مما يقصد لغيره ٢٤
في بيان مدح المال والجاه وذمهما فصل ٢٥	الاطعمة اما ادوية او فواكه واما اغذية ٢٦	المنهي عنه في النجوم امران ٢٧
علم النجوم في نفسه حسن غير مذموم ٢٨	الباب الخامس في الاخلاص في جميع الامور ٢٩	في بيان منشا الخواطر وتمييز خيرها وشرها ٣٠

في بيان الفرق بين الرياء والاخلاص ٣١	اظهار الطاعة قد يكون افضل من الاخفاء ٣٢	في بيان غلبة الخوف على الرجاء ٣٣
المقصد الثاني في النصيحة لكتابه وفيه خمسة ابواب وفي الاول فصلان ٣٤	في ذم تلاوة الغافلين ٣٥	اتفق اهل السنة والجماعة على انه القرآن منزل واختلف في معنى الانزال ٣٦
الفصل الثاني في تنزيه القرآن ٣٧	الباب الثاني في تعظيم القرآن وفيه فصلان ٣٨	الآداب الظاهرة في التلاوة عشرة ٣٩
في بيان دفع المعارضة بما نقل عن السلف من التشديد في العبادة ٤٠	الفصل الثاني في تفهم علومه ٤١	في بيان الغرض ذكر طرف طريق التفهم ٤٢
الباب الثالث في المحكم والمتشابه ٤٣	قال الطيبي المراد بالمحكم ما اتضح معناه ٤٤	الباب الرابع في البحث عن الناسخ والمنسوخ ٤٥
في جواز نسخ الكتاب بالسنة ٤٦	في بيان اقسام النسخ ٤٧	الباب الخامس في البحث عن عمومه وخصوصه ٤٨
في بيان مخاطبات القرآن ٤٩	في القرآن اشارات الى مجامع العلوم ٥٠	المقصد الثالث في النصيحة لرسوله وهو خمسة ابواب ٥١
في بيان قول القاضي ابو الفضل ٥٢	الباب الثاني في وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم ٥٣	في بيان ان طاعته صلى الله عليه نصرته باتباع سنته ٥٤
في بيان ان كل محدث بدعة ٥٥	البدعة القبيحة ما تضمن مخالفة الرسول او اضاعة مثله من سنة ٥٦	الباب الثالث في اعظام حقه صلى الله عليه وسلم ٥٧
تعظيمه بعد موته صلى الله عليه وسلم لازم كما كان حال حياته ٥٨	الباب الرابع في محبته صلى الله عليه وسلم ٥٩	لظهور صدق محبته صلى الله عليه وسلم علامات ٦٠

في بيان الاختلاف في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم ٦١	الباب الخامس في محبة اهل بيته صلى الله عليه وسلم ٦٢	حسن الثناء عليهم يرجع الى توقير النبي صلى الله عليه وسلم ٦٣
المقصد الرابع في النصيحة للائمة وهو على مسلكين الاول على مقدمة وثمانية ابواب ٦٤	مثال السلطان مثال الرياح التي يرسلها الله نشرا بين يدي رحمته ٦٥	الامامة عصمة للعباد وحيوة للبلاد ٦٦
اذا هم الوالي بالعدل والخير وعمل به ادخل الله البركة في اهل مملكته ٦٧	بالسلطان العادل صلاح الدارين ٦٨	الباب الاول في معاونتهم على الحق وفيه فصلان ٦٩
القضاة ثلثة اثنان في النار وواحد في الجنة ٧٠	في بيان طلب الامارة وسؤال سليمان النبي ويوسف عليهما السلام ٧١	واشرف منازل الآدميين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة ٧٢
فالسلطان كالدار والوزير بابها الفصل الثاني ٧٣	الوزير مشير السلطان والسلطان مستشيره ٧٤	ملاك السلطان ثلثة الشدة على المذنب والمجازاة للمحسن وصدق القول ٧٥
الباب الثاني في طاعتهم في الحق ٧٦	فصل في بيان سيرة السلطان في بيت المال ٧٧	لما استخلف ابو بكر رضي الله عنه فرضوا بالمعروف من بيت المال ٧٨
في بيان جواز اخذ الغني والفقير من بيت المال ٧٩	حكاية عمر رضي الله عنه مع الاصحاب الكرام ٨٠	الباب الثالث في تذكيرهم برفق وفيه فصلان ٨١
لا تقدم شيئا الا بعد المشورة فانها نعم الدليل ٨٢	في بيان التوكل ٨٣	الفصل الثاني في حكم مشورة ٨٤
من تدبير السلطان استماع الحكم وقبولها ٨٥	اصلاح الرعية انفع من كثرة الجند ٨٦	الباب الرابع في ترك الخروج عليهم ٨٧
فصل في بيان الخصلة التي تصلح الرعية ٨٨	محال استصلاح رعيتك وانت مع المفسدين ٨٩	فصل في بيان سيرة السلطان مع الجند ٩٠

الباب الخامس في منعهم عن الظلم بالتي هي احسن ٩١	حكاية الامام الاعظم في دفع الظلم ٩٢	في ذم استماع قول النمام والساعي ٩٣
الباب السادس في الصلوة خلفهم والاقتداء بهم ٩٤	يجب ان يوجد في السلطان عدة صفات ٩٥	عدل ساعة خير من عبادة سنة ٩٦
الباب السابع في الجهاد معهم ٩٧	في بيان من يجوز قتله من المشركين ومن لا يجوز ٩٨	في عدم جواز استعمال اليهود والنصارى ٩٩
في بيان ان لكل طائفة نوعا من التدبير ١٠٠	في بيان علة التثبت والصبر ١٠١	الباب الثامن في اداء الصدقات اليهم ١٠٢
في بيان احوال العمال ١٠٣	جميع ما في بيت المال اربعة اقسام ١٠٤	في بيان سيرة السلطان في استيفاء الخراج ١٠٥
المسلك الثاني هو التذييل بعلماء الدين على بابين الاول على فصول ١٠٦	السياسة في استصلاح الخلق على اربع طبقات ١٠٧	في بيان مراتب العلماء وتفسير انما يخشى الله من عباده العلماء ١٠٨
الفصل الثاني في بيان انه من العلم فرض عين وما هو فرض كفاية ١٠٩	اختلف العلماء في اي علم طلبه فرض ١١٠	الفلسفة ليست علما برأسها وهي اربعة اجزاء ١١١
الفصل الثالث في بيان شواهد العلم ١١٢	في بيان الآثار الدالة على فضيلة العلم ١١٣	في بيان الحكايات الدالة على فضيلة العلم ١١٤
حكم ابو حنيفة رحمه الله بعد حكم القاضي ابن ابي ليلى ١١٥	الباب الثاني في بيان تقليدهم في الاحكام مع احسان الظن بهم ١١٦	للانسان في علمه اربعة احوال كحاله في اقتناء الاموال ١١٧
القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ١١٨	في بيان الرشوة والهدية ١١٩	لا بأس للقاضي ان يقبل الصلة من والي البلدة ١٢٠

القضاة ثلثة ١٢١	المقصد الخامس في نصيحة العامة وهو على خمسة ابواب ١٢٢	فصل في الظلم في المعاملة ١٢٣
اظهار جميع عيوب المبيع واجب ١٢٤	فصل في الاحسان في المعاملة ١٢٥	في بيان نيل الاحسان ١٢٦
فصل في شفقة التاجر على دينه ١٢٧	في بيان الامور السبعة اللازمة ١٢٨	في بيان التوفيق بين الحديثين في الخيرية ١٢٩
الباب الثاني في كف الاذى عنهم ١٣٠	الصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة ١٣١	ينبغي ان يكون فيمن يختار صحبته خمس خصال ١٣٢
فصل اعلم ان المقتضي الاخوة حقوقا ١٣٣	اختلف طرق الصحابة والتابعين في ادامة حق مودته ١٣٤	اعلم ان الناس ثلثة ١٣٥
الباب الثالث في تعليم ما جهلوا ١٣٦	في حقوق الاسلام كثيرة ١٣٧	ومن الحقوق ان يستر عورات المسلمين ١٣٨
الانحناء في السلام منهي عنه ١٣٩	في بيان ان للنار سبعة ابواب ١٤٠	الجيران ثلثة جار له حق واحد وجار له حقان وثلثة حقوق ١٤١
فصل في بيان حقوق الاقارب ١٤٢	في بيان الوليمة ١٤٣	الباب الرابع في بيان اعانتهم وهي انما تحصل بالاحتساب ١٤٤
الايات المتعلقة بالامر بالمعروف وفي القرآن على نوعين ظنية ودينية ١٤٥	الاخبار الدالة على لزوم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٤٦	فصل في بيان مراتب الحسبة ١٤٧
لا يشترط انه يكون متعاطي الاحتساب معصوما عن المعاصي ١٤٨	في بيان ما يكون فيه الحسبة ١٤٩	في بيان المحتسب المنصوب والمتطوع ١٥٠

الباب الخامس في النفقة عليهم وان يحب لهم ما يحب لنفسه ١٥١	علم الحال ما افترض من اعتقاد وعمل ١٥٢	آيات التقوى ١٥٣
ما يدل على فضيلة التقوى من الاحاديث النبوية ١٥٤	في بيان مراتب التقوى ١٥٥	في بيان الصغائر والكبائر ١٥٦
سن ذكر التقوى مرتين في الخطبة عندنا ١٥٧	الرتبة الاولى من التقوى مساوية لمطلق الايمان ١٥٨	القلب رئيس الجوارح فلذا قدم آفاته في فصل على الاعضاء السبعة ١٥٩
في بيان اقسام جنود القلب ١٦٠	يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ١٦١	يفترض على كل من اشتغل بشيء من المعاملات التحرز عن الحرام ١٦٢
فالاحمق يوسع قلبه لقبول الغرور ١٦٣	الحسد نهاية الاخلاق الذميمة ١٦٤	في بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة ١٦٥
في بيان التخلية بذكر جملة الاخلاق الردية ١٦٦	الفصل الثالث في بيان آفات الاعضاء السبعة اجمالا ١٦٧	الاصل في الكلام نوعان والاول ثلثة اقسام ١٦٨
جواز المدح بشروط خمسة ١٦٩	والنوع الثاني ما كان الاصل فيه الحظر والمنع ١٧٠	في بيان الاختلاف في التغني في العرس والاعياد ولدفع الوحشة وحده ١٧١
يكره ان يقول الرجل في دعائه بحق نبيك ١٧٢	وعن ابي يوسف انه قال لا يكره ١٧٣	في بيان تفسير القرآن بالرأي ١٧٤

في بيان آفات الاذن ١٧٥	في بيان آفات العين ١٧٦	اعظم الآفات النظر الى عورة انسان قصدا ١٧٧	في بيان آفات الفرج ١٧٨
ولا يمنع ملك النكاح واليمين حرمة اللواطة ١٧٩	في بيان آفات البطن ١٨٠	في بيان آفات اليد والرجل ١٨١	من كان على الشكر فهو على الصراط المستقيم ١٨٢

٨١٠

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

وقف عمدة ملوك الدوران وشبل نخبة آل عثمان
محيي السنة امام الامة السلطان ابن السلطان السلطان
ابو المحاسن والمواهب عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان
لا زالت ايامه مصابيح الاقبال وايالته الى
لدولته الحاج ابراهيم حنيف المفتش باوقاف
الحرمين المحترمين
عفي عنه

NURUOSMANİYE KÜTÜPHANESİ	
Kısmı :	N. O.
Yeni Kayıt No.	625
Eski Kayıt No.	810
Tasnif No.	297.3=927

بسم الله الرحمن الرحيم ومنه العون وبه نستعين

الحمد لله الذي جعل الارض معمورة بالمصابيح الدينية • وزين بها الملة
الحنيفية بنجوم الاحكام الشرعية • وهدى بها من شرح صدره
للاسلام الى الطريقة المحمدية • ففضله على كثير من المخلوقات • ورفع بعضهم
فوق بعض درجات • بالتكريمات الايمانية • وخلصه في سلوكه باعتصامه
بحبل الشريعة الاحمدية • من غوائل حجب الرذائل النفسانية الظلمانية
وابدى من مطالع افق تلك السماء اقمار الرشد والسداد لاهل العناية
والمراتب الاحسانية • ثم اطلع من مشارق عنايته شموس المعارف
اليقينية • على قلوب عباده الذين اصطفى بالعصمة من الصفات
الردية • فاكملهم بالاتصاف بصفات الكمالات البهية • والصلوة
والسلام الاتمان الاكملان على خلاصة المقامات الاصطفائية
ونقاوة المنازل الاجتبائية • سيدنا وسندنا ونبينا محمد المرسل
رحمة للبرية • وعلى آله واصحابه المتخلقين بسنته السنية • مادامت
السموات والارض مشرقة بنجوم الاحكام الشرعية • ومعمورة
ومزينة بمصابيح النصائح الدينية **اما بعد** فان الكتاب والسنة
متطابقان • والعقل والنقل متوافقان على ان الدين مبني على شيئين

والقاعدة في النسبة الى فعيل وفعول كحنيف وشنوء
حنيفي وشنوئي وفي النسبة الى فعيلة وفعولة كحنيفة وشنوءة
حنفي وشنائي فرقا بينهما والمراد ههنا النسبة الى الحنيف
وخص الحنيف بمعنى المائل عن الباطل الى الحق واطلق
على المسلم والدين والملة باعتبار تحقق ذلك الميل
فيها والحق الياء للمبالغة فيقال دين حنيفي وملة
حنيفية اما باعتبار دلالتها على المصدر كما قيل
في خاصة الشيء خاصيته كانها نفس الخصوصية
او ينتزع منه مستقيم آخر لكمال الاستقامة
وينسب اليه كما في احمدي او المراد بالحنيف
ابرهيم عليه السلام فيكون المعنى الملة المنسوبة
الى ابرهيم الحنيف عليه السلام
منه

البرية بتشديد الياء واصلها الهمزة بمعنى المخلوقة والبارئ
الخالق وقد تقلب همزة البارئ ياء تخفيفا وتحذف
فيشبع حركة ما قبلها او بدون الياء وجاء في الاثر
اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق
وذرا وبرا والفرق بين الذاري والبارئ
ان البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت
والتنافر ومميزا بعضها عن بعض بالاشكال المختلفة
فقيل فلما يستعمل في غير الحيوان قال تعالى فتوبوا
الى بارئكم ولا يقال بارئ السموات
والارض
منه

على شيئين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله • وكلاهما
حاصل بالنصيحة فالنصيحة اس الدين • ودين الموحدين
قرب الارباب • وسبب الاسباب • جعل النصيحة الدينية
والتحاب في الله والاخوة في دينه من افضل القربات
والطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات
والناس لكونه مدنيا بالطبع يحتاج في تعيشه الى الدنيا
للتشمر والاكتساب • وليس التشمر في الدنيا مقصورا
دون المعاش على المعاد • بل المعاش ذريعة الى المعاد
فالدنيا مزرعة الآخرة بالمناصحة بين العباد • ثم انهم
في التعيش على ثلثة اقسام قسم يشغله معاشه عن معاده
وهذا ظالم لنفسه • وقسم شغله معاده عن معاشه وهذا القسم
من الفائزين وقسم شغله معاشه لمعاده وهذا من المقتصدين
الذين يجمعون الخصال الست • عرف الله فاطاعه وعرف
الشيطان فعصاه • وعرف الحق فاتبعه • وعرف الباطل
فاتقاه • وعرف الدنيا فرفضها • وعرف الاخرى فطلبها
ولن ينال رتبة الاقتصاد • ما لم يلازم منهج النصيحة الدينية
اذ بها الرشد والسداد • لتحصيل الزاد للمعاد • وبها
تكمل الناقص وتصلح الفاسد • وتظهر ارادة الخير وتدل
على الفوائد • وبها يحصل المعرفة باللوازم والعوائد • وانما
استعد لهذه المعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه والعلم
الذي هو فرض عين لا يحصل الا بالقلب بلا مين فالمعرفة
مطلوبة اطلبوا العلم ولو بالصين وهي انما تحصل بالنصيحة
الجامعة لاركان الدين • روى مسلم في صحيحه عن تميم الداري

ارتبحا وزاعن معاده

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة
ثلثا قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله
ولائمة المسلمين وعامتهم وهكذا رواه البخاري في صحيحه
الا انه ليس في روايته ثلثا ولكتابه وروى البخاري
ومسلم ايضا عن جرير قال بايعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم على اقام الصلوة وايتاء الزكوة والنصح
لكل مسلم وفي رواية اخرى بايعت النبي صلى الله عليه وسلم
على السمع والطاعة فلقنني فيما استطعت والنصح لكل مسلم
قال النووي ومما يتعلق بحديث جرير منقبة ومكرمة
لجرير رضي الله عنه رواها الحافظ ابو القاسم الطبراني
باسناده اختصارها ان جريرا امر مولاه ان يشتري
له فرسا فاشترى فرسا بثلثمائة درهم وجاء به وبصاحبه
لينقده الثمن فقال جرير لصاحب الفرس فرسك
خير من ثلثمائة درهم اتبيعه باربعمائة قال ذلك اليك
يا ابا عبد الله فقال فرسك خير من ذلك اتبيعه بخمسمائة
ثم لم يزل يزيده مائة فمائة وصاحبه يرضى وجرير يقول
فرسك خير الى ان بلغ به ثمانمائة درهم فاشتراه بها
فقيل له في ذلك فقال بايعت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم على النصح لكل مسلم قالوا انه هذا الحديث
احد ارباع الاسلام اي احد الاحاديث الاربعة
التي تجمع امور الاسلام وقال النووي ليس كما قالوه
بل المدار على هذا وحده وظاهر معنى الحديث ان يكون
معظم اركان الدين او قوام الدين النصيحة على حذف المضاف

المضاف وتحقيق انه يكون على ظاهره لان كل عمل لا يراد به الاخلاص
فليس من الدين والملة فاذا عرفت هذا فاعلم ان المراتب
في الدنيا كثيرة لكن ارفعها حالا ومالا وانفعها منقبة وكمالا
واكملها مرتبة وجمالا هي النصيحة اذ بها يحصل المعارف الدينية
والمعالم اليقينية فيدور عليها الفوز بالسعادة العظمى والكرامة
الكبرى في الاولى والاخرى فلهذا اردت شرح النصيحة بجمع الاخبار
الصحيحة والآثار والحكم الفصيحة من الكتب المعتبرة المشهورة
والاقوال المرغوبة المنصورة فمن جملتها من التفاسير التفسير الكبير
وتفسير القاضي البيضاوي وتفسير القاضي عضد الدين
وتفسير النيسابوري ومن كتب الاحاديث الجامع الصحيح
للبخاري والجامع الصحيح لمسلم والمصابيح والمشارق
وشرح البخاري للعيني وابن حجر وشرح المسلم للنووي
والاتقان للسيوطي ومن اصول الكلام شرح عقايد النسفي
والرسالة القدسية للغزالي والمسايرة لابن الهمام وشرح المواقف
ومن اصول الفقه البزدوي وشرحه التوضيح ومن الفتاوي
التاتارخانية وفتاوي قاضيخان والمحيط السرخسي والفتاوي
الظهيرية ومختارات النوازل والخلاصة والهداية ومن كتب
الزهد احياء العلوم والطريقة المحمدية ومن كتب المواعظ
والحكم في نصيحة الملوك سراج الملوك وسميته رشحة النصيح
من الحديث الصحيح ورتبته على خمسة مقاصد بعد النصائح
الخمس التي هي كالمراصد والتزمت ان اورد في كل مقصد شرح
الذي قاله شارحو الصحيحين بالوفاق كالامام النووي والعيني
وغيرهما ممن يعتنى بشانهم في علم الحديث على الاتفاق

ماخذ هذا الكتاب

اسم هذا الكتاب

وبعد هذا بوبت ما قالوه في هذا المقصد وجعلته كالاصول
وجمعت في كل باب ما فيه من الآيات والاخبار
والآثار في ضمن الفصول الآن المقصد الرابع على مسلكين كما سلكوا
اذ الاقتداء بهم لازم على كل من سلكوا وقصارى ما في هذا
الجمع المكسر على ابواب مقاصد النصائح والفصول وهو الجمع
السالم عما سوى الترغيب والترهيب انه يتلقاه الناظرون
اليه بالقبول فالمرجو من محض فضل الله الكريم ان يوفقنا بلطفه
الجسيم وان يجعله خالصا لوجهه بكرمه العميم انه هو البر الرحيم
وهو على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير **المقصد الاول**
في النصيحة لله وهي ان ترجع الى الايمان به ونفي الشرك عنه
وترك الالحاد في صفاته وان تصفه بما هو اهل له من صفات
الكمال وان تنزهه عن النقايص مع القيام بطاعته واجتناب
معصيته وموالاة من اطاعه ومعاداة من عصاه والاعتراف
بنعمته وشكره عليها والاخلاص في جميع الامور فحقيقة هذه
الاضافة راجعة الى العبد في نصيحة نفسه هذا ما قالوه في هذا المقصد
وهو على خمسة ابواب ولنقدم مقدمة في بيان الدين
قبل النصيحة من قوله صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة
المقدمة في تفسير الدين اعلم ان الدين يجيء لمعان بمعنى الجزاء
ومنه الديان في صفة الله تعالى قال جل وعلا مالك
يوم الدين وبمعنى الطاعة قال الله تعالى ان الدين عند الله
الاسلام والاسلام في اللغة الانقياد والدخول في السلم
او السلامة او اخلاص العبادة من قولهم سلم له الشيء اذا خلص له
وهو في عرف الشرع يطلق تارة على الاقرار باللسان في الظاهر

في الظاهر ومنه قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا
ويطلق تارة اخرى على الانقياد الكلي في الظاهر والباطن
وهو المراد ههنا اي الدين المرتضى هو دين الاسلام ومنه
قوله تعالى الا لله الدين الخالص فادعوا الله مخلصين له
الدين وبمعنى الشريعة لقوله تعالى شرع لكم من الدين ما
وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم
وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه الآية اي
شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من ارباب
الشرايع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا
الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة في احكام
الله ولا تتفرقوا فيه اي ولا تختلفوا في هذا الاصل واما قوله
تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فلانه فروع الشرايع
مختلفة فان فسر الدين بالشريعة فيكون الاسلام
الاركان الخمسة كما في حديث جبرئيل عليه السلام ما الاسلام
وتفسير الدين بالشريعة شايع فمنه ما رواه البخاري
في صحيحه انه قال صلى الله عليه وسلم الدين يسر اي ذو يسر
او عين يسر على سبيل المبالغة من قبيل ابو حنيفة رحمه الله
عليه فقه ورجل عدل ومن هذا القبيل ايضا الدين النصيحة
فالالف واللام في الدين للعهد وهو دين الاسلام واليسر
بضم السين وسكونها نقيض العسر ومعناه التخفيف ثم كون
هذا الدين يسرا يجوز انه يكون بالنسبة الى ذاته ويجوز
انه يكون بالنسبة الى ساير الاديان وهو الظاهر لان
الله تعالى رفع عن هذه الامة الاصر الذي كان على من قبلهم

كعدم جواز الصلوة الا في المسجد وعدم الطهارة بالتراب
وقطع الثوب الذي يصيبه النجاسة وقبول التوبة بقتل
انفسهم ونحو ذلك فانّ الله من لطفه وكرمه رفع هذا
عن هذه الامة رحمة لهم قال تعالى وما جعل عليكم في الدين
من حرج وتجئ الدين بمعنى الملة قال تعالى قل انني هداني
ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابرهيم حنيفا وما كان
من المشركين امر سبحانه وتعالى بان يقول النبي صلى الله
عليه وسلم انني هداني ربي صراطا مستقيما دينا قيما وهو
الملة الحنيفية التي لا يخاف منها الضلال وقال تعالى
ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه
في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم
قال اسلمت لرب العلمين ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب
يا بنيّ ان الله اصطفى لكم الدين وقال تعالى ومن احسن دينا
ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابرهيم حنيفا واتخذ الله ابرهيم
خليلا اي من احسن دينا ممن اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه
او ممن بذل وجهه في السجود وهو ات بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابرهيم
الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها مائلا عن سائر الاديان وقال
تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا الآية فعلى هذا يكون الملة
والدين واحدا ومنه ما رواه البخاري في صحيحه في قول النبي صلعم احب
الدين الى الله الحنيفية السمحة اي احب الدين المعهود وهو دين الاسلام — لا حرج
الملة الحنيفية السهلة التي فيها ويدل عليه ما رواه احمد في مسنده بسند
صحيح من حديث اعرابي لم يسمه انه سمع رسول الله صلعم يقول خير دينكم
ايسره والملة الحنيفية الملة الابرهيمية مقتبسا من قوله تعالى بل ملة ابرهيم حنيفا

حنيفا والحنيف عند العرب من كان على ملة ابرهيم عليه السلام ثم سموا
من اختتن وحج البيت حنيفا والحنيف المائل عن الباطل الى الحق وسمي
ابرهيم حنيفا لانه مال عن عبادة الاوثان فالملة السمحة التي لا حرج
فيها ولا تضييق على الناس هي ملة الاسلام وفي شرح المواقف
الدين والملة متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار فان الشريعة
من حيث انها يطاع بها تسمى دينا ومن حيث يجتمع عليها تسمى ملة واما
التحقيق في دفع ما يقال من ان ملة ابرهيم عين ملة محمد صلوات الله عليهما
في الاصول والفروع او هما متحدان في الاصول كالتوحيد والنبوة
واصول مكارم الاخلاق ولكنهما مختلفان في فروع الاعمال ولا سبيل
الى الاول والا لم يكن شرع محمد ناسخا لسائر الشرائع ولا الى الثاني
لانه يلزم ان يكون محمد صلعم ايضا اتباعا من ملة ابرهيم ولان الاعتراف
جواب انه — بالاصول لا يقتضي الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فبانه يقال
انه المختار اتحاد الملتين في الاصول فقط ولكن نبوة محمد صلعم من جملة
الاصول التي مهدها ابرهيم عليه السلام والمراد بملة ابرهيم في الآية
اصولها التي لا يختلف بمر الاعصار وكر الدهور فلا يلزم ان يكون محمد
صلى الله عليه وسلم اتباعا عنها لانه امر باتباعها ثم اوحينا
اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا واعلم ان الملل الموجودة في العالم
بحسب العدد ستة وهي مذكورة بقوله تعالى ان الذين آمنوا والذين
هادوا والنصارى والصابئين والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل
بينهم يوم القيمة الآية ثم الاختلافات الاخر بين المعتقدين للملل كلها
مترتبة تحت هذه الستة بل حقيقة باسرها الى هذه الستة ثم ان
الملل الست لن تتجاوز الاربعة وهي الاعتقادات والعبادات والمعاملات
والمزاجر ثم الاعتقادات لن تتجاوز هذه الاصول وهي الايمان بالله

وملئكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى ولا خلاف
بين اهل الملل في انه الجاحد لواحد من هذه المذكورة في قوله تعالى ومن يكفر بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا لن يعد مليا وكذلك
امر العبادات لن يتجاوز الاصول الخمسة وهي العبادة النفسانية
اعني الصلوة والعبادة البدنية اعني الصيام والعبادة المالية
اعني الزكوة والعبادة المشتركة اعني الحج والعبادة الملكية اعني الجهاد
وكذلك امر المعاملات لن يتجاوز الخمسة وهي المناكحات والمعاوضات
والمخاصمات والمعاونات والمواريث وكذلك المزاجر على هذه الخمسة
فالمتدين لن يقع له خلاف في شيء من اصول الدين وفروعه الا مع واحد
من الطبقات الثلث احديها الطبقة المشاركة في ملته وهي المعترفة
نبوة نبيه محمد صلعم كالخلاف بين المجبرة والقدرية في خلق الافعال البشرية
والخلاف بين المجسمة والجهمية في صفات خالق البرية وثانيتها الطبقة
المباينة له في دينه المنابذة لكل من يعتزي الى ملته كالخلاف بين اليهود
والنصارى في نبوة المسيح صلوات الله على نبينا وعليه وثالثتها الطبقة
المعاندة للاديان كلها المخالفة لاوضاع الملل باسرها كالخلاف بين الدهرية
والالهيين في اثبات الحق ووجوده فاما الخلاف بين اهل الملة الواحدة
فقسمان احدهما المتعلق بصناعة الكلام وهو راجع في الحقيقة الى هذه الاصول
الاعتقادية والثاني المتعلق بصناعة الفقه وهو راجع في الحقيقة الى الثلثة
اعني العبادات والمعاملات والمزاجر وليس للخلاف المتعلق بصناعة الفقه
كثير آفة فان المخطئ فيها عند ارباب المذاهب كلها يكون معذورا ومأجورا
عند الله تعالى فاما المتعلق بصناعة الكلام فيتنوع نوعين منه ما يكون مجراه
مجرى الاصول ومنه ما يكون مجراه مجرى الفروع واعني بالاصول ما يتعلق بالمعاني
الخمسة التي سبق الذكر بها واعني بالفروع مثل الخلاف في انه ترك الفعل

فعل اوليس بفعل وان الاعراض تبقى اولا تبقى وليس ايضا للخلاف الجاري
مجرى الفروع كثير آفة فان المخطئ فيها عند ارباب المذاهب كلها
لن يستحق البراءة عنه فاما الجاري منها مجرى الاصول فاما انه يكون
آفة الخطأ فيه راجعا الى معرفة الله تعالى والى معرفة كتبه ورسله والى معرفة
الملائكة او الى معرفة المعاد وهذه بعينها هي آفات الخلاف الواقع بين
اهل الملل المختلفة وفي اصول البزدوي ودلت المسائل المتفرقة عن اصحابنا
في المبسوط وغير المبسوط على انهم لم يميلوا الى شيء من مذاهب اهل الاعتزال
والى ساير الاهواء وفي التقويم قيل اهل الاهواء تفرقوا اولا وكانت ست فرق
القدرية والجبرية والرافضة والخارجية والمشبهة والمرجئة ثم
تفرق كل فرقة اثني عشر فرقة فصار والاثنتين وسبعين فرقة وقد
دلت مسائل اصحابنا في كتبهم على انهم لم يميلوا الى شيء من مذاهبهم
ثم قال ثم ان الشيخ رحمه الله تعالى نفى عنهم مذهب الاعتزال اولا ثم
نفى مذهب جميع اهل الاهواء لان المعتزلة اكثرهم خلافا في المسائل
والدلائل ويدعون ان اصحابنا كانوا على مذهبهم لا غير فنفى ذلك
اولا للاهتمام انتهى فمن كانت الحكمة بحيثه ولم يكن الالف والتعصب فانه
واليه يرجع قوله تعالى قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اولو كان
اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون لم يتعذر عليه ايثار ما هو
الاشرف ولكن يقع له خلاف في شيء من اصول الدين وما يجري مجراها
فيكون مؤمنا حقا ويعرف مرتبة الايمان والاسلام والاحسان ويعبد
الله الملك الديان وهو يهدي من يشاء الى صراط مستقيم **الباب الاول**
وهو في شرح النصيحة لله في بيان انه ترجع الى الايمان به اعلم ان الايمان
والاسلام واحد في عرف الشرع وهو تصديق النبي صلى الله عليه وسلم
في جميع ما علم بالضرورة مجيئه به واقراره به والاعمال خارجة عن حقيقة

فلا يزيد ولا ينقص وان الايمان اقرار باللسان ومعرفة بالقلب على قول
الامام الاعظم ابي حنيفة رحمه الله عليه وعامة الفقهاء ثم اختلفوا في موضعين
احدهما في حقيقة هذه المعرفة فمنهم من فسرها بالاعتقاد الجازم اعتقادا
تقليديا او علما صادرا عن الدليل وهم الاكثرون الذين يحكمون ان المقلد مسلم
ومنهم من فسرها بالعلم الصادر عن الاستدلال وثانيهما اختلفوا في ان العلم
المعتبر في تحقيق الايمان بماذا قال بعض المتكلمين هو العلم بالله وبصفاته
على سبيل التمام والكمال ثم انه لما كثر اختلاف الخلق في صفات الله تعالى
لاجرم اقدم كل طائفة على تضليل من عداه من الطوايف فقال جمهور المحدثين
والمعتزلة والخوارج الايمان مجموع ثلثة امور اعتقاد بالحق والاقرار به والعمل
بمقتضاه فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فكافر ومن
اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج خارج عن الايمان غير داخل في الكفر
عند المعتزلة وفي اصول البزدوي وصنف ابو حنيفة رحمه الله كتاب
العالم والمتعلم وكتاب الرسالة وقال فيه لا يكفر احد بالذنب ولا يخرج به
من الايمان ويترحم له وكان اماما صادقا في علم الاصول وقد صح عن ابي يوسف
انه قال ناظرت ابا حنيفة في مسالة خلق القرآن ستة اشهر فاتفق رايي
ورايه ان من قال بخلق القرآن فهو كافر وقد صح هذا القول عن محمد انتهى وفي
المصابيح قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه بينما نحن عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب
شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منا احد حتى جلس الى النبي
صلعم واسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه فقال يا محمد اخبرني
عن الايمان فقال الايمان ان تومن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر وتومن بالقدر خيره وشره فقال صدقت قال فاخبرني
عن الاسلام قال الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله

الله وتقيم الصلوة وتوتي الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت
اليه سبيلا قال صدقت قال فاخبرني عن الاحسان قال الاحسان
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال فاخبرني
عن الساعة قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل قال فاخبرني
عن اماراتها قال ان تلد الامة ربتها وان ترى الحفاة العراة العالة
رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال
لي يا عمر اتدري من السائل قلت الله ورسوله اعلم قال فانه جبرئيل
اتاكم يعلمكم امر دينكم وفي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هاجر ما نهى الله عنه
وايضا في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رجلا سال النبي
صلعم اي الاسلام خير فقال تطعم الطعام وتقرا السلام على من عرفت
وعلى من لم تعرف وعنه رضي الله عنهما ايضا قال قال رسول الله
صلعم بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
واقام الصلوة وايتاء الزكوة والحج وصوم رمضان فثبت بهذا حصول
الاسلام بالشهادتين من غير اقامة الدلائل وكان دليلا
على جواز ايمان المقلد ونفيا لمذهب بعض المعتزلة وفي المصابيح
عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة فافضلها قول لا اله
الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان
وفي التفسير الكبير قالت المعتزلة لفظ الايمان والكفر والصلوة والزكوة
والحج الفاظ شرعية لا لغوية والمعنى ان الشرع نقل هذه الالفاظ
عن مسمياتها اللغوية الاصلية الى مسميات اخرى وعندنا ان هذا
باطل وليس للشرع تصرف في هذه الالفاظ الا من وجه واحد وهو انه خصص

هذه الاسماء بنوع واحد من مسمياتها مثلا الايمان عبارة عن التصديق
مخصصه الشرع بنوع معين من التصديق والصلوة عبارة عن الدعاء
فخصه الشرع بنوع معين من الدعاء، وكذلك القول في البواقي ودليلنا
على صحة مذهبنا قوله تعالى قرانا عربيا وقوله تعالى وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه انتهى وقال بعضهم المراد بالايمان ههنا
ثمراته الاثر ان من اسلم ولم يمط الاذى وهو الذي يؤذي المار
كالحجر والشوك وغيرهما من الطريق لم يكن كاملا في ايمانه واذا
كان المراد به ثمراته لم يقع بينه وبين حديث سؤال جبرئيل مدافعة
قال حجة الاسلام في الاحياء، ان الايمان تارة يخص في اطلاقه
بالتصديقات باصول الدين وتارة يخص بالاعمال الصادرة
عنها وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف ابواب وللاعمال ابواب
ولاشتمال لفظ الايمان على جميعها كان الايمان نيفا وسبعين بابا
انتهى وقال في التاتارخانية سئل ابو بكر العياضي عن الايمان ايزيد
وينقص ام لا فقال الايمان في اللغة على انواع ووجوه الايمان الذي هو
لحق العبد من حالة الكفر الى حالة الاسلام لا يزيد ولا ينقص فالايمان
الذي هو عبارة عن اليقين كقوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
ونحو ذلك فانه يحتمل الزيادة والنقصان وقال ابو القاسم الحكيم
وجدت التوحيد بين الناس على وجهين توحيد متفق على صحته وتوحيد
مختلف في صحته فالاول هو الذي عليه عوام الناس والعجايز والتوحيد
الذي يختلف في صحته هو التوحيد الذي اختلف الناس في فروعه فيكفر
بعضهم قال وانا اختار الذي لم يختلف فيه احد وانه صحيح وهو
التمسك بالجملة التي عليها عوام الناس وبالله التوفيق انتهى وقال
بعضهم ان شعب الايمان وان كانت متعددة الا انها حاصلها يرجع

يرجع الى اصل واحد وهو تكميل النفس على وجه به يصلح معاشه وحسن
معاده وذلك بان يعتقد الحق ويستقيم في العمل قال صلى الله عليه
وسلم لسفيان الثقفي حين سأله في الاسلام قولا جامعا قل امنت
بالله ثم استقم فالاصل الواحد في الحقيقة اعتقاد الحق والاستقامة
في العمل والاعتقاد يتشعب الى ستة عشر شعبة طلب العلم ومعرفة
الصانع وتنزيهه عن النقايص وما يتداعى اليها والايمان بمثل الحيوة
والعلم والقدرة والاقرار بالوحدانية والاعتراف بان ما عداه
صنعه لا يوجد ولا يعدم الا بقضائه وقدره والايمان بملئكته
وتصديق رسله وحسن الاعتقاد فيهم والعلم بحدوث العالم
واعتقاد فنائه على ما ورد به التنزيل والجزم بالنشاة الثانية
واعادة الارواح الى الاجساد والاقرار باليوم الاخر والعمل ينقسم
الى ثلثة اقسام احدها ما يتعلق بالمرء نفسه ظاهرا وباطنا اما ما يتعلق
بالظاهر ويسمى فن العبادات فشعبها ثلث عشرة طهارة البدن
عن الحدث والخبث واقامة الصلوة وايتاء الزكوة والقيام
بامر الجنائز وصيام رمضان والاعتكاف وقراءة القرآن وحج
البيت والعمرة وذبح الضحايا والوفاء بالنذر وتعظيم الايمان واداء
الكفارات واما ما يتعلق بالباطن فحاصله تزكية النفس عن الرذائل
واصول شعب الرذائل عشرة شره الطعام وشره الكلام وحب
الجاه وحب المال وحب الدنيا والحقد والرياء والعجب والكبر
والتحلية عن الكمالات واما امهات تزكية النفس فثلث عشرة التوبة
والخوف والرجاء والزهد والحياء والشكر والوفاء والصدق
والصبر والاخلاص والمحبة والتوكل والرضاء بالقضاء والقسم الثاني
ما يتعلق به وباهل منزله وخواصه وشعبها ثمان التعفف عن الزنا

قال بعض المحققين اعلم ان الناس في الاستقامة
على سبعة اقسام مستقيم بقوله وفعله وقلبه
ومستقيم بفعله وقلبه دون قوله ولهذين
الفوز والاول اعلى ومستقيم بفعله وقوله
دون قلبه وهذا يرجى له النفع بغيره ومستقيم
بقوله وقلبه دون فعله ومستقيم بقوله دون
فعله وقلبه ومستقيم بفعله دون قلبه وقوله
وهؤلاء عليهم لا لهم وان كان بعضهم فوق
بعض وليس المراد بالاستقامة في القول
ههنا ترك الغيبة والنميمة وشبههما فان
الفعل يشمل ذلك وانما المراد ارشاد الغير
الى الصراط المستقيم وقد يكون عريا مما يرشد
اليه ويجمع الامر لك في مثال واحد موضح فنقول
مثاله رجل يتفقه في امر صلوته وحققها وعلمها
غيره فهذا مستقيم في قوله ثم حضر وقتها فاداها
على نحو ما علمها محافظا على اركانها الظاهرة فهذا
مستقيم في فعله ثم علم انه مراد الله منه من ترك الصلوة
حضور قلبه معه فيها فاحضره فهذا
مستقيم بقلبه وقس على هذا
بقية الاقسام
الى هنا كلامه
منه

والنكاح والقيام بحقوقه والبر بالوالدين وصلة الرحم وطاعة السادة
والاحسان الى المماليك والعتق والقسم الثالث ما ينوط به
صلاح العباد وشعبه سبع عشرة القيام بامانة المسلمين واتباع
الجماعة ومطاوعة اولى الامر والمعاونة على البر واحيا معالم
الدين ونشرها والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وحفظ الدين
بالزجر عن الكفر ومجاهدة الكفار والمرابطة فى سبيل الله وحفظ النفس
بالكف عن الجنايات واقامة حقوقها من القصاص والديات وحفظ
اموال الناس بطلب الحلال واداء الحقوق والتجافى عن المظالم
وحفظ الانساب واعراض الناس باقامة حدود الزنا والقذف
وصيانة العقل بالمنع عن تناول المسكرات بالتهديد والتاديب
عليه ودفع الضرر عن المسلمين ومن هذا القبيل اماطة الاذى عن الطريق
والتوفيق من ولى التوفيق **الباب الثانى** فى بيان نفى الشرك عنه وترك
الالحاد فى صفاته وانه يصفه بما هو اهل له من صفات الكمال
وينزهه عن النقايص وهذا البيان فى ضمن بيان معنى كلمة التوحيد اعلم
ان الواجب على كل عاقل ان يهتم لدينه وينظر لعواقب امره وان يصحح
اعتقاده فى واحد واحد من معتقدات اهل السنة وان يعتصم من مقتضيات
العقول بالحبل المتين ومن سير الاولين وعقايدهم بالمنهج المبين
فاهل السنة جمعوا بالقبول بين نتايج العقول وقضايا الشرع
المنقول وحققوا ان النطق بما تعبدوا به من قوله لا اله الا الله محمد
رسول متحقق الاحاطة بما يدور عليه الشهادة من الاصول عرفوا
ان كلمتى الشهادة على ايجازها تتضمن اثبات ذات الاله واثبات صفاته
واثبات افعاله واثبات صدق الرسول فعلموا ان كل ركن من هذه
الاربعة يدور على ما ذكر من الاصول الركن الاول وهو اثبات ذات

ذات الاله تعالى وتقديره يدور على المعرفة بوجوده تعالى وقدمه
وبقائه وانه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض وانه ليس مختصا بجهة
ولا مستقرا بمكان وانه مرئى وانه واحد الركن الثانى وهو اثبات
صفاته تعالى يدور على العلم بكونه منزها عن الحوادث وان
له صفات قديمة قائمة بذاته لا هو ولا غيره هى الحياة والعلم
والقدرة والسمع والبصر والارادة والكلام والتكوين ايضا عندنا
من صفات القديمة القايمة بذاته تعالى خلافا للاشاعرة فان المراد بصفات
الافعال التى تدل عليها نحو قوله تعالى الخالق البارى المصور ونحو
الرازق والمحيى والمميت صفات تدل على تاثير وتلك الصفات
لها اسماء غير اسم القدرة باعتبار اسماء آثارها وكل تلك
الصفات يجمعها اسم التكوين بصدقه على كل منها فانه ان كان ذلك
الاثر رزقا فالاسم الرازق والصفة الترزيق او مخلوقا فالاسم
الخالق والصفة الخلق وغير ذلك والكل التكوين الركن الثالث
وهو اثبات افعاله تعالى يدور على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى
وانها مكتسبة للعباد وانها مرادة لله تعالى وانه متفضل بالخلق وانه
ليس له تكليف ما لا يطاق مما كان ممتنعا لذاته واما اذا كان ممتنعا
لتعلق علم الله تعالى بعدم وقوعه كايمان من علم تعالى انه لا يؤمن فان التكليف
به جائز عقلا ولا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع
وان فى بعثة الانبيا حكمة وان نبوة نبينا خاتم الانبيا صلى الله
عليه وسلم ثابتة مؤيدة بالمعجزات وان شريعته ناسخة للشرايع التى
قبلها الركن الرابع وهو السمعيات يدور على اثبات الحشر والنشر
وعذاب القبر وسوال منكر ونكير والكتاب والميزان والصراط
وخلق الجنة والنار واحكام الامامة وفضل الصحابة الاربعة على حسب ترتيبهم

فجميع صفاته تعالى ازلية قديمة والتقييد بالزمان
لتعلقاتها كما ذهب اليه
اهل السنة
منه

قال فى شرح المسايرة ولا اعلم احدا من الحنفية
جوز عقلا تكليف ما لا يطاق فهم فى هذا مخالفون
للاشعرية فى تجويزهم اياه عقلا والمراد انهم يمنعون التكليف
الممتنع لذاته اما الممتنع لتعلق علم الله بعدم وقوعه
كايمان من علم تعالى انه لا يؤمن فان التكليف به جائز
عقلا واقع وفاقا انتهى وبالجملة ان العلم بعدم الايمان لا يستلزم
حتى يلزم التكليف بالنقيضين والتكليف بامر مستحيل لذاته
لذاته ممتنع لغيره غير التكليف بامر مستحيل لذاته
الذى هو محل النزاع فلا يلزم ما قاله
الاشاعرة من ان تكليف من مات
على الكفر كابى لهب مع العلم
بعدم ايمانه تكليف بالجمع
بين النقيضين
منه

في الخلافة اذ كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يأخذهم في الله لومة لائم
فهم على الحق هذا وسُئل بعضهم عن الله تعالى فقال انه سالت عن ذاته فليس كمثله شيء
وان سالت عن صفاته فهو احد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
وانه سالت عن اسمه فهو الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم وانه سالت عن فعله
فكل يوم هو في شان والقول في الاستوا ما قاله انس بن مالك
رضي الله عنه حين سُئل عن ذلك فقال الاستوا معلوم والكيف
غير معقول والايمان به واجب والسوال عنه بدعة واعلم
انه لدعوة الخلق الى التوحيد بعث الله الانبيا ليقولوا لا اله الا الله
وما امروا انه يقولوا للعالم اله فان ذلك كان مجبولا في فطرة
عقولهم من مبدا انشوهم قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله وقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس
عليها لا تبديل لخلق الله وكم من شواهد القرآن ما يغني عن البرهان ثم
المعاني المقدرة عقلا في لا اله الا الله باعتبار معنى المستثنى منه والمستثنى
اربعة ثلثة منها باطلة والرابع ينقسم الى قسمين واحد قسميه ايضا باطل
والآخر هو الذي يصح من الاقسام كلها فالثلثة الباطلة ان يكون
المستثنى منه والمستثنى جزئيين وكليين او الاول جزئي والثاني كلي والرابع
انه يكون الاول كليا والثاني جزئيا فان كان المراد بالكلي الذي هو الاله
مطلق المعبود لم يصح لكثرة المعبودات الباطلة كالنار والشمس والملئكة
والاصنام والاوثان الى غير ذلك وان كان المراد بالكلي المعبود بحق
وهو المستغني عن كل ما سواه والمفتقر اليه كل ما عداه صح فلا يصح من هذه
الاقسام كلها الا انه يكون المستثنى منه كليا بمعنى المستغني عن كل ما سواه
والمفتقر اليه كل ما عداه فالمنفي كل فرد من افراد حقيقة المستثنى منه غير
خالق العالم جل شانه وعظم برهانه والمثبت من تلك الحقيقة فرد احد صمد

صمد واحد بالوحدانية الذاتية والصفاتية والافعالية وكلها
واجبة له تعالى واما الاتيان بالا في هذه الكلمة السعيدة فللقصر
ولا لة عليه تعالى بمعنى انه لا يمكن ان يوجد عقلا ولا شرعا
تلك الحقيقة لغيره تعالى فيظهر بهذا اندراج جميع عقايد الايمان
تحت معنى هذه الكلمة الشريفة اذ معنى الالوهية استغنا
الاله الموصوف بها عن كل ما سواه مطلقا وافتقار كل ما سواه
اليه مطلقا فمعنى لا اله الا الله لا مستغني عن كل ما سواه مطلقا
ومفتقرا اليه كل ما عداه ابتدا بالايجاد ودواما بالامداد الا
الله تعالى اما استغناؤه عز وجل عن كل ما سواه فهو يوجب له تعالى
الوجود والقدم والبقاء ومخالفته للحوادث والقيام بنفسه
والتنزه عن النقايص ويدخل في ذلك وجوب السمع له تعالى
والبصر والكلام اذ لو لم تجب له هذه الصفات لكان محتاجا
الى المحدث او المحل او من يدفع عنه النقايص ويؤخذ منه تنزهه
تعالى عن الاغراض في افعاله واحكامه والا لزم افتقاره تعالى
الى ما يحصل غرضه كيف وهو عز وجل الغني عن كل ما سواه وكذا
يوخذ منه ايضا انه لا يجب عليه فعل شي من الممكنات ولا تركه
اذ لو وجب عليه تعالى شي منها عقلا كالثواب مثلا لكان عز وجل
مفتقرا الى ذلك الشي ليتكمل به اذ لا يجب في حقه تعالى الا ما هو كمال له
كيف وهو عز وجل الغني عن كل ما سواه واما افتقار كل ما سواه اليه عز وعلا
فهو يوجب له تعالى الحياة وعموم القدرة والارادة والعلم اذ لو انتفى
شي منها لما امكن انه يوجد شي من الحوادث فلا يفتقر اليه شي كيف
وهو الذي يفتقر اليه كل ما سواه ويوجب له ايضا الوحدانية اذ لو كان
معه ثان في الالوهية لما افتقر اليه شي للزوم عجزهما حينئذ كيف وهو الذي

الوحدة في حقه تعالى يشتمل على ثلثة اوجه احدها
نفي الكثرة في ذاته تعالى ويسمى الكم المتصل والثاني نفي النظير
له عز وجل في ذاته او صفة من صفاته ويسمى الكم
المنفصل والثالث انفراده تعالى بالايجاد والتدبير
العام بلا واسطة ولا معالجة فلا يؤثر سواه قال
تعالى انا كل شي خلقناه بقدر وقال تعالى ذلكم الله
ربكم لا اله الا هو خالق كل شي فاعبدوه
وقال تعالى والله خلقكم وما
تعملون
منه

يفتقر اليه كل ما سواه ويؤخذ منه ايضا حدوث العالم باسره اذ لو كان
شيء من العالم قديما لكان واجب الوجود لا يقبل العدم فان من
ثبت قدمه استحال عدمه واذا كان لا يقبل العدم لا سابقا
ولا لاحقا لم يفتقر الى مخصص كيف وكل ما سواه يفتقر اليه كل الافتقار
فوجب الحدوث لكل ما سواه عز وجل وكذا يؤخذ منه ايضا
انه لا تاثير لشيء من الكائنات في اثر ما والا لزم ان يستغني ذلك
الاثر عنه تعالى اذ لو خرج عن قدرته تعالى ممكن ما لم يكن ذلك الممكن
مفتقرا اليه تعالى بل انما يفتقر الى من اوجده كيف وكل ما سواه مفتقر
اليه غاية الافتقار وبهذا يبطل مذهب القدرية القائلين
بتاثير القدرة الحادثة في الافعال الاختيارية مباشرة او تولدا
ويبطل مذهب الفلاسفة القائلين بتاثير الافلاك والعلل
ويبطل مذهب الطبايعيين القائلين بتاثير الطبايع والامزجة ونحوها
لكون الطعام يشبع والماء يروي والنار تحرق ونحو ذلك وهم في اعتقادهم
التاثير لتلك الامور مختلفون فمنهم من يعتقد ان تلك الاشياء تؤثر
فيما قارنها بطبعها وحقيقتها ولا خلاف في كفره ومنهم من يعتقد انها
تؤثر بقوة جعلها الله تعالى فيها وقد تبع الفيلسوف في هذا كثير من عامة
المؤمنين ولا خلاف في بدعته والمؤمن الكامل لا يعتقد لها تاثيرا اصلا
لا بطبعها ولا بقوة وضعت فيها وانما الله سبحانه وتعالى اجرى العادة
بمحض اختياره انه يخلق تلك الاشياء عندها وما قارنها يصح تخلفه
عنها فقد يكون النار ولا يوجد الاحراق كنار ابرهيم والسكين ولا يوجد
القطع كقصته مع ابنه عليهما السلام حكي عن واحد من الثقات انه قال
اتفق لنا في مجلس حضرناه وقد جاء شخص ينكر النبوة وما ظهرت به الانبياء
من خوارق العوايد وان الحقايق لا تتبدل وكان زمن البرد والشتا

والشتا، وبين ايدينا منقل عظيم يشتعل نارا فقال المنكر انتم العامة
تقولون انه ابرهيم عم القي في النار فلم تحرقه والنار محرقة بطبعها
الجسوم القابلة للاحراق وانما كانت النار المذكورة في القرآن
في قصة ابرهيم عبارة عن غضب نمرود عليه وكونها لم تحرقه
اي لم يؤثر غضب الجبار لما ظهر عليه من الحجة بما اقامه من الادلة
فيما ذكر من افول الانوار وانها لو كانت الهة ما افلت فركب
له من ذلك دليلا فلما فرغ من قوله قال له بعض الحاضرين وهو
من اولياء الله تعالى ممن كان له هذا المقام والتمكن فانا اريك
انا صدق الله تعالى في ظاهر ما قاله من النار انها لم تحرق ابرهيم
عليه السلام وانه الله تعالى جعلها عليه بردا وسلاما وانا
اقوم لك في هذا المقام مقام ابرهيم عم في الذب عنه لانه
ذلك كرامة في حقي فقال الرجل المنكر هذا لا يكون فقال له
اليست هذه هي النار المحرقة قال نعم فقال تراها في نفسك
ثم القى النار التي هي في المنقل في حجر المنكر وبقيت على ثيابه مدة
يقلبها المنكر بيده فلما راها ما حرقته تعجب ثم ردها الى المنقل ثم قال
له قرب يدك ايضا منها فقرب يده فاحرقته النار فقال
له هكذا الامر كان وهي مامورة تحرق بالامر وتترك الاحراق
كذلك والله الفاعل لما يشاء، فاسلم ذلك المنكر واعترف
انتهى فقد تبين ان قول من قال يؤثر بطبعها يبطل بافتقار
كل ما سواه اليه لانها لو كانت تؤثر بطبعها فيما قارنها لزم
انه يفتقر ذلك المقارن اليها ويستغني عن الله عز وجل وذلك
محال لوجوب افتقار كل ما سواه اليه واما من قال انها تؤثر
بقوة جعلها الله تعالى فيها فيبطل قوله باستغنائه عز وجل عن كل ما سواه

استدل الخليل صلوات الله على نبينا وعليه
بحدوث الجواهر على وجود الواجب
حيث قال لا احب الافلين فالافول
حادث ومحل الافول اي الجوهر حادث
اذ محل الحوادث حادث ومقصود الخليل
صلوات الله على نبينا وعليه اما ان
نفي الالهية عن الكواكب واثبات
الواجب تعالى وتقدس
منه

لانه لو كان الامر كما زعم لزم ان يكون الله تعالى لا يقدر
على فعل بعض الممكنات الا بواسطة وهي القوة التي تخلق في النار
ونحوها من الاسباب العادية فيكون مفتقرا اليها فالمذهب
المختار ان منشا احتياج الممكن الموجود الى المؤثر كونه ممكنا
وهذا الوصف لا ينفك عنه مطلقا فهو محتاج على كل حال
والاعتقاد الصحيح ان الله تعالى خلق للعباد قدرة على افعالهم
الاختيارية تقارنها ولا تؤثر فيها وانما المؤثر هو الله تعالى
وحده والقدرة توجد الافعال الاختيارية عندها لا بها
ولا فيها كالنار بالنسبة الى الاحراق والله الموفق **فصل**
فاذا عرفت تضمن قولنا لا اله الا الله ما يجب في حقه تعالى
وما يجوز وما يستحيل فاعلم ان قولنا محمد رسول الله يدخل فيه الايمان
بسائر الانبياء والملائكة عليهم السلام والكتب السماوية
واليوم الآخر لانه صلى الله عليه وسلم جاء بتصديق جميع ذلك اذ لا شك
انه تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في انه رسول الله بما دلت عليه معجزاته
التي لا تحصى يستلزم التصديق بكل ما جاء به ويؤخذ منه وجوب صدق
الرسل واستحالة الكذب عليهم والا لم يكونوا رسلا امناء
لله عز وجل واستحالة فعل المنهيات كلها لانهم ارسلوا ليعلموا
الخلق باقوالهم وافعالهم وسكوتهم ويؤخذ منه جواز الاعراض
البشرية عليهم اذ ذاك لا يقدح في رسالتهم وعلو منزلتهم عند الله تعالى
بل ذاك مما يزيد فيها فقد تبين تضمن كلمتي الشهادة مع قلة حروفها
بجميع ما يجب على المكلف معرفته من عقايد الايمان في حقه تعالى
وفي حق رسله عليهم الصلوة والسلام فمن كان اعتقاده كذلك
نجا من جميع المهالك واعتصم بالحبل المتين وهو الصراط المستقيم بين

والترجيح بلا مرجح جائز عند المتكلمين في الفاعل المختار
كاختيار الجائع احد الرغيفين والهارب احد
الطريقين وانما الممتنع الترجح بلا مرجح منه

فالله سبحانه وتعالى خالق افعال العباد وغيرها كلها
لا خالق غيره لكن للعباد اختيارات جزئية
وارادات قلبية قابلة للتعلق بكل من الضدين
الطاعات والمعاصي وليس لها وجود في الخارج
حتى يحتاج الى الخلق وتعلق فلك الخلق بها
اذ الخلق اخراج المعدوم من العدم الى الوجود فما
لا يوجد في الخارج لا يكون مخلوقا فلا يكون موجدها
خالقها وقد جعلها الله تعالى شرطا عاديا لخلقه افعال
العباد فلو صرف العبد اختياره الجزئي الى جانب الخير
خلقه الله تعالى والشر كذلك وكون افعال العباد
بعلم الله وارادته وتقديره وكتبه في اللوح لا يستلزم
كون صدورها من العباد بالجبر مطلقا وهذا معنى
قول الصحابة والتابعين لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين
امرين فعلى هذا لا جبر مطلق وانه قال الاشعري
بالجبر المتوسط اعني كون افعال العباد باختيارهم
لا بالاضطرار كما تقول الجبرية فانه جبر محض
ولكن الاختيار من الله بالجبر والاضطرار
فقال الاشعرية نحن مختارون في افعالنا
مضطرون في اختيارنا لانه بمراد الله تعالى
وقدرته وليس الجزء الاختياري من المعدوم
المحض كما ليس من الموجود كذلك فهذا معنى الجبر
المتوسط وعندنا كما تقدم من عدم
استلزام كون صدورها
من العباد بالجبر مطلق
فلا جبر مطلقا
منه

بين المسالك واكثر ما اغتر به المبتدعة ظواهر الكتاب والسنة التي
لم يحيطوا بعلمها فان عمدتهم التقليد بما لا اصل له وبما لا يصلح الاقتداء به
وتركوا الانظار الزكية العقلية المستضيئة بانوار الادلة السمعية الشرعية
من الكتاب والسنة السنية ولهذا قيل ان اصول الكفر ستة الايجاب
الذاتي والتحسين العقلي والربط العادي والتقليد الردي والجهل
المركب والتمسك في اصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة
والجهل بادلة العقول وعدم الارتياض باساليب الكلام فالاول
وهو الايجاب الذاتي هو اصل كفر الفلاسفة حيث جعلوا الذات
العلية فاعلة بمقتضى الايجاب فقالوا لاجل ذلك بنفي القدرة
والارادة وسائر الصفات تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وقالوا
لاجل ذلك بقدم العالم وتركوا البرهان القطعي الدال على حدوثه
ولا شك انك عرفت بما سبق وجوب الحدوث للعالم ووجوب
القدم والبقاء له تعالى وعرفت قطعا ان صدور العالم عنه تعالى انما هو
بمحض الاختيار لا بالايجاب الذاتي والثاني وهو التحسين العقلي اصل
كفر البراهمة من الفلاسفة حتى نفوا النبوات واصل ضلالة المعتزلة
حتى اوجبوا على الله مراعاة الصلاح والاصلح لخلقه وعللوا افعاله
واحكامه بالاغراض وجعلوا العقل يتوصل وحده دون شرع الى احكام
الله تعالى الى غير ذلك من الضلالات حتى حكي انه وقعت مناظرة بين
الشيخ الاشعري والجبائي في مسالة مراعاة الصلاح والاصلح فقال
الشيخ الاشعري للجبائي ما تقول في ثلثة اشخاص مات احدهم قبل البلوغ
والاخر مات بعد البلوغ كافرا والاخر مات بعد مومنا فقال الجبائي
اما الصغير ففي الجنة واما الكافر الكبير ففي النار واما الكبير المومن
ففي الدرجات العلى فقال الشيخ ما بال الصغير قصر به عن درجة الكبير المومن

فقال الجبائي لانه لم يعمل فقال الشيخ فمن جهته على مذهبكم له ان يقول
يا رب كان الاصلح في حقي ان تبقيني حيا حتى اصل بالدرجة العليا
فقال الجبائي جوابه ان يقول الله تعالى له علمت انك لو بقيت الى سن
التكليف لكفرت فتخلد في النار فالاصلح في حقك موتك صغيرا كما فعلت
بك لسلامتك من الخلود في النار التي هي اعظم غنيمة فكيف وقد زدتك
على ذلك فقال له الشيخ فاذا يقوم الثالث الذي مات كبيرا كافرا
بل كل كافر يقول يا رب كنا نرضى منك بادنى مرتبة هذا الصبي فما لنا
لم تمتنا صغارا قبل التكليف وقد علمت منا الكفر بعده كما فعلت
بهذا الصبي فبهت الجبائي ولم يقدر ان يجيب بكلمة فقال له الشيخ
وقف حمار الشيخ في العقبة ثم قال قد تعالى ان توزن احكام ذي
الجلال بميزان الاعتزال لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولو شاء
ربك لجعل الناس امة واحدة والثالث وهو التقليد الردي
هو اصل كفر عبدة الاوثان وغيرهم حتى قالوا انا وجدنا اباءنا على امة
وانا على آثارهم مقتدون ولهذا قالوا لا يكفي التقليد في عقايد الايمان
والرابع الربط العادي وهو اصل كفر الطبايعيين ومن تبعهم من الجهلة فرأوا
ارتباط الشبع بالاكل والري بالماء ونحو ذلك ففهموا من جهلهم
ان تلك الاشياء هي المؤثرة فيما ارتبط وجوده معها اما بطبعها
واما بقوة وضعها الله تعالى فيها واهل السنة نور الله بصائرهم
لم يفتتنوا بشيء من الاكوان واظهر الله لهم الحقايق على ما هي عليه في نفس الامر
حتى نجيهم من آفات الكفر والبدع فقالوا ان الله سبحانه وتعالى
اجرى العادة باختياره ان يخلق تلك الاشياء عندها والخامس
الجهل المركب وهو ابتلى به كثير مما لا يلتفت اليه فتجدهم يعتقدون
الشيء على خلاف ما هو عليه وذلك جهل والمتصف به مفتون ثم جهلوا انهم

انهم جاهلون وذلك جهل آخر ولذلك سمي جهلا مركبا كاعتقاد الفلاسفة
التاثير للافلاك واعتقادهم قدمها والسادس التمسك في اصول
العقايد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير بصيرة في العقل وهو اصل
ضلالة الحشوية فقالوا بالتشبيه والتجسيم والجهة عملا بظاهر قوله
تعالى الرحمن على العرش استوى ا امنتم من في السماء لما خلقت بيدي
ونحو ذلك وقال تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات
محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ
فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله الاية هذا فنبينا
صلى الله عليه وسلم قد خص بجوامع الكلم وبدايع الحكم فتحت كل ذرة
من كلامه درة نفيسة فانظر كيف اختار لامته في ترجمة الايمان ما يعجز
عن وصفه اللسان وهي كلمة الشهادة السهلة على اللسان المنورة
للجنان الثقيلة في الميزان قد جعلها الشرع ترجمة على ما في القلب من الاسلام
ولم يقبل من احد المكلفين التصديق القلبي الا بها فاذا قالها اثمرت
له عصمة النفس والمال الا بجناية توجب قصاصا بحسب النص المشروع
فذكر هذه الكلمة الشريفة شرط لصحة ايمان الكافر واما المؤمن فلا بد
ان يذكرها ولا اقل مرة في عمره بخلوص القلب وفي التفسير الكبير انه من عرف
الله وعرف انه لا اله الا الله تباعد عنه الشيطان والهوى لان الهوى
اله سوى الله يعبد بدليل قوله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وقال
تعالى لموسى خالف هواك فاني ما خلقت خلقا نازعني في ملكي الا الهوى
ومن عرف انه رحمن لم يغضب لان منشأ الغضب طلب الولاية
والولاية للرحمن لقوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن ومن عرف انه
رحيم وجب ان يتشبه به في كونه رحيما واذا صار رحيما لم يظلم
نفسه ولم يلطخها بالافعال البهيمية انتهى قال في الاحيا انه من مات

على الايمان وهو عاص ان لم يكن مظهرا لعفو الله تعالى يعذب عذابا يزيد
على عذاب المناقشة في الحساب ويكون كثرة العقاب من حيث
المدة بحسب مدة كثرة الاصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر
ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف السيئات وعند انقضاء
مدة العقاب ينزل البله المقلدون في درجات اصحاب اليمين
واما المستبصرون العارفون ففي اعلى عليين ففي الخبر آخر من يخرج من النار
يعطى مثل الدنيا كلها عشرة اضعاف والمثلية لا تقتضي التقدير
بالمساحة باطراف الاجسام بانه يقابل فرسخ بعشرة بل بالشرف
واللطافة الا ترى ان قول القائل اخذ منه جملا واعطاه عشرة
امثاله صحيح مع انه لم يعط عشرة من مثل ما اخذ من الجمل بل اعطى مائة
دينار ويسوى ما اخذه عشرة دنانير والعارف عاجز عن تفهيم المقلد
القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة
اذ يقول الجنة في السموات كما ورد في الاخبار والسموات من الدنيا
فكيف يكون عشرة امثال الدنيا في الدنيا انتهى فاذا عرفت
هذا فاعلم ان من آمن وصدق النبي صلى الله عليه وسلم في جميع
ما علم بالضرورة مجيئه به ولم يشرك بالله ووصفه بما هو
اهل له من صفات الكمال ونزهه عن النقايص فهو من المفلحين
ولا يخلد في النار فانه كان عاصيا ولم يكن مظهرا لعفو الله تعالى
يعذب في النار جزاء بما كسبه من الآثام ثم يخرج منها ويدخل
الجنة وان كان مظهرا لعفوه تعالى فيدخل اولا وان لم يكن عاصيا
فيدخل اليها ويتفرج في درجاتها بفضل مالك الملك وكرمه
والله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب **الباب الثالث**
في بيان القيام بطاعته واجتناب معصيته وموالاة من اطاعه

اطاعه ومعاداة من عصاه وهذا البيان لا يكون الا بذكر بعض
الاعمال الظاهرة وبعض اسراره ليكون انموذجا على سائره
ولنذكر البعض الذي هو غرة الطاعات وراس القربات وغرة
اصحاب المناجاة وهي الصلوة عماد الدين وعصام المتقين وفيه
فصلان **الفصل الاول** في الطهارة وبيان اسرارها قال
الله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد
ليطهركم الاية وقال تعالى يحبون ان يتطهروا والله يحب
المتطهرين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة
وروي انه قال عليه الصلوة والسلام مفتاح الصلوة الطهور
وقال الطهور نصف الايمان **اعلم** ان الطهارة واجبة
عن كل ما قبح سواء كان قبيحا لذاته او قبيحا لوصفه وما كان قبيحا لذاته
وهو امراض القلب من الاخلاق الردية فيجب تطهير القلب عنها
بازالتها عنه قال علي كرم الله وجهه في تمثيل القلوب ان لله
تعالى في ارضه آنية وهي القلوب فاحبها اليه ارقها
واصفاها واصلبها ثم فسر ذلك فقال اصلبها في الدين
واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان وهذا اشارة الى قوله
تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم تريهم ركعا سجدا يبتغون
فضلا من الله ورضوانا الاية فلهذا لا يعفى عن قليلها وقد ورد
ان من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر لا يدخل الجنة وما كان
قبيحا لوصفه كالنجاسات مطلقا فوجوب الاحتراز عنها ليس لذاتها
بل لوصفها المنفر من الريح المنتن والطعم البشع واللون القبيح فاذا
لم يوجد ولم يتيقن بوجوده اذ يتيقن وجوده منفر ايضا فلا يجب الاحتراز
بل مع التيقن يعفى القليل في مواضع الضرورات اذ الضرورات

فان قلت ما الوجه في كون الطهور نصف الايمان ونصف الصلوة
اذ قد ورد ايضا الطهور شطر الصلوة قلنا وجهه الظاهر ان
مبنى الدين والايمان او الصلوة على امرين على التخلية
والنفي وعلى التحلية والاثبات الافعال والاقوال والاثبات
والى ذلك اشار في قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن
بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ويحتمل ان يراد بالطهور
معناه الظاهري فيجعل نصفا على سبيل المبالغة والاهتمام
للصلوة او للايمان بالنظر الى كمال مدخليته الطهارة في صحة
الصلوة وباعتبار ان الايمان يزيل نجاسة الباطن والطهور
يزيل نجاسة الظاهر وباعتبار ان الايمان تصديق بالقلب
واذعان بالظاهر والطهارة شرط للصلوة
التي هي انقياد بالظاهر منه

تتبع المحظورات قال في الاحيا، فذووا البصائر تفطنوا بهذه
الظواهر ان اهم الامور تطهير السرائر اذ يبعد ان يكون المراد
بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان عمارة الظاهر
بالتنظيف بافاضة الما، وتخريب الباطن وابقاؤه مشحونا
بالاخباث والاقذار هيهات هيهات فالطهارة لها اربع مراتب
الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث والفضلات
والثانية تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام والثالثة
تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة والرابعة
تطهير السر بالمعرفة عما سوى الله عز وجل وهي طهارة الانبيا
والصديقين والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها
قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم لانهما لا يجتمعان في قلب
وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اعلم ان العبد ينال
الطبقة العليا بعد ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل
الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة
ما لم يفرغ عن طهارة القلب عن الاخلاق المذمومة ولن يصل
ذلك ما لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها
بالطاعات فلا تظنن ان هذا الامر يدرك بالتمني وينال
بالهوينا نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم
من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التي هي كالقشر الاخير
بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن فيه ويستقصي في مجاريها
يستوعب جميع اوقاته في الاستنجا، وغسل الثياب وتنظيف الظاهر
وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة ان الطهارة
المطلوبة هي هذه فقط وجهالة بسيرة الاولين واستغراقهم جميع الهم

في تطهير القلوب وتساهلهم في امر الظاهر حتى ان عمر رض
مع علو منصبه توضأ من ما، في انا، نصرانية وحتى انهم ما كانوا
يغسلون اليد عن الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم
باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا
يصلون على الارض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات
ومن كان لا يجعل بينه وبين الارض حاجزا في مضجعه كان من اكابرهم
وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجا وروي عن اهل
الصفة كابي هريرة وغيره كنا ناكل الشوا، فتقام الصلوة
فندخل اصابعنا في الحصا ثم نفركها بالتراب ونكبر ويقال
اول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلعم اربعة المناخل والاشنان
والموائد والشبع فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن انتهى
وفي التاتارخانية وفي الاصل الصبي اذا ادخل يده في كوز ما،
او رجله فانه علم ان يده طاهرة بيقين يجوز التوضؤ
بهذا الما، وان علم ان يده نجسة بيقين لا يجوز التوضؤ به
وان كان لا يعلم انه طاهر او نجس فالمستحب ان يتوضأ بغيره
لان الصبي لا يتوقى عن النجاسات عادة ومع هذا لو توضأ به
اجزاه انتهى وقال رحمه الله ايضا في الاحيا وقد انتهت
النوبة الآن الى طائفة يسمون الرعونة نظافة فاكثر اوقاتهم
في تزيينهم الظواهر والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب
والجهل والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولو اقتصر مقتصر
على الاستنجا، بالحجر او مشى على الارض حافيا او صلى على الارض
من غير سجادة مفروشة او توضأ من آنية عجوز او آنية
رجل غير متقشف لشددوا عليه النكير واستنكفوا من مواكلته

ومخالطته فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا انتهى
فيجوز التوضأ بما لا يتغير لونه او ريحه او طعمه واعلم ان الفقهاء
رحمهم الله قد اختلفوا في امر الطهارة والنجاسة وفي اختلافهم
اربعة مذاهب الاول مذهب الحنفية قال بعضهم الماء الجاري
لا يتنجس لوقوع النجاسة ما لم يتغير طعمه او لونه او ريحه مطلقا سواء
كان الماء غالبا او مساويا او اقل وسواء كان اختلط اكثر الماء
او نصفه او اقل بالنجس قيل وعليه الفتوى وجعل بعضهم هذا القول
قول ابي يوسف واما عندهما فانه كانت النجاسة غير مرئية
فلا يتنجس وان كانت مرئية فان لاقى اكثر الماء النجاسة او نصفه
فنجس وان اقله فطاهر واما الماء الراكد فانه كان كثيرا فكالماء الجاري
والا فيتنجس بقليل نجاسة واختلفوا في حد الكثير والجمهور على انه عشر
في عشر قال صاحب الهداية وبه يفتى وقال ابن همام في ظاهر الرواية
يعتبر فيه اكبر راي المبتلي ان غلب على ظنه انه بحيث يصل النجاسة
الى الجانب الاخر لا يجوز الوضوء والا جاز وهذا اصح عند الكرخي
وصاحب الغاية والينابيع وهو الاليق باصل ابي حنيفة رحمه الله انتهى
مختصرا والثاني مذهب مالك ومن تبعه ان الماء طاهر الا ان تغير
احد اوصافه اللون والريح والطعم بالنجس جاريا او راكدا قليلا او كثيرا
وبه قال الاوزاعي والليث بن سعد وعبد الله بن وهب واسمعيل
بن اسحق ومحمد بن بكير وحسن بن صالح واحمد في رواية لقوله
صلعم ان الماء طاهر الا ان يتغير ريحه او طعمه او لونه بنجاسة ووجهه
المعقول ان الماء في طبعه احالة كل شيء الى نفسه فاذا لم يظهر اثر
النجاسة يظهر انها انقلبت ماء فتطهر كالجيفة الملقاة في البحر
المالح فانقلبت ملحا فانها طاهرة عند غيره ايضا لانقلاب الحقيقة

الحقيقة وهو الاصل كالخمر اذا صارت خلا وقال مالك وعطاء
والثوري والنخعي واحمد بن حنبل ببول ما يؤكل لحمه وروثه طاهر
والثالث مذهب الشافعي ومن تبعه ان الماء اذا بلغ قلتين وهي خمسمائة
رطل لا يتنجس الا بتغير احد اوصافه لقوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ
الماء قلتين لا يحمل نجسا والرابع مذهب الظاهرية ان الماء لا يتنجس
اصلا جاريا او راكدا قليلا او كثيرا تغير لونه او طعمه او ريحه او لم يتغير
لقوله صلى الله عليه وسلم الماء طهور لا ينجسه شيء ورئيس الظاهرية
داود وله اصفهاني من المجتهدين من اهل السنة والجماعة والقاعدة الكلية
في الماء وغيره ان الاصل في الاشياء الطهارة لما ذكر في عامة
الفتاوى واليقين لا يزول بالشك والظن بل يزول بيقين مثله
وفي الخلاصة ويكره للرجل ان يستخلص لنفسه اناء يتوضأ منه
ولا يتوضأ به غيره وفيه يتوضأ بماء الحوض الذي يخاف ان يكون
فيه قذر ولا يستيقنه وليس عليه ان يسأل ولا يدع التوضي منه
حتى يستيقن انه قذر وفيه وكذلك لا باس بالوضوء في حب يوضع
كوزه في نواحي البيت ويشرب منه ما لم يعلم انه قذر وفيه
ماء الثلج اذا جرى على الطريق وفي الطريق نجاسات ان تغيبت
النجاسات فيها واختلطت بحيث لا يرى لونها ولا اثرها يتوضأ
منه انتهى وفي التاتارخانية قال محمد رحمه الله في الجامع
الصغير عقرب او نحوها مما لا دم له تموت في الماء او ضفدع او سمكة
او سرطان او نحوه مما يعيش في الماء تموت في الحب لا يفسد
الماء عندنا وفيه ايضا واما ما له دم سائل فانه كان بريا بحيث
لا يعيش في الماء فموته يوجب نجاسة ما مات فيه الماء وغيره في المائعات
في ذلك على السواء وان كان مائيا انه كان لا يعيش الا في الماء

لا يتنجس في ظاهر رواية اصحابنا وفيه سئل ابو نصر رحمه الله عمن يغسل
الدابة يصيبه من مائها او من عرقها قال لا يضره ذلك قيل فان كانت
تمرغت في بولها وروثها قال اذا جف وتناثر وذهب عينه
لا يضره ايضا وفي العتابية فعلى هذا اذا اجرى الفرس في الماء
وابتلت ذنبه فضرب به راكبه ينبغي انه لا يضره وفيه السخلة
اذا خرجت من امها فتلك الرطوبات طاهرة لا يتنجس بها
الثوب ولا الماء وكذلك البيضة وفيه الرطوبة التي على الولد
عند الولادة طاهرة وفيه نوع اخر في ماء الابار الابار عندنا بمنزلة
الحوض الصغير يفسد ماؤه مما يفسد به ماء الحوض الصغير لان عرض
الابار في الغالب يكون اقل من عشرة في عشرة حتى لو كان بئر
عرضها عشرة في عشرة لا يحكم بنجاستها بوقوع النجاسة
فيها ما لم يتغير لون الماء او طعمه او اثره انتهى كلام التاتارخانية
فللطهارة كما عرفت مراتب فطهارة الظاهر ثلثة اقسام طهارة
عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن
القسم الاول في طهارة الخبث اعلم ان النجاسات كلها لا يعفى
عن قليلها وكثيرها الا من خمسة الاول اثر النجو بعد الاستجمار بالحجر
فهو معفو عنه ما لم يعد المخرج والثاني طين الشارع وغبار
الروث في الطرق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر
الاحتراز عنه والثالث ما على اسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطريق
عنه فيعفى منه بعد الدلك للحاجة وفي فتاوى قاضيخان لو كانت
الارض نجسة فخلع نعليه وقام على نعليه جاز اما اذا كان النعل ظاهره
وباطنه طاهرا فظاهر وانه كان مما يلي الارض منه نجسا فكذلك
وهو بمنزلة ثوب ذي طاقين اسفله نجس وقام على الطاهر انتهى

انتهى والرابع دم البراغيث ما قل عنه او كثر الا اذا جاوز حد العادة
سواء كان في ثوبك او ثوب غيرك فلبسته وفي فتاوى قاضيخان
ذباب المستراح اذا جلس على ثوب لا يفسده الا ان يغلب
ويكثر وفيه اذا نام الكلب على حصير المسجد ان كان يابسا لا يتنجس
وان كان رطبا ولم يظهر اثر النجاسة فيه فكذلك وفيه الطين
النجس يجعل منه الكوز والقدر فيطبخ يكون طاهرا وفيه بعر الفارة
اذا وقعت في حنطة فطحنت الحنطة لا باس باكل الدقيق الا ان يكون
كثيرا يظهر اثره بتغيير الطعم او غيره خبز وجد في خلاله بعر الفارة
ان كان البعر على صلابته يرمى البعر ويؤكل الخبز انتهى والخامس
دم البثرات وما يترشح منها اذا كان اقل من قدر الدرهم القسم
الثاني طهارة الاحداث وفيها الوضوء والغسل والتيمم روى
انه صلعم توضأ مرة مرة وقال وضوء لا يقبل الله الصلوة الا
به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين اتاه الله
اجره مرتين وتوضأ ثلثا ثلثا وقال هذا وضوئي ووضوء
الانبياء من قبلي ووضوء ابرهيم وفي مختارات النوازل والفرض
فيه المرة الاولى اذا كانت سابغة والتثليث فيه سنة لكمال
للغوض انتهى القسم الثالث التنظيف عن الفضلات الظاهرة سواء
كانت من الرطوبات المترشحة وهي ثمانية او مما يحدث من البدن
من الاجزاء وهي ايضا ثمانية فالاول من الاول ما يجتمع في شعر
الراس من الدرن والقمل الثاني ما يجتمع من الوسخ في معاطف الاذن
الثالث ما يجتمع في داخل الانف من الرطوبات المنعقدة بجوانبه
ويزيلها الاستنشاق الرابع ما يجتمع على الاسنان واطراف
اللسان ويزيلها السواك والمضمضة الخامس ما يجتمع في اللحية من الوسخ

والقمل السادس ومسح الرأس ايضا السابع تنظيف رؤس
الاصابع وما تحت الاظفار من الوسخ الثامن الدرن الذي
يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك
يزيله الحمام واما الثمانية التي يحدث في البدن من الاجزاء فاولها
شعر الرأس الثاني شعر الشارب روي انه عليه الصلوة
والسلام قال قصوا الشوارب وفي رواية احفوا الشوارب
واعفوا اللحى اي اجعلوها حفاف الشفة اي حولها وحفاف الشيء
حوله ومنه قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش الثالث
شعر الابط الرابع شعر العانة ويستحب ازالته اما بالحلق او بالنورة
فقد قيل الحمام بعد النورة امان من الجذام وقيل ان النورة في كل
شهر تطفئ المرار وتزيد في الجماع الخامس قلم الاظفار ويستحب
لبشاعة صورتها اذا طالت السادس السرة فتقطع
في اول الولادة السابع قلفة الحشفة روي عن النبي صلعم الختان
سنة للرجال مكرمة للنساء الثامن ما طال من اللحية وفي اللحية
عشرة خصال مكروهة بعضها اشد من بعض وهو خضابها
بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها
والنقصان منها والزيادة فيها وتسريحها تصنعا لاجل
الريا وتركها اظهارا للزهد والنظر في سوادها عجبا
بالشباب والى بياضها تكبرا بعلو السن وخضابها بالحمرة والصفرة
من غير نية تشبها بالصالحين

الفصل الثاني في الصلوة وبيان اسرارها

قال الله تعالى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خمس صلوات
كتبهن الله عز وجل على العباد فمن جاء بهن ولم يضع منهن شيئا استخفافا

استخفافا بحقهن كان له عند الله ان يدخله الجنة ومن لم يأت
بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء ادخله الجنة
وايضا انه قال الصلوة عماد الدين فمن اقامها فقد اقام الدين
ومن تركها فقد هدم الدين قال في اصول البزدوي والاصل
في فروع الايمان هو الصلوة وهي عماد الدين الذي يشمل ظاهر
الانسان وباطنه قال في التقرير لانها على خدمة ظاهر
البدن من القيام والركوع والسجود والقعود على هيئة خاصة
وباطنه كالنية والخشوع وحضور القلب وهذا لانها عبادة
بدنية شرعت شكر النعمة البدن ونعمة البدن ظاهرة كالاعضاء السليمة
وما يحصل بها في القلب من حالة الى حالة وباطنة كالقوى النفسانية
المدركة للمعاني وشكر كل شيء بما يناسبه انتهى وسئل صلعم اي الاعمال
افضل قال الصلوة في وقتها وروي انه عليه السلام قال اسوء
الناس سرقة من يسرق من صلوته وقال ابن مسعود والصلوة
مكيال فمن اوفى وفي له ومن طفف فقد علم ما قال الله في المطففين
وفي الخبر سبعة اشياء في الصلوة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة
والتثاؤب والحكاك ومسح الوجه وتسوية الحصا والنهي عن تشبيك
اصابعه او يفرقع او يستر وجهه او يضع احدى كفيه على الاخرى
ويدخلهما تحت فخذيه في الركوع اعلم انه اللازم اللائق بحال المصلي
انه يكون شروعه الى الصلوة بقلب سليم فانه كان يصلي بحضور
القلب مهما امكن فيها وتمت فان حضور القلب وان لم يكن شرطا
للتعذر عندنا كما كان شرطا عند الش فيه لكن زيادة اجره
وفضله ثابت عند الكل قال حجة الاسلام في الاحياء قال عبد الواحد
ابن زيد اجمعت العلماء على انه ليس للعبد من صلوته الا ما عقل منها

والحق الرجوع الى الشرع ولا يمكن ان يشترط على الناس احضار
القلب في جميع الصلوة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين
واذا لم يكن الاستيعاب للضرورة فلا مرد الا ان يشترط منه
ما ينطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة واولى اللحظات
به لحظة التكبير فاقتصرنا بغنا الشافعية على التكليف بذلك
ونحن مع ذلك نرجو ان لا يكون حال الغافل في جميع صلوته
مثل حال التارك بالكلية فانه اقدم على الفعل ظاهرا واحضر
القلب لحظة وحاصل الكلام انه حضور القلب هو روح الصلوة
وان اقل ما يبقى الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك
وبقدر الزيادة ينبسط الروح في اجزاء الصلوة فكم من حي لا حراك
به قريب من ميت فصلوة الغافل في جميعها الا عند التكبير حي
لا حراك به وتفصيله انه لا تغفل عن التنبيهات التي في شروط
الصلوة واركانها فاذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك
هول النداء يوم القيمة قال صلى الله عليه وسلم ارحنا يا بلال
اي بها وبالنداء اليها اذ كان صلعم قرة عينه فيها واما
الطهارة فاذا اتيت بها في مكانك وهو ظرفك الابعد
ثم في ثيابك وهي غلافك الاقرب ثم في بشرتك وهي قشرك
الادنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد
له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرط فطهر بها باطنك واما
ستر العورة فاعلم ان معناه تغطية مقابح بدنك عن ابصار
الخلق فانه ظاهر بدنك موقع نظر فما رايك في عورات
باطنك وفضائح سرك الذي لا يطلع عليه الا ربك فاحضر
تلك القبائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يستر

لا يستر عن عين الله ساتر وانما يكفرها الندم والحياء فمن مكانها
واما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات
الى جهة بيت الله تعالى افترى ان صرف القلب عن سائر الامور
الى امر الله تعالى ليس مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب سواه
واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالصرف عن غيرها
فكذلك لا ينصرف القلب الى الله تعالى الا بالتفريغ عما سواه
وليس المراد بالوجه في قوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
وجه الظاهر فانك انما وجهته لجهة القبلة والله تعالى يتقدس عن تحده
الجهات حتى تقبل بوجه بدنك اليه وانما وجه القلب هو الذي
يتوجه الى فاطر السموات فانظر اليه متوجه هو الى امانيه او مقبل على فاطر
السموات واياك وان يكون اول مفاتحتك المناجاة بالكذب
ولن ينصرف الوجه اليه تعالى الا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال
في صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام ليكون قولك في الحال
صادقا واما الاعتدال قائما فاعلم انك في الحال قائم بين يدي
الله تعالى وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك
الزمان وان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله سال ابو هريرة رضي الله عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال كيف الحياء من الله تعالى فقال صلعم
تستحيي منه كما تستحيي من الرجل الصالح من قومك واما النية فاعزم
على اجابة الله عز وجل في امتثال امره بالصلوة واتمامها
والكف عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله
تعالى رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه واما التكبير
فاذا نطق به لسانك فينبغي ان لا يكذبه قلبك وما اعظم الخطر
في ذلك لولا الاستغفار في ذلك وحسن الظن بكرم الله تعالى

ولطفه اذ روی ما اصر من استغفر وانه عاد فی الیوم سبعین مرة
قال تعالی والذین اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذکروا الله
فاستغفروا لذنوبهم ومن یغفر الذنوب الا الله ولم یصروا
علی ما فعلوا وهم یعلمون اولئک جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات
تجری من تحتها الانهار خالدین فیها ونعم اجر العاملین انتهی
کلامه وفی التفسیر الکبیر اعلم ان الاقدام علی الطاعات لا یتیسر الا بعد الفرار
من الشیطان وذلک هو الاستعاذة فقوله اعوذ بالله اعتراف
بعجز النفس وبقدرة الرب وهذا یدل علی انه لا وسیلة الی القرب
من حضرة الله تعالی الا بالعجز والانکسار فمن عرف نفسه بالضعف
والقصور عرف ربه بانه هو القادر علی کل مقدور ومن عرف
نفسه بالجهل عرف ربه بالفضل والعدل ومن عرف نفسه باختلاف
الحال عرف ربه بالکمال والجلال والاستعاذة هی الالتجاء
الی قادر یدفع الآفات عنک فالشیطان عدو الانسان والانسان
عند الشروع الی الطاعات والعبادات خاف العدو واجتهد
فی انه یتحری مرضاة مالکه لیخلصه من ذلک العدو وحیث انه غافل
عنه قال تعالی انه یراکم هو وقبیله من حیث لا ترونهم فعلی هذا
لک عدو غائب وحبیب غالب لقوله تعالی والله غالب
علی امره فاذا قصدک العدو الغائب فافزع الی الحبیب الغالب
وقال ایضا لما تعلق قلب الانسان بغیر الله وجری لسانه بغیر
ذکر الله تعالی حصل فیه نوع من اللوث فلا بد من استعمال الطهور
فلما قال اعوذ بالله فعند ذلک یستعید للصلوة الحقیقیة وهی
ذکر الله تعالی قال الصادق انه لابد قبل القراءة فی التعوذ واما
سائر الطاعات فانه لا یتعوذ فیها والحکمة فیه ان العبد قد نجس لسانه

لسانه بالکذب والغیبة والنمیمة فامر الله تعالی العبد بالتعوذ
لیصیر لسانه طاهرا فیقرأ بلسانه طاهر کلاما نزل من رب قادر
کانه سبحانه یقول انه شیطان رجیم وانا رحمن رحیم فابعد عن الشیطان
الرجیم لتتصل الی الرحمن الرحیم اعلم ان المصلی اذا قصد الصلوة
صار من جملة من قال الله فی صفتهم یریدون وجهه ومن اراد
الدخول علی السلطان العظیم وجب علیه ان یطهر نفسه من الادناس
والانجاس ولهذا التطهیر مراتب المرتبة الاولی التطهیر
من دنس الذنوب بالتوبة کما قال تعالی یا ایها الذین آمنوا
توبوا الی الله توبة نصوحا ومن کان فی مقام الزهد کانت طهارته
من الدنیا حلالها وحرامها ومن کان فی مقام الاخلاص کانت طهارته
من الالتفات الی اعماله ومن کان فی مقام المحسنین کانت طهارته
من الالتفات الی حسناته ومن کان فی مقام الصدیقین کانت طهارته
من کل ما سوی الله وبالجملة فالمقامات کثیرة والدرجات متفاوتة
وکانها غیر متناهیة کما قال تعالی فاقم وجهک للدین حنیفا
فطرة الله التی فطر الناس علیها لا تبدیل لخلق الله فاذا اردت
ان تکون من جملة من قال الله فیهم یریدون وجهه فقم قائما واحضر
فی نفسک جمیع مخلوقات الله تعالی من عالم الاجسام والارواح
وذلک بان تبتدئ من نفسک وتستحضر فی عقلک جملة اعضائک
البسیطة والمرکبة وجمیع قواک الطبیعیة والحیوانیة والانسانیة
ثم تستحضر فی عقلک جملة ما فی هذا العالم من انواع المعادن والنبات
والحیوان من الانسان وغیره ثم ضم الیه البحار والجبال والتلال
والمفاوز وجملة ما فیها من عجایب النبات والحیوان وذرات الهباء
ثم ترق منها الی سماء الدنیا حتی تصل الی سدرة المنتهی والرفرف

واللوح والقلم والجنة والنار والكرسي والعرش العظيم ثم استحضر
في عقلك جميع الارواح المتعلقة بالجبال والبحار مثل ما قاله الرسول
صلى الله عليه وسلم عن ملك الجبال وملك البحار ثم استحضر ملائكة
سماء الدنيا وملائكة جميع السموات السبع كما قال عليه السلام ما في السموات
موضع شبر الا وفيه ملك قائم او قاعد واستحضر جميع الملائكة
الحافين حول العرش وجميع حملة العرش والكرسي ثم ما هو خارج
هذا العالم كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فاذا استحضرت
جميعها فقل الله اكبر وتريد بقولك الله الذات الذي حصل بايجاده
وجود هذه الاشياء وحصلت لها كمالاتها في صفاتها وافعالها
وتريد بقولك اكبر انه منزه عن شبهتها ومشاكلتها بل هو منزه
عن ان يحكم العقل بجواز مقايسته بها ومناسبته اياها والوجه الثاني
في تفسير هذا التكبير انه عليه السلام قال الاحسان ان تعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فتقول الله اكبر من ان لا يراني
ومن ان لا يسمع كلامي والوجه الثالث ان يكون المعنى الله اكبر
من ان يصل اليه عقول الخلق واوهامهم وافهامهم قال علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه التوحيد ان لا يتوهم الوجه الرابع ان يكون المعنى الله
اكبر من ان يقدر الخلق على قضاء حق عبوديته فطاعتهم قاصرة عن خدمته
وثناؤهم قاصر عن كبريائه وعلومهم قاصرة عن كنه صمديته ثم
واجعل سورة الفاتحة مرآة لك تبصر فيها عجائب عالم الدنيا
والاخرة وتطلع فيها انوار اسماء الله الحسنى وصفاته العلى
والاديان السالفة والمذاهب الماضية واسرار الكتب الالهية
والشرايع النبوية وتصل الى الشريعة ومنها الى الحقيقة وتطالع
درجات الانبياء والمرسلين ودركات الملعونين الضالين فاذا قلت

فاذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فابصر به الدنيا اذ باسمه قامت
السموات والارضون واذا قلت الحمد لله رب العالمين ابصرت
به الاخرة اذ بكلمة الحمد قامت الاخرة كما قال تعالى وآخر دعواهم
ان الحمد لله رب العالمين واذا قلت الرحمن الرحيم فابصر به
عالم الجمال والرحمة والفضل والاحسان واذا قلت مالك
يوم الدين فابصر به عالم الجلال وما يحصل به من الاحوال والاهوال
واذا قلت اياك نعبد فابصر به عالم الشريعة واذا قلت واياك
نستعين فابصر به الطريقة واذا قلت اهدنا الصراط المستقيم فابصر به
الحقيقة واذا قلت صراط الذين انعمت عليهم فابصر به درجات
ارباب السعادات واصحاب الكرامات من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين واذا قلت غير المغضوب عليهم فابصر به
مراتب مشاق اهل الفسق في الآفاق واذا قلت ولا الضالين
فابصر به دركات اهل الكفر والشقاق والخزي والنفاق على كثرة
درجاتها وتباين اطرافها واكنافها ثم اذا انكشفت لك
هذه الاحوال العالية والمراتب السامية فلا تظنن انك بلغت الغور
والغاية بل عد الى الاقرار للحق بالكبرياء ولنفسك بالذلة والمسكنة
وقل الله اكبر ثم انزل من صفة الكبرياء الى صفة العظمة وقل سبحان
ربي العظيم وان شئت ان تعرف ذرة من صفة العظمة فاعرف
انا بينا ان العظمة صفة العرش ولا يبلغ مخلوق بعقله كنه عظمة العرش
وانه يبقى الى آخر ايام العالم ثم اعرف ان عظمة العرش في مقابلة عظمة
الله تعالى كالقطرة في البحر فكيف يمكنك ان تصل الى كنه عظمة الله تعالى
فاذا ركعت وقلت سبحان ربي العظيم فعد الى القيام ثانيا
وادع لمن وقف وقفك واحمد حمدك وقل سمع الله لمن حمده فان

اذا سألتها لغيرك وجدتها لنفسك وهو المراد من قوله عليه السلام
لا يزال الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم فان قيل
ما السبب في انه لم يحصل في هذا المقام التكبير قلنا لان التكبير مأخوذ
من الكبرياء وهو مقام الهيبة والخوف والمقام مقام الشفاعة
وهما متباينان ثم اذا فرغت من هذه الشفاعة فعد الى التكبير والكبريا
الى صفة العلو وقل سبحان ربي الاعلى لان السجود اكثر تواضعا من الركوع
لا جرم الذكر المذكور في السجود هو ثناء المبالغة وهو الاعلى والذكر
المذكور في الركوع هو لفظ العظيم من غير بناء المبالغة فان قيل ما الحكمة
في السجدتين قلنا وجوه الاول ان السجدة الاولى للازل والثانية
للابد والارتفاع فيما بينهما اشارة الى الدنيا فيما بين الازل
والابد وذلك لانك تعرف بازليته انه هو الاول لا اول قبله
فتسجد له وتعرف بابديته انه الآخر لا آخر بعده فتسجد له ثانيا
الثاني قيل اعلم بالسجدة الاولى فناء الدنيا في الآخرة وبالسجدة الثانية
فناء الكل عند ظهور جلال الله تعالى الثالث السجدة الاولى
فناء الكل في انفسها والثانية بقاء الكل بابقاء الله تعالى كل
شيء هالك الا وجهه الرابع السجدة الاولى تدل على انقياد عالم
الشهادة بقدرة الله تعالى والسجدة الثانية تدل على انقياد عالم
الارواح لله تعالى كما قال تعالى الا له الخلق والامر الخامس السجدة
الاولى سجدة الشكر بمقدار ما اعطانا من معرفة ذاته وصفاته
والسجدة الثانية سجدة العجز والخوف مما لم يصل اليه من اداء حقوق
جلاله وكبريائه انتهى وفي الاحياء واما التشهد فاذا جلست
له فاجلس متأدبا وصرح ان جميع ما يدلي به من الصلوات والطيبات اي
الاخلاق الطاهرة لله وكذا الملك لله وهو معنى التحيات واحضر

في قلبك النبي صلعم وشخصه الكريم وقل السلام عليك ايها
النبي وليصدق املك في انه يبلغه ويرد عليك ما هو اوفى منه ثم سلم
على نفسك وعلى عباد الله الصالحين وتأمل ان الله تعالى يرد عليك
سلاما وافيا بعدد عباده الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد صلى الله
عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله تعالى باعادة كلمتي الشهادة
ومستانفا للتحصين بها ثم ادع في آخر صلواتك بالدعاء المأثور
واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلوة
واستشعر شكر الله على توفيقه اياك لاتمام هذه الطاعة انتهى قال
في التاتارخانية من اداب الصلوة اخراج الكفين من الكمين عند التكبير
ومنها ان يكون نظره في قيامه الى موضع سجوده وفي الركوع الى اصابع
رجليه وفي السجود الى ارنبة انفه وفي القعود الى حجره وفي الهداية
قال ويعتمد بيده اليمنى على اليسرى تحت السرة لقوله عليه السلام
ان من السنة وضع اليمين على الشمال تحت السرة وهو حجة
على مالك رحمه الله في الارسال وعلى الشافعي رحمه الله في الوضع
على الصدر ولان الوضع تحت السرة اقرب الى التعظيم وهو المقصود
ثم الاعتماد سنة القيام عند ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله
حتى لا يرسل حالة الثناء والاصل ان كل قيام فيه ذكر مسنون يعتمد فيه
وما لا فلا هو الصحيح فيعتمد في حالة القنوت وصلوة الجنازة ويرسل
في القومة وبين تكبيرات العيدين ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك
الى آخره وعن ابي يوسف رحمه الله انه يضم قوله وجهت وجهي الى آخره
لرواية علي رضي الله عنه انه عليه السلام كان يقول ذلك ولهما رواية
انس رضي الله عنه ان النبي عم كان اذا افتتح الصلوة كبر وقرأ سبحانك
اللهم وبحمدك الى آخره ولا يزيد على هذا وما رواه محمول على التهجد وقوله

جل ثناؤك لم يذكر في المشاهير فلا يأتي به في الفرائض والاولى ان يأتي
بالتوجه قبل التكبير ليتصل النية به هو الصحيح ويستعيذ بالله من الشيطان
الرجيم لقوله تعالى واذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان
معناه اذا اردت قراءة القرآن والاولى ان يقول استعيذ بالله
ليوافق القرآن ويقرب منه اعوذ بالله وفي التاتارخانية نقلا عن الحجة
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو المختار انتهى فاذا عرفت هذا
فاعلم ان من هذا شانه في الصلوة يكون مفلحا قال تعالى قد افلح المؤمنون
الذين هم في صلوتهم خاشعون فانهم يناجون الله تعالى على قدر
استطاعتهم في العبودية فليعرض الانسان نفسه على هذا فبالقدر
الذي يتيسر له ينبغي ان يفرح وعلى ما يفوته ينبغي ان يتحسر وكذلك
ينبغي ان يذكر الله تعالى اولا في كل عمل وفعل بقلبه ولسانه اذ بذكره
يتم الصالحات والغفلة في كل حال مخطرة الا ان يتغمده الله تعالى برحمته
اذ لا وسيلة الا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته **الباب الرابع**
في الاعتراف بنعمة الله تعالى وشكره اعلم ان مقام الشكر اجل والسعي
اليه مشكور وكيف لا وقد قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور
وروي عن عطاء قال دخلت على عايشة رضي الله عنها مع عبيد بن
عمر فقال لها عبيد بن عمر اخبرينا باعجب ما رأيت من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت اي شانه لم يكن عجبا انه اتاني
في ليلة فدخل معي في فراشي او قالت في لحافي حتى مس جلدي جلده ثم قال
يا ابنة ابي بكر ذريني اتعبد لربي قالت قلت اني احب قربك فاذنت له
فقام الى قربة من ماء فتوضأ واكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت
دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع راسه فبكى فلم يزل
كذلك حتى جاء بلال فاذنه بالصلوة فقلت يا رسول الله ما يبكيك

ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال
افلا اكون عبدا شكورا فلم لا افعل وقد انزل الله تعالى ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب قيل حقيقة
الشكر عند اهل التحقيق الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع وعلى هذا
يكون وصف الحق سبحانه بانه شكور توسعا ومعناه انه يجازي
العباد على الشكر فسمي جزاء الشكر شكرا كما قال تعالى وجزاء سيئة
سيئة مثلها وقيل شكره اعطاؤه الكثير من الثواب على العمل
اليسير ويحتمل ان يقال حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر احسانه
فشكر العبد لله ثناؤه عليه بذكر احسانه اليه وشكر الحق للعبد ثناؤه
عليه بذكر احسانه له وانعامه عليه فشكر العبد على الحقيقة انما هو النطق
واقرار القلب بانعام الرب فالشكر ينقسم الى اقسام شكر باللسان
وهو اعتراف بالنعمة بنعت الاستكانة وشكر بالبدن والاركان
وهو اتصاف بالوفاق والخدمة وشكر القلب وهو اعتكاف على بساط
القرب بادامة حفظ الحرمة ويقال شكر هو شكر العالمين يكون من جملة
اقوالهم وشكر هو نعت العابدين يكون نوعا من افعالهم وشكر هو
شكر العارفين يكون باستقامتهم له في عموم احوالهم وقال الجنيد
روح الله روحه الشكر ان لا ترى نفسك اهلا للنعمة وروي عن المرتعش انه
يقول سمعت الجنيد يقول كنت بين يدي السري وانا ابن سبع سنين
وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت
ان لا تعصي الله بنعمته فقال يوشك ان يكون حظك من الله لسانك
قال الجنيد فلا ازال ابكي على هذه الكلمة التي قالها السري وقال الشبلي
الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة وقيل شكر العامة على المطعم والملبس وشكر
الخواص على ما يرد على قلوبهم قيل قال داود عليه السلام الهي كيف اشكرك

وشكري لك نعمة من عندك فاوحى الله تعالى اليه الآن قد شكرتني
وقيل ان الشكر ليس حافظا للنعم فقط بل هو زعيم بزيادة النعم وامان
من النقم اعلم ان كل خير وسعادة بل كل مطلوب يسمى نعمة حقيقة
انما كانت معين على السعادة الاخروية فالامور كلها بالاضافة
الينا تنقسم الى ما هو نافع في الدنيا والاخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق
والى ما هو ضار فيهما كالجهل وسوء الخلق والى ما ينفع في الحال ويضر
في المآل كالتلذذ باتباع الشهوات والى ما يضر في الحال ويولم ولكن
ينفع في المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع في الحال والمآل
هو النعمة تحقيقا والضار فيهما تحقيقا هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع
في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوي الابصار وتظنه الجهال
نعمة قالوا في مثاله الجايع اذا وجد عسلا فيه سم فانه يعده نعمة ان كان
جاهلا واذا علمه علم ان ذلك بلاء سيق اليه والضار في الحال النافع
في المآل نعمة عند ذوي الالباب بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشع في الحال
مذاقه الا انه شاف من الامراض والاسقام وجالب الصحة والسلامة
فالصبي الجاهل اذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعده نعمة فلذلك تمنع الام
ولدها من الحجامة والاب يدعوه اليها والصبي لجهله يتقلد منة امه دون
ابيه ويأنس اليها والى شفقتها ولو عقل لعلم ان الام عدو باطن في صورة صديق
لان منعها اياه من الحجامة يسوقه الى امراض وآلام اشد من الحجامة فالصديق
الجاهل شر من العدو العاقل وكل انسان فهو صديق نفسه ولكنه صديق
جاهل فلذلك يعمل به ما لا يعمل به العدو واعلم ايضا ان الاسباب الدنياوية
مختلطة قد امتزج خيرها بشرها فقل ما يصفو كالمال والاهل والولد
والاقارب والجاه وسائر الاسباب ولكن ينقسم الى ما نفعه اكثر من ضره
في حق اكثر الاشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع والى ما يكافي ضره نفعه

وهذه امور تختلف بالاشخاص فرب انسان صالح ينتفع بالمال
الصالح وان كثر فينفقه في سبيل الله ويصرفه الى الخيرات فهو نعمة
في حقه مع نعمة التوفيق ورب انسان يستضر بالقليل ايضا
اذ لا يزال مستصغرا له شاكيا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون
ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه فالعاقل يعرف ان الدراهم والدنانير
مما يقصد لغيره ولا غرض اصلا في ذاته فان الحاجات مثلا لو كانت
لا تنقضي بهما لكانتا هما والحصباء بمثابة واحدة ولكن لما كانتا
وسيلتين الى اللذات صارتا عند الجهال محبوبتين في انفسهما
حتى يجمعونهما ويكنزونهما ويتصارفون عليهما بالربا ويظنون انهما
مقصودتان ومثال هولاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه
رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى في محبة الرسول الجامع محبة الاصل
فاعرض عنه بالكلية وهذا غاية الجهل فالنقدان في انفسهما من حيث هما
جوهران لا يوصفان بانهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان
نعمة في حق من يقصد امرا ليس يمكنه ان يتوصل اليه الا بهما فلو كان مقصده
العلم والعبادة ومعه الكفاية التي هي ضرورة حياته استوى عنده
الذهب والمدر فكان وجودهما وعدمهما بمثابة واحدة بل ربما
شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان
نعمة اعلم ان انواع النعم تنقسم الى نافع وجميل ولذيذ واللذيذ هو الذي
يدرك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في المآل والجميل هو
الذي يستحسن في سائر الاحوال والشر ايضا ينقسم الى ضار وقبيح
ومولم وكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد فالمطلق هو الذي
اجتمع فيه الاوصاف الثلثة اما في الخير فكالعلم والحكمة فانهما نافعة
وجميلة ولذيذة عند اهل العلم والحكمة واما في الشر كالجهل فانه ضار

وقبيح ومولم وانما يحس الجاهل بالم جهله اذا عرف انه جاهل بان يرى غيره
عالما ويرى نفسه جاهلا فيدرك الم النقص فينبعث منه شهوة العلم
للذته ثم قد يمنعه الحسد والكبر والشهوات البدنية عن التعلم فيتجاذبه
متضادان فيعظم المه فانه ان ترك التعلم تالم بالجهل ودرك النقصان
وان اشتغل بالتعلم تالم بترك الشهوات او بترك الكبر وذل التعلم
ومثل هذا الشخص لايزال في عذاب دائم لامحالة والضرب الثاني
مقيد وهو الذي جمع بعض هذه الاوصاف دون بعض فرب نافع مولم
كقطع الاصبع المتاكلة والسلعة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح
كالحمق فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع وقد قيل استراح من لا عقل له
فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح في الحال ورب نافع من وجه ضار
من وجه كالقاء المال في البحر عند خوف الغرق فانه ضار للمال ونافع
للنفس في نجاتها والنافع ينقسم الى ضروري كالايمان وحسن الخلق في الايصال
الى سعادة الاخرة والدنيا والى ما لا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا
في تسكين الصفراء فانه قد يمكن تسكينها بما يقوم مقامه اعلم ان
جملة النعم يحتاج الى البعض منها اما حاجة ضرورية او نافعة اما الحاجة
الضرورية كحاجة سعادة الآخرة الى الايمان وحسن الخلق اذ لا سبيل
للوصول الى سعادة الآخرة البتة الا بهما فليس للانسان الا ما سعى وليس للاحد
في الآخرة الا ما تزود من الدنيا وكذلك حاجة الفضائل النفسية
بكسب العلوم وتهذيب الاخلاق الى صحة البدن ضروري واما الحاجة
النافعة على الجملة كحاجة هذه النعم النفسية والبدنية الى الخارجة مثل المال النعم
والعز والاهل فان ذلك لو عدم تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلة
وقد سئل انه ما وجه الحاجة لطريق الآخرة الى النعم الخارجة من المال
والاهل والجاه والعشيرة واجيب بان هذه الاسباب جارية مجرى

مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود اما المال فالعالم وطالب
العلم والكمال وليس معه كفاية كساع الى الهيجاء بغير سلاح وكبازي
يروم الصيد بلا جناح ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نعم المال
الصالح للرجل الصالح وقال نعم العون على تقوى الله المال كيف
ومن عدم المال صار مستغرق الاوقات في طلب القوت وفي تهيئة
اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لانواع من الاذى
يشغله عن الذكر والفكر لا يندفع الا بسلاح المال ثم مع ذلك
يحرم من اكثر الفضائل قال بعض الحكماء وقد قيل له ما النعيم فقال
الغنى فاني رايت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال العافية فاني
رايت المريض لا عيش له قيل زدنا قال الامن فاني رايت الخائف
لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فاني رايت الهرم لا عيش له وكان
ما ذكره اشارة الى نعم الدنيا ولكنه من حيث انه معين على الآخرة
فهو نعمة ولذلك قال عليه السلام من اصبح معافا في بدنه آمنا
في سربه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها واما
الاهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة اليهما اذ قال صلى الله عليه وسلم
نعم العون على الدين المراة الصالحة وقال في الولد اذا مات العبد المؤمن
انقطع عمله الا من ثلث ولد صالح يدعو له الحديث واما الاقارب
فمهما كثر اولاد الرجل واقاربه كانوا مثل الاعين والايدي فيتيسر له
بسببهم من الامور الدنياوية المهمة في دينه ما لو انفرد به لطال شغله
وكلما تفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين على الدين فهو اذا
نعمة واما العز والجاه فبه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضيم
ولا يستغني عنه مسلم فانه لا ينفك عن عدو يوذيه وظالم يشوش
عليه علمه وعمله وفراغه ويشغل قلبه وقلبه راس ماله وانما يندفع هذه الشواغل

بالعز والجاه ولذلك قيل الدين والسلطان توأمان وقال
تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض الاية
ولا معنى للجاه الا ملك القلوب كما لا معنى للغنى الا ملك الدراهم
ومن ملك القلوب تسخرت له ارباب القلوب لدفع الاذى
عنه فكما يحتاج الانسان الى سقف يدفع عنه المطر وجبة تدفع
عنه البرد وكلب يدفع الذئب عن ماشيته فيحتاج ايضا الى من
يدفع الشر به عن نفسه وعلى هذا القصد كان الانبيا الذين لا ملك
لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه
وكذلك علما الدين لا على قصد التناول من خزائنهم او الاستيثار
والاستكثار فى الدنيا بمنافعهم فان قلت فقد ادخلت المال
والجاه والنسب والاهل والولد فى خير النعم وقد ذمها الله تعالى
وكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا العلما قال تعالى ان
من ازواجكم واولادكم عدوا لكم وقال انما اموالكم واولادكم
فتنة وقال على كرم الله وجهه الناس ابنا ما يحسنون وقيمة كل امرء
ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا بابيه فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة
شرعا قلنا ان المال مثال الحية التى فيها درياق نافع وسم ناقع فان
اصابها المعزم الذى يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق
استخراج درياقها النافع كانت نعمة وان اصابها السوادى
الغر فهى عليه بلا وهلاك وهو مثل البحر الذى تحته اصناف
الجواهر واللآل فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة وطريق
الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمه وان
خاضه جاهلا بذلك فقد هلك فلذلك مدح الله تعالى المال وسماه
خيرا ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم العون على تقوى

الله المال وكذلك مدح الجاه والعز اذ من الله على رسوله
صلى الله عليه وسلم بان اظهره على الدين كله وحببه فى قلوب
الخلق وهو المعنى بالجاه ولكن المنقول فى مدحهما قليل والمنقول
فى ذم المال والجاه كثير وحيث ذم الريا فهو مذم الجاه اذ
الريا مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك
القلوب وانما كثر هذا وقل ذاك لان الناس اكثرهم
جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص فى بحر الجاه فوجب
تحذيرهم فانهم يهلكون بسم المال قبل الوصول الى درياقه
ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانا فى اعيانهما
مذمومين بالاضافة الى كل احد لما تصور ان ينضاف الى النبوة
الملك كما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ان ينضاف
اليها الغنى كما كان لسليمان على نبينا وعليه السلام فالناس كلهم
صبيان والاموال حيات والانبيا والعارفون معزمون
فان النعم الدنياوية مشوبة قد امتزج دواها بدائها ومرجوها بمخوفها
ونفعها بضرها فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله ان يقرب منها متقيا
داءها ويستخرج دواءها ومن لا يوثق فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان
الاخطار والمعنى فيه تقبيح امساكها والحرص عليها للاستكثار منها
والتوسع فى نعيمها بما يوجب الركون الى الدنيا ولذا ذمها فاما اخذها
بقدر الكفاية وصرف الفاضل الى الخيرات فليس بمذموم ولما ذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بان الاغنيا يدخلون الجنة بشدة
استأذنه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فى ان يخرج من جميع ما ملكه
فاذن له فنزل جبرئيل عليه السلام وقال مره ان يطعم المسكين
ويكسو العاري ويقري الضيف الحديث كذا فى الاحيا فصل اعلم

ان الاصل لجميع النعم خلق الله المكلفين احياء قادرين واما خلق الارض
والسماء فذاك انما ينتفع به بشرط حصول الخلق والحيوة والقدرة
والشهوة وايضا كل ما في السماء والارض من الدلائل على وجود
الصانع فهو حاصل في الانسان بزيادة الحيوة والقدرة والشهوة
والعقل فاذا اعتبرت وتأملت وجدت الكل نعم الله تعالى وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها فتأمل ان الاحجار المختلفة بعضها للزينة
وبعضها للابنية فانظر الى الحجر الذي يستخرج منه النار مع كثرته وانظر
الى الياقوت الاحمر مع عزته وانظر الى كثرة النفع بذلك الحقير وقلة
النفع بهذا الخطير ثم تأمل ان البشر استنبطوا الحرف الدقيقة والصنائع
الجليلة واستخرجوا الدرر والسمك من قعر البحر واستنزلوا الطير
من اوج الهواء لكن عجزوا عن اتخاذ الذهب والفضة والسبب فيه
انه معظم فائدتهما ترجع الى الثمنية وهذه الفائدة لا تحصل الا عند العزة
والقدرة على اتخاذهما تبطل هذه الحكمة فلذلك ضرب الله
دونهما بابا مسدودا ومن ههنا اشتهر في الالسن من طلب المال
بالكيمياء فقد افلس ثم ان الله تعالى زين السماء بالمصابيح وجعل القمر
فيهن نورا وجعل الشمس سراجا وكلها نعم وفي التفسير النيسابوري
قال الجاحظ اذا تأملت في هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه
كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط
والنجوم منضودة كالمصابيح والانسان كمالك البيت المتصرف
فيه وضروب النبات مهيأة لمنافعه وصنوف الحيوان متصرفة
في مصالحه فهذه جملة واضحة دالة على ان العالم مخلوق بتدبير كامل
وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية انتهى وفي الاحياء
اعلم ان نعم الله تعالى في الاصول التي منها تحصل الاطعمة وتصير صالحة لان يصلحها

لان يصلحها الآدمي بعد ذلك بصنعة كثيرة ولله تعالى في خلقها
عجائب كثيرة لا تحصى واسباب متناهية لا متناهي فالاطعمة
اما ادوية واما فواكه واما اغذية فلنأخذ الاغذية ومن جملتها حبة
من البر فنقول اذا وجدت حبة او حبات فلو اكلتها فنيت وبقيت
جائعا فما احوجك الى ان تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف
حتى تفي بتمام حاجتك فخلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما
تغتذي به كما خلق فيك فان النبات انما يفارقك في الحس
والحركة ولا يخالفك في الاغتذاء فانه ايضا يغتذي بالماء
ويجتذب الى باطنه بواسطة العروق فكما انه الخشب والتراب
لا يغذيك بل تحتاج الى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تغتذي
بكل شيء بل تحتاج الى شيء مخصوص بدليل انك لو تركتها في تراب البيت
لم تزد ولو تركتها في ارض لا ماء فيها لم تزد بل لا بد من ارض فيها ماء
يمتزج ماؤها بالارض فيصير طينا واليه الاشارة بقوله تعالى فلينظر
الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا
ثم لا يكفي الماء والتراب اذ لو تركت في ارض ندية صلبة متراكمة
لم تنبت لفقد الهواء فيحتاج الى تركها في ارض رخوة متخلخلة يتغلغل
الهواء اليها ثم الهواء لا يتحرك اليها بنفسه فيحتاج الى ريح يحرك
الهواء ويضربه بقهر وعنف على الارض حتى ينفذ فيها واليه الاشارة
بقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وانما القاحها في ايقاع
الازدواج بين الهواء والماء والارض ثم كل ذلك لا يغنيك
لو كان في برد مفرط او شتاء شات فيحتاج الى حرارة الربيع والصيف
فقد بان احتياج غذائك الى هذه الاربعة فانظر الى ما ذا يحتاج كل
واحد اذ يحتاج الماء لينساق الى ارض الزراعة الى البحار والعيون والانهار

والسواقي فانظر كيف خلق البحار وفجر العيون واجرى منها الانهار
ثم الارض ربما يكون مرتفعة والمياه لا ترتفع اليها فانظر كيف
خلق الغيوم وكيف سلط الرياح عليها تسوقها باذنه الى اقطار العالم
وهي سحب ثقال حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الارض
في وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال
حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد
وهلك الزرع والمواشي ونعم الله تعالى في الجبال والسحاب والبحار
والامطار لا يمكن احصاؤها واما الحرارة فانها لا تحصل بين الماء
والارض وكلاهما باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها
عن الارض مسخنة للارض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة
الى البرد والحر عند الحاجة الى الحر فهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها
اكثر من ان تحصى ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان في الفواكه
انعقاد وصلابة فافتقر الى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل
من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه
ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار في ظل يمنع
شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة
حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا اظلتها شجرة كبيرة ويعرف ترطيب
القمر بانك تكشف له راسك في الليل فيغلب على راسك الرطوبة
التي يعبر عنها بالزكام فكما يرطب نفسك يرطب الفواكه ايضا فقد سخر
كل كوكب لنوع فائدة كالشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد
منها عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر باحصائها ولو لم يكن كذلك لكان
خلقها عبثا ولم يصح قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما لاعبين وكما انه ليس في اعضائك عضو الا

الا لفائدة فليس في اعضاء بدن العالم عضو الا لفائدة والعالم
كله كشخص واحد واحاد اجسامه كالاعضاء له وهي متعاونة تعاون
اعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغي ان يظن
ان الايمان بان النجوم والشمس والقمر مسخرات بامر الله تعالى
في امور جعلت اسبابا لها بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه
من النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل المنهي عنه في النجوم امران
احدهما ان يصدق بانها فاعلة لاثارها مستقلة بها وانها ليست
مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر والثاني تصديق
المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الاثار التي لا يشترك كافة الخلق
في دركها لانهم يقولون ذلك عن جهل فان علم احكام النجوم كان
معجزة لبعض الانبياء ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق الا ما هو
مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطاء فاعتقاد كون الكواكب
اسبابا لاثار تحصل بخلق الله تعالى في الارض وفي النبات والحيوان
ليس قادحا في الدين بل هو الحق ولكن دعوى العلم بتلك الاثار
على التفصيل مع الجهل قادح في الدين ولذلك اذا كان معك
ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك اخرج الثوب
وابسطه فان الشمس قد طلعت وحمي الهواء لا يلزمك تكذيبه
ولا يلزمك الانكار عليه لحوالته حمي الهواء على طلوع الشمس واذا
سألت عن تغير وجه الانسان فقال قرعتني الشمس في الطريق
فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه وقس على هذا سائر الاثار الا ان
الاثار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالمجهول لا يجوز دعوى العلم فيه
والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع
الشمس وبعضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق الشمس فاذن

الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا نظر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى السماء ثم قرا قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا
سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال ويل لمن قرا هذه الآية
ثم مسح بها سبلته ومعناه ان يقرا ويترك التامل ويقتصر من فهم
ملكوت السموات على انه يعرف لون السماء وضوء الكواكب
وذلك مما تعرفه البهايم ايضا فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي
مسح بها سبلته كذا في الاحياء اللهم اجعلنا من المستيقظين قال في كتاب
النوازل واما علم النجوم فهو في نفسه حسن غير مذموم اذ هو قسمان
حسابي وانه حق وقد نطق به الكتاب قال الله تعالى والشمس والقمر
بحسبان اي سيرهما بحساب والراسخون في العلم ان الشمس
والقمر والنجوم مسخرات بامره والاستدلال بسير النجوم وحركة
الافلاك على الحوادث بقضاء الله تعالى وقدره جائز كاستدلال
الطبيب بالنبض من الصحة والمرض ولو لم يعتقد بقضاء الله تعالى
او ادعى علم الغيب لنفسه يكفر ثم تعلم علم النجوم مقدار ما يعرف به مواقيت
الصلوة والقبلة لا باس به انتهى قال حجة الاسلام ايضا فلله
في ملكوت السموات والافاق والانفس والحيوانات والنبات
عجايب يطلب معرفتها المحبون في الله فان من احب عالما فلا يزال
مشغولا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجايب علمه
حباله فكذلك الامر في عجايب صنع الله تعالى فان العالم كله
من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة
قلوب عباده فانه تعجب من تصنيف فلا تعجب من المصنف بل من الذي
سخر المصنف لتاليفه بما انعم عليه من هدايته وتسديده وتعريفه
فاذن المقصود ان غذاء النبات لا يتم الا بالماء والهواء والشمس

والسبلة محركة الدائرة في وسط الشفة العليا او ما على الشارب من الشعر او طرفه او مجتمع الشاربين او ما على الذقن الى طرف اللحية كلها او مقدمها خاصة والجمع سبال كذا في القاموس منه

والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التي هي
مركوزة فيها ولا يتم الافلاك الا بحركاتها ولا يتم حركاتها
الا بملائكة سماوية يحركونها وكذلك يتمادى ذلك الى اسباب
بعيدة هذا بعض من اسباب غذاء النبات ليكون ذكره
انموذجا على سائره واما كون اصلاح الاطعمة من النعم فاعلم
انه الذي ينبت من الارض من النبات وما يخلق من الحيوانات
لا يمكن ان يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لا بد لكل واحد من اصلاح
وطبخ وتركيب وتنظيف بابقاء البعض والقاء البعض الى امور
اخر لا تحصى واستقصاء ذلك في كل طعام طويل فلنعين رغيفا
واحدا ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح
للاكل من بعد القاء البذر في الارض فاول ما يحتاج اليه الحراث ليزرع
ويصلح الارض ثم الثور الذي يثير به الارض والفدان وجميع
اسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة ثم تنقية الارض
من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك والتنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز
فتامل هذه الافعال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الاشخاص
القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاج اليها من الحديد والخشب
والحجر وغيره وانظر الى اعمال الصناع في اصلاح آلة الحراثة والطحن
والخبز من نجار وحداد وغيره وانظر الى حاجة الحداد الى الحديد
والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله الجبال والاحجار
والمعادن وكيف جعل الارض قطعا متجاورات مختلفة فان
فتشت علمت ان رغيفا واحدا لا يستدير بحيث يصلح لاكلك
ما لم يعمل عليه اكثر من الف صانع فابتدى من الملك الذي يزجي
السحاب لينزل الماء الى آخر الاعمال من الملائكة حتى ينتهي النوبة

الى عمل الانسان فاذا استدار طلبه قريب من سبعة الاف
صانع كل صانع اصل من اصول الصنايع التي بها تتم مصلحة الخلق
ثم تامل كثرة اعمال الانسان في تلك الالات حتى الابرة
التي هي آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد
عنك لا يكمل صورتها من حديدة تصلح للابرة الا بعد ان يمر
على يد الابري خمسا وعشرين مرة يتعاطى في كل مرة منها عملا
فلو لم يجمع الله البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت الى عمل المنجل الذي
يحصد به البر مثلا بعد نباته لنفد العمر وعجزت عنه افلا ترى كيف
هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قذرة لانه يعمل هذه الاعمال
العجيبة والصنايع الغريبة ولو لم يكشف الله طريق ايجاده بفضله
وكرمه لمن قبلنا وافتقرنا الى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم
الى استخراج النار من الحجر والى تحصيل الالات التي بها يعمل الصنايع
وعمر الواحد منا عمر نوح واذى الكمل العقول لقصر عمره عن استنباط
الطريق في اصلاح آلة واحدة وحدها فضلا عن غيرها فسبحان من حجب
ذوي البصائر بالعميان وسبحان من منع التبيين مع هذا البيان
فانظر الآن لو خلا بلدك عن الطحان مثلا او عن الحداد او عن الحجام
او عن الذي هو اخس الاعمال او عن واحد من جملة الصنايع
ما يصيبك من الاذى وكيف تضطرب عليك امورك وانظر
كيف الف الله تعالى بين قلوب هؤلاء الصناع وغيرها وسلط الانس
عليهم والمحبة اذ لو تفرقت اراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر
طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا
كالوحوش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد ولاجل
الالف وتعارف الارواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المدن والبلاد

والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا
الاسواق والخانات وسائر اصناف البقاع مما يطول
احصاؤه ثم هذه المحبة تزول باغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون
فيها ففي جبلة الانسان الغيظ والحسد والمنافسة وذلك
يؤدي الى التنافر والتقاتل فانظر كيف سلط الله تعالى
السلاطين وامدهم بالقوة والعدة والاسباب والقى
رعبهم في قلوب الرعايا وانظر كيف بعث الانبياء حتى اصلحوا
السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ
العدل بين الخلق فاذا عرفت هذا فاعتبر واعترف بان نعم الله
تعالى كثيرة لا تحصى واشكر كما شكر اهل الجنة قال تعالى واخر دعواهم
ان الحمد لله رب العلمين وحسبنا الله وهو ولي التوفيق

الباب الخامس في الاخلاص في جميع الامور اعلم انه كل مومن يجب
عليه الاخلاص وقبول كل عمل موقوف على الاخلاص قال الله تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين الا لله الدين الخالص
عن معاذ بن جبل رض انه قال حين بعث الى اليمن يا رسول الله
اوصني قال اخلص دينك يكفيك العمل القليل وعن ابي الدرداء
رض عن النبي صلعم الدنيا الملعون ما فيها الا ما ابتغي به وجه الله تعالى
وعن انس رض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من فارق الدنيا
على الاخلاص لله تعالى وحده لا شريك له واقام الصلوة واتى الزكوة
فارقها والله تعالى عنه راض وعنه رضي الله عنه ايضا قال قال
صلعم ثلث لا يغل عليهن قلب مسلم اخلاص العمل لله ومناصحة
ولاة الامر ولزوم جماعة المسلمين وعن ابي ذر رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد افلح من اخلص قلبه للايمان

وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة
وجعل اذنه مستمعة وعينه ناظرة وقد ورد خبر مسند ان النبي صلعم
اخبر عن جبرئيل عن الله سبحانه وتعالى انه قال الاخلاص سر من سري
استودعته قلب من احببت من عبادي وسئل حذيفة عن الاخلاص
ما هو قال سألت النبي صلعم عن الاخلاص ما هو قال سألت
جبرئيل عم عن الاخلاص ما هو قال سألت رب العزة عز وعلا
عن الاخلاص ما هو قال سر من سري استودعته قلب من احببته من عبادي
قال سيد الطائفة الجنيد رحمه الله روحه الاخلاص سر بين الله
تعالى وبين العبد لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا
هوى فيميله وقيل الاخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين
والصدق التنقي عن مطالعة النفس فالمخلص لا رياء له والصادق
لا اعجاب له وقال ذو النون المصري الاخلاص لا يتم الا
بالصدق فيه والصبر عليه والصدق لا يتم الا بالاخلاص فيه
والمداومة عليه وقيل نقصان كل مخلص في اخلاصه فاذا اراد الله
تعالى ان يخلص اخلاصه اسقط عن رؤيته لاخلاصه فيكون مخلَصا
لا مخلِصا وقال سهل لا يعرف الرياء الا المخلص قال ابو سعيد رياء
العارفين افضل من اخلاص المريدين وقال ذو النون الاخلاص
ما حفظ من العدو ان يفسده فاذا عرفت هذا فاعلم ان التحلية
بعد التخلية فخل قلبك عن الرياء حتى يحصل تحلية القلب بالاخلاص
والآن انه صاحب النفس مسلط عليه الشيطان ابتلاء
من الله تعالى ليرى صدق مجاهدته وقوته كما ان الله تعالى سلط علينا
الكفار مع قدرته على كفاية امرهم وشرهم ليكون لنا حظ من الجهاد
والصبر قال الله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين

جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وايضا قد يشتبه علينا
خاطر لا ندري انه شر من الشيطان او خير من غيره فعلينا المجاهدة
والقهر والدوام على ذكر الله تعالى ومعرفة وساوسه ومكائده
فلا بد اولا من معرفة منشأ الخواطر وتمييز خيرها من شرها ففي آثار
يحدثها الله تعالى في قلب العبد تبعثه على الافعال والتروك اما
ابتداء فيقال له الخاطر فقط وعلامته كونه قويا مصمما وفي الاصول
والاعمال الباطنة وانه يكون خيرا عقيب اجتهاد وطاعة اكراما
فيسمى توفيقا وهداية ولطفا وعناية قال الله تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا والذين اهتدوا زادهم هدى او شرا
عقيب ذنب اهانة وعقوبة فيسمى خذلانا واضلالا واما بواسطة
ملك موكل من الله تعالى على ابن آدم يقال له الملهم ولدعوته الالهام
ولا يكون الا الى خير وعلامته كونه مترددا بين الفعل والترك وفي الفروع
والاعمال الظاهرة ويكون بلا سبق طاعة او معصية في الاغلب
او بواسطة طبيعة مائلة الى الشهوات يقال لها النفس ولدعوتها
هوى ولا يكون الا الى شر وعلامته كونه مصمما راتبا على حالة واحدة
وانه لا يضعف ولا يقل بذكر الله تعالى او بواسطة شيطانه مسلط
على ابن آدم يقال له الوسواس الخناس ولدعوته الوسوسة وعلامته
كونه مترددا ومضطربا وبلا سبق ذنب في الاكثر وانه يضعف
بذكر الله تعالى ويكون شرا في الاغلب وقد يكون خيرا مفضولا
ليمنعه عن الفاضل ويجره الى ذنب عظيم وعلامته انه يكون فلتك فيه
مع نشاط لا مع خشية ومع عجلة لا مع تأن ومع امن لا مع خوف
ومع عمى العاقبة لا مع بصيرة وعن انس رضي الله عنه انه صلى الله
عليه وسلم قال ان الشيطان واضع خطومه على قلب ابن آدم فان

ذكر الله خنس وان نسي العبد التقم قلبه وعن ابن مسعود رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه انه قال في القلب لمتان لمة من الملك بايعاد
بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدو بايعاد بالشر وتكذيب بالحق
ونهي عن الخير اعلم انه لمعرفة الخواطر اربعة موازين على الترتيب المذكور
الاول عرضه على الشرع فانه وافق جنسه فخير وانه ضده فشر
والثاني عرضه على عالم عامل ومرشد كامل انه وجد فانه قال
خير فخير وانه شر فشر والثالث عرضه على الصالحين فانه
كان في فعله اقتداء بهم فخير وان بالطالحين فشر والرابع
عرضه على النفس والهوى فانه تنفر عنه نفرة طبع فخير وانه مالت
اليه ميل طبع فشر اذ النفس اذا خليت وطبعها لامارة بالسوء
واما حيل الشيطان ومخادعته في الطاعة لاصحابها فمن سبعة
اوجه الاول النهي عن الطاعة فانه عصمه الله تعالى رده حسب التوفيق
ففعل الطاعة والثاني الامر بالتسويف فانه عصمه الله تعالى
رده بالعمل في وقته فانه لكل وقت عملا والثالث الامر بالعجلة
ليتفرغ لكذا وكذا فانه عصمه الله تعالى رده واتمه فانه قليل العمل خير
من كثيره مع النقصان والرابع الامر باتمام العمل مع مراياة الخلق
فانه عصمه الله رده وعلم ان الناس لا يقدرون على نفع وضر
والخامس الايقاع في العجب فيعجب بالاغترار بذلك ان لم يعصمه
الله تعالى فانه عصمه الله تعالى رده وعرف ان المنة لله تعالى
وهذا التوفيق منه تعالى نعمة وفضل والسادس قوله اجتهدت
في السر فان الله تعالى سيظهره ويجعلك شريفا خطيرا بين الناس
واراد بذلك نوعا من الريا الخفي فانه عصمه الله تعالى رده
وعرف انه عبد وانما التصرف له تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد

يريد والسابع قوله في اخر خدعه لا حاجة لك الى هذا العمل لانك
ان خلقت سعيدا لم يضرك ترك العمل وان خلقت شقيا لم ينفعك
العمل ففي اي شئ تجتهد وتترك راحتك وتضر نفسك فانه عصمه الله
تعالى رده وعرف انه عبد وعلى العبد امتثال امر سيده والرب
اعلم بربوبيته يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد وان العمل ينفعه كيف
ما كان ان كان سعيدا احتاج اليه لزيادة الثواب وان كان
شقيا فكذلك لئلا يلوم نفسه على انه الله تعالى لا يعاقب على الطاعة
بكل حال ولا تضره على انه ان دخل النار وهو مطيع احب اليه
من ان يدخلها وهو عاص فكيف ووعده حق وقوله صدق وقد
وعد على اهل الطاعات المخلصين بالثواب فمن لقي الله تعالى على الايمان
والطاعة الخالصة دخل الجنة بفضله لوعده الصادق قال الله
تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده فاذا عرفت هذا فاعلم
ان من الناس من يتردد بين الريا والاخلاص كالرجل الذي يبيت
مع قوم فيقومون للتهجد جوف الليل وهو ممن لا يقوم اصلا او يقوم
قليلا من قيامهم فاذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على عادته
وكذلك قد يقع في موضع يصوم اهله تطوعا فينبعث له نشاط
في الصوم فربما يظن انه ريا وان الواجب ترك الموافقة وليس كذلك
على الاطلاق بل له تفصيل فانه كان نشاطه لزوال الغفلة بمشاهدة
الغير وقد اقبلوا على الله تعالى واعرضوا عن النوم والاكل اندفع
العوايق والاشغال مثل تمكنه على الفراش وتمكنه من التمتع بزوجته
او امته او المحادثة باهله واقاربه او عدم النوم لاستنكاره
الموضع او بسبب آخر فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما غلبه
النوم وقد يعسر عليه الصوم في منزله فهذه وامثالها ليست ريا

فعليه الموافقة والعمل وان كان نشاطه طلبا لمحمدتهم او خوفا من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل خصوصا اذا كانوا يظنون انه يقوم بالليل او يصوم تطوعا فلا يسمح نفسه بانه يسقط من اعينهم فيريد انه يحفظ منزلته فلا يجوز له انه يزيد على معتاده لانه يعصى الله تعالى بطلب محمدة الناس او دفع ذمهم وسقوط منزلته عندهم بهذه الطاعة فلا يكون مخلصا لانه ريا محظور فالعارف يفرق بينهما ويعرض على نفسه انه لو راى هولاء يصلون ويصومون من حيث لا يرونه انبعث له هذا النشاط للموافقة فيوافقهم والا فريا لا يزيد على المعتاد اذ لا يكون مخلصا حينئذ ومن ذلك ذكر الله تعالى والاستغفار والاستعاذة من العامة عند الناس فقد يكون من الخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمرايات فراقب قلبك واحفظه وميز بينهما فانه كان لله تعالى فامضه والا فكف على بصيرة ومن ذلك اظهار الطاعة فان الباعث عليه قد يكون قصد الاقتداء فيكون افضل من الاخفاء والله تعالى اعلم بحقيقة الحال عن ابن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عمل السر افضل من عمل العلانية والعلانية افضل لمن اراد الاقتداء وهذا لا يكون الا من المقتدى به وقد يكون الباعث في اظهار العمل الريا فان اشتبه عليك فعليك الاخفاء الا انه يكون الاظهار واجبا او سنة مثل الجماعة ومن الحال المترددة بين الريا والاخلاص ايضا التحديث بما فعله من الطاعات بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار عمله الا انه اذا تطرق اليه الريا لم يوثر في افساد العبادة الماضية ولم يحبط ثوابها بل يكون تحديثه معصية جديدة وهي الريا وبالجملة الاخفاء في العبادات التي لا يلزم اظهارها افضل من الاظهار الا عند التيقن بقصد التعليم والاقتداء فالاظهار

في قلوبهم

وانما قال من العامة لان اولياء الله تعالى يذكرون الله تعالى في كل وقت ويحاسبون انفاسهم قال الله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الاية نفعنا الله ببركاتهم

منه

حينئذ افضل وقس على هذا امثالها اعلم ان كثيرا من الناس يغلطون في بعض العمل ويظنون انه ريا كمن يكون له ورد معين كصلوة الضحى والتهجد فيقع في قوم لا يفعلونهما فيتركهما خوفا من الريا ولا ريا فيهما اذ مداومته السابقة دليل على الاخلاص فمجرد وقوع خاطرة الريا في القلب بلا اختيار وقبول ليس بضار في صحة عمله ولا ريا لانه لم يعمل الا لوجه الله تعالى فيكون مخلصا نعم عليه انه لا يزيد على المعتاد انه لم يجد للزيادة باعثا دينيا وقد يتركهما لا خوفا من الريا بل خوفا من نسبه الى الريا فهذا الترك عين الريا لان الترك خوفا من نسبته الى الريا خوف من سقوط منزلته عندهم فلا يكون مخلصا وفيه ايضا سوء الظن بالمسلمين وقد يقع في خاطره انه تركه لاجل صيانتهم عن معصية الغيبة لا للفرار عن ذمهم وسقوط منزلته عندهم وهذا ايضا سوء الظن بهم وصيانة الغير عن المعصية انما تحسن في ترك المباحات لا المستحبات والسنن فعلى هذا يكون قول من قال اني تركت السواك والطيلسان والمشي حافيا ونحوها صيانة لالسن الناس عن الغيبة سوء الظن بهم نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا فانه كنت طالبا للاخلاص فكيف لا وهو درجة عظيمة فكن على بصيرة في اعمالك روي عن ابي سليمان انه يقول اذا اخلص العبد انقطع عنه كثرة الوسواس والريا وعن مكحول قال ما اخلص عبد قط اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وروي عن سهل بن عبد الله قال اهل لا اله الا الله كثير والمخلصون منهم قليل وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام قال من احسن

الصلوة حيث يراه الناس واساءها حين يخلو فتلك استهانة
استهان بها ربه تبارك وتعالى وعن ابي لبيد رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم
الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال
الرياء يقول الله عز وجل اذا جزى الناس باعمالهم اذهبوا الى الذين
كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء والآيات والاحاديث
كثيرة في ذم الرياء وانت طالب الاخلاص وهو لا يجتمع به فالعاقل
يعرف ويهتدي الى كون الرياء مذموما بقليل التفات اذ معنى الرياء
جعل عبادة الله تعالى التي هي موضوعة للتقرب اليه وسيلة الى مدح
الغير وفيه قلب الموضوع وعكس المشروع وعلاجه الاخلاص بقطع عروقه
واستيصال اصوله وذلك بازالة اسبابه وتحصيل ضده
فعليك في اول كل عبادة ان تفتش قلبك وتخرج عنه خواطر
الرياء واطلاع الخلق عليه اورجاءه ثم الرغبة في حمدهم وحصول
المنزلة عندهم وتقرره على الاخلاص وتعزم عليه الى ان يتم هذه العبادة
عارفا بان الله تعالى رقيب عالم على كل شيء وهو النافع الضار
لا حاجة الى سواه من الخلق اطلعوا او لم يطلعوا وقد يشرع العبد في العبادة
على عزم الاخلاص وقطع النظر عما سوى الله تعالى ثم يرد خاطر الرياء
فيقبله بغتة ولا يحضره ولا يرى له واحد من وجوه الرد وسبب
عدم التخلية واستيلاء الحرص وحب المدح وخوف الذم فيغيب
عن مرآة قلبه معرفة الله تعالى ويكدره آفات الرياء فينساها فلم يظهر
الاخلاص لانه ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعرف بجلاء التذكر ان
الذي خطر له خاطر الرياء وانه يعرضه لسخط الله تعالى ولكن لا ينتهي لشدة
كدورة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيستلذ

فيستلذ بالشهوة ويسوف بصيقل التوبة او يتشاغل عن الفكر
في ذلك لشدة الشهوة واذا لم يكن منه قبول وركون بالاختيار
فلا يضره خطور الرياء وميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته اياه
اذ ليس في وسع العبد دفع النزغات دائما ولا قمع الطبع حتى لا يميل
الى الشهوات وقصارى امره ان يقابل شهوته بكراهة واباء
وعدم اجابة استفادها من علم الدين بتوفيق الله تعالى ويكون
مع ذلك وجلا من عمله خائفا ان يدخله من الرياء الخفي ما لم يقف
عليه فيكون مردودا ممقوتا لله ويكون هذا الخوف في دوام عمله وبعده
لا في ابتداء العمل بل ينبغي ان يكون متيقنا في الابتداء انه مخلص
ما يريد بعمله الا الله تعالى حتى يوجد النية اذ هي المصمم الباعث فلا يجتمع
مع الشك والاحتمال فاذا شرع على اليقين والاخلاص ومضت
لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان شرع الخوف من شائبة خفية
من رياء او عجب فاذا فعل ذلك فهو الغاية في اداء ما كلف
واما غلبة الخوف على الرجاء او العكس فقد اختلف اقوال المشايخ
فيها قال بعضهم ينبغي ان يغلب الرجاء لانه استيقن انه دخل بالاخلاص
وشك في زواله ومن قواعد الشرع ان اليقين لا يزول بالشك
فيغلبه رجاء الاخلاص بعظم لذته في المناجاة والطاعات لربه تعالى
وتقدس وخوفه لاجل ذلك الشك جدير بان يكون مكفرا
لخاطر الرياء ان كان قد سبق عنه وهو غافل عنه والمنقول
عن اكثر المشايخ غلبة الخوف على الرجاء والمتأخرون قالوا باختلاف الاحوال
والاشخاص ففي وقت من الاوقات او حال من الاحوال لبعض ينبغي
ان يكون الغلبة للخوف وفي آخر ان يكون الغلبة للرجاء ولبعض آخر
ان يكون الغلبة للرجاء او المساواة والعلم عند الله تعالى فاذا عرفت

عرفت لزوم الاخلاص وعرفت الفرق بين مخلص في جميع اعماله
ومخلص في بعض اعماله ومخلص عند الشروع الى اعماله وكلهم مخلصون
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين **المقصد الثاني**
في النصيحة لكتابه وهي الايمان بانه كلام الله تعالى وتنزيهه بانه
لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله احد من المخلوقات
ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته واقامة حروفه في التلاوة والتصديق
بما فيه وتفهم علومه والعمل بمحكمه والتسليم بمتشابهه والبحث
عن ناسخه ومنسوخه وعمومه وخصوصه وساير وجوهه وفنون
علومه وحقيقة هذه ايضا راجعة الى نصيحة نفسه وهو على خمسة ابواب
ايضا **الباب الاول** في الايمان بانه كلام الله تعالى لا يشبهه شيء من كلام
الخلق ولا يقدر عليه احد من المخلوقات وفيه فصلان **الاول**
في الايمان بانه كلام الله تعالى اعلم ان القرآن كتاب الله العزيز
الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد حتى اتسعت على اهل الايمان طرق الاعتبار بما فيه من القصص
والاخبار واتضح به سلوك المنهج القويم وهدى الصراط المستقيم
بما فصل فيه من الاحكام وفرق به بين الحلال والحرام فهو الضياء
والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما في الصدور ومن عانده
من الجبابرة اذله الله ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله هو حبل الله
المتين من تمسك به نجا ومن تركه ضل وغوى فهو المحيط بالقليل
والكثير والصغير والكبير لا تنقضي عجايبه ولا تتناهى غرايبه المحيط
بفوائده عند ارباب البصائر تحديد ولا تخلقه عند اهل التلاوة
كثرة الترديد هو الذي ارشد الاولين والآخرين ولما سمعته الجن
لم يلبثوا ان ولوا الى قومهم منذرين فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي

يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا فكل من
آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق قال عز وجل الم ذلك
الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين واعتصموا بحبل الله
جميعا ولا تفرقوا قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله
من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه
ويهديهم الى صراط مستقيم وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه
واتقوا لعلكم ترحمون يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم
وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ونزلنا عليك
الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين
ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وننزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا اولم يكفهم انا انزلنا
عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم
يؤمنون كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته
وليتذكر اولوا الالباب الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها
مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله
فما له من هاد وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه تنزيل من حكيم حميد روي عن جابر رضي الله عنه انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن شافع مشفع وماحل مصدق
من جعله امامه قاده الى الجنة ومن جعله خلف ظهره ساقه الى النار
وعنه عليه الصلوة والسلام قال ما من شفيع افضل منزلة عند الله يوم
القيمة من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره وعن علي رضي الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن واستظهره

فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله تعالى به الجنة وشفعه في عشرة
من اهل بيته كلهم قد وجبت له النار والاحاديث والاخبار
فيه كثيرة لا تحصى قال ابن مسعود رضي الله عنه اذا اردتم العلم
فأثروا القرآن فان فيه علم الاولين والآخرين وقال ابو هريرة
رضي الله عنه ان البيت الذي يتلى فيه كتاب الله عز وجل
اتسع باهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين
وان البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق باهله
وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال الفضيل
ابن عياض حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغي ان يلهو مع من يلهو
ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن ويروى
ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرأ علي فقرأ
عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى
عن الفحشاء والمنكر الآية فقال له اعد فاعاد فقال والله ان له
لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه
لمثمر وما يقول هذا بشر واما ما ورد في ذم تلاوة الغافلين فروي
عن انس بن مالك رضي الله عنه انه قال رب تال للقرآن
والقرآن يلعنه وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه
وهو لا يعلم يقرأ الا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه الا لعنة الله
على الكاذبين وهو منهم وفي حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا
دهرا واحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم
فنتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي ان يقف عنده
منها ولقد رايت رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين
فاتحة القرآن الى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي ان يقف

ان يقف عنده ينثره نثر الدقل ونقل انه قد ورد في التورية يا عبدي
اما تستحيي مني ياتيك كتاب بعض اخوانك وانت في الطريق
تمشي فتعدل عن الطريق فتقعد لاجله فتقرؤه وتدبره حرفا حرفا
حتى لا يفوتك منه شيء وهذا كتابي انزلته اليك انظر كم فصلت لك
فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم انت
معرض عنه افكنت اهون عليك من بعض اخوانك يا عبدي يقعد
اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه
بكل قلبك فان تكلم متكلم او شغلك شاغل عن حديثه اومأت
اليه ان كف وها انا مقبل عليك ومحدث لك وانت معرض
بقلبك عني افجعلتني اهون عليك من بعض اخوانك اللهم اجعلنا
من الذين يتلون كتاب الله حق تلاوته فكم من تال كتاب الله
منسلخ من آيات الله فاذا عرفت هذا عرفت ان الايمان به يستلزم
تصديق الكتب المنزلة وكيف لا وقد قال الله تعالى آمن الرسول
بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
الآية وقال تعالى نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه
وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان
ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد الآية وقال تعالى
لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون
بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون
وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا

الدقل محركة اردأ التمر

لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما
لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون
وكفى بالله شهيدا اعلم ان اهل السنة والجماعة اتفقوا على ان كلام
الله تعالى منزل واختلفوا في معنى الانزال قال الاصفهاني في اوائل
تفسيره قال بعضهم معنى الانزال اظهار القراءة وقال بعضهم
الله تعالى الهم كلامه جبرئيل وهو في السماء وهو عال من المكان وعلمه
قراءته ثم جبرئيل اداه في الارض وهو يهبط في المكان وفي التنزيل طريقان
احدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية الى الصورة
الملكية واخذه من جبرئيل والثاني ان الملك انخلع الى البشرية
حتى ياخذه الرسول منه والاول اصعب الحالين انتهى وقال
الطيبي لعل نزول القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم ان يتلقفه الملك
من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به
الى الرسول ويلقنه عليه واختلف في اول ما نزل من القرآن ايضا
على اقوال الاول وهو الصحيح اقرا باسم ربك القول الثاني
يا ايها المدثر القول الثالث سورة الفاتحة القول الرابع بسم الله الرحمن الرحيم
واختلف ايضا في آخر ما نزل فروي عن البراء بن عازب قال
آخر اية نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وآخر سورة
نزلت براءة واخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال
آخر اية نزلت اية الربوا والنسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس
قال آخر ما نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وروي عن ابي بن كعب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأني ايتين لقد جاءكم رسول من انفسكم
الى قوله تعالى رب العرش العظيم قال هذا آخر ما نزل من القرآن

القرآن واخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال آخر سورة
نزلت اذا جاء نصر الله والفتح واخرج الترمذي والحاكم عن عائشة
رضي الله عنها قالت آخر سورة نزلت المائدة وروي ان آخر
اية نزلت من القرآن فمن كان يرجو لقاء ربه الاية وروي ايضا
ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم آخر ما نزلت واخرج ابن مردويه
من طريق مجاهد عن ام سلمة قالت آخر اية نزلت هذه الاية فاستجاب
لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل الى آخرها وفي البرهان لامام الحرمين
ان قوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الاية من آخر ما نزل والاشهر
الاقوال ان المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها سواء
نزل بالمدينة ام بمكة عام الفتح او عام حجة الوداع ام بسفر من الاسفار
وقيل المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة و
على هذا تثبت الواسطة فما نزل بالاسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني
الثالث ان المكي ما وقع خطابا لاهل مكة والمدني ما وقع خطابا لاهل
المدينة وفي الاتقان وقد كان القرآن كله كتب في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور
وقال الحاكم في المستدرك جمع القرآن ثلث مرات احديها بحضرة
النبي صلى الله عليه وسلم الثانية بحضرة ابي بكر رضي الله عنه والجمع
الثالث هو ترتيب السور في زمن عثمان رضي الله عنه قيل فكتب
سبعة مصاحف فارسل الى مكة والى الشام والى اليمن والى البحرين
والى البصرة والى الكوفة وحبس بالمدينة واحدا قال في البرهان
سمى الله تعالى القرآن بخمسة وخمسين اسما كتابا ومبينا وكريما وكلاما
ونورا وهدى ورحمة وفرقانا وشفاء وذكرا ومباركا وعليا وحكمة
وحكيما ومهيمنا وحبلا وصراطا مستقيما وقيما وقولا وفصلا ونبأ

عظيما واحسن الحديث ومثاني ومتشابها وتنزيلا وروحا ووحيا
وعربيا وبصائر وبيانا وعلما وحقا وهاديا وعجبا وتذكرة والعروة
الوثقى وصدقا وعدلا وامرا ومناديا وبشرى ومجيدا وزبورا والبشرا
ونذيرا وعزيزا وبلاغا وقصصا وسماه اربعة اسماء في اية واحدة
في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة قال ابو امامة الباهلي اقرؤا القرآن
ولا يغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن
فاهل القرآن اهل الله وخاصته آمنوا به واخلصوا دينهم في العمل
بمقتضاه فروى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما آمن
بالقرآن من استحل محارمه **الفصل الثاني** في تنزيهه بانه لا يشبهه
من كلام الخلق ولا يقدر على مثله احد من المخلوقات اعلم ايدك الله
وايانا بفضله العظيم ان هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات
الدهر الى يوم القيمة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذووا البصائر
كما قال صلى الله عليه وسلم ما من الانبياء نبي الا اعطى ما مثله امن
عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو
ان اكون اكثرهم تابعا اخرجه البخاري قيل معناه ان معجزات الانبياء
انقرضت بانقراض اعصارهم فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة
القرآن مستمرة الى يوم القيمة وخرقه العادة في اسلوبه وبلاغته
واخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الاعصار الا ويظهر فيه شيء
مما اخبر انه سيكون يدل على صحة دعواه وقيل المعنى ان المعجزات
الماضية كانت حسية تشاهد بالابصار كناقة صالح وعصى
موسى ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لاجلها
اكثر لان الذي يشاهد بعين الراس ينقرض بانقراض مشاهده والذي
يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الاول مستمرا على انه

انه لا خلاف بين العقلاء ان كتاب الله تعالى معجز لم يقدر احد
على معارضته بعد تحديهم بذلك قال تعالى وان احد من المشركين
استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فلولا ان سماعه حجة عليه
لم يقف امره على سماعه ولا يكون حجة الا وهو معجزة وقال تعالى
وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه قل انما الايات عند الله وانما
انا نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فاخبر
ان الكتاب اية من اياته كاف في الدلالة قائم مقام معجزات غيره
وآيات من سواه من الانبياء ولما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
اليهم وكانوا افصح الفصحاء ومصاقع الخطباء وتحداهم على ان ياتوا
بمثله وامهلهم طول السنين فلم يقدروا كما قال تعالى فلياتوا
بحديث مثله ان كانوا صادقين ثم تحداهم بعشر سور منه في قوله تعالى
ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا
من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم
فاعلموا انما انزل بعلم الله ثم تحداهم بسورة في قوله تعالى ام يقولون
افتراه قل فاتوا بسورة مثله الاية ثم كرره في قوله تعالى وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الاية فلما عجزوا
عن معارضته والاتيان بسورة تشبهه مع كثرة الخطباء فيهم والبلغاء
نادى عليهم باظهار العجز واعجاز القرآن فقال قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا ولم ينقل عن احد منهم انه حدث نفسه بشيء
من ذلك ولا رامه بل عدلوا الى العناد تارة والى الاستهزاء اخرى
فتارة قالوا سحر وتارة قالوا شعر وتارة قالوا اساطير الاولين
كل ذلك من التحير والانقطاع فلو علموا ان الاتيان بمثله في قدرتهم لبادروا

اليه لانه كان اهون عليهم من تحكم السيف في اعناقهم واباحة اموالهم واملاكهم وقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية يرد انه يكون اعجازه بالصرفة كما زعم النظام المعتزلي يعني ان الله تعالى صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدورا لهم لكن عاقهم امر خارجي فصار كسائر المعجزات فانه لو كان عجزهم مع بقاء قدرهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم على ان الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز الى القرآن فكيف يكون معجزا وليس فيه صفة اعجاز بل المعجز هو الله تعالى حيث اعجزهم على الاتيان بمثله وايضا فيلزم من القول بالصرفة زوال الاعجاز بزوال زمان التحدي وخلو القرآن من الاعجاز والفضل من حيث انه كلام على غيره وفي ذلك خرق لاجماع الامة ان المعجزة العظمى باقية قيل الحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر الموزون مع ان الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره ان القرآن منبع الحق ومجمع الصدق وقصارى امر الشاعر التخييل والتصور بالاطراء والافراط والمبالغة في المدح او الذم او الايذاء دون اظهار الحق واثبات الصدق فلاجل شهرة الشعر بالكذب سمي اصحاب البراهين القياسات المؤدية في اكثر الامر الى الكذب شعرية وما وجد في القرآن مما صورته صورة الموزون مثل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر واصنع الفلك باعيننا ليقضي الله امرا كان مفعولا ونخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم الى غير ذلك فلا يسمى شعرا لان شرط الشعر القصد وقيل البيت الواحد وما كان على وزنه لا يسمى شعرا واقل الشعر بيتان قيل وذكر الجن في الاية مع انهم ليسوا من اهل اللسان العربي الذي جاء القرآن على اساليبه تعظيما لاعجاز القرآن لان للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للافراد فاذا فرض اجتماع الثقلين فيه وظاهر بعضهم بعضا وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد اعجز وكيف لا وهو منزه عن مشابهة كلام الخلق فلا يقدر على مثله احد من المخلوقات

الباب الثاني في تعظيم القرآن وتلاوته حق تلاوته واقامة حدوده في التلاوة والتصديق بما فيه وتفهم علومه وفيه فصلان ايضا

الاول في تعظيمه وتلاوته حق تلاوته واقامة حدوده في التلاوة والتصديق بما فيه اعلم ان تعظيم القرآن لا يكون الا بالايمان والتصديق به والعمل بموجبه ومراعاته حق رعايته قال الله تعالى ورتل القرآن ترتيلا ويلزمه التجويد وهو فرض كفاية والعمل به فرض عين في الجملة على صاحب كل قراءة ورواية فتعليمه فرض كفاية وتعلمه فرض عين وهو اعطاء كل ذي حق حقه قال البخاري في صحيحه انزل القرآن على سبعة احرف وروى فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم ازل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف وروى البخاري ايضا عن عمر بن الخطاب رضي الله قال سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت اساوره في الصلوة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من اقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ فقال اقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به اقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا يقرأ

سورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ارسله اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها فقال
كذلك انزلت ثم قال اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي اقرأني فقال
صلعم كذلك انزلت ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤا
ما تيسر منه قال ابن حبان اختلف في معنى الاحرف السبعة
على خمسة وثلثين قولا وهي اقاويل يشبه بعضها بعضا وكلها
محتملة ويحتمل غيرها الاول قول من قال هي زاجر وآمر وحلال وحرام
ومحكم ومتشابه وامثال الثاني حلال وحرام وامر ونهي وزجر
وخبر ما هو كائن وامثال الثالث وعد ووعيد وحلال وحرام
ومواعظ وامثال واحتجاج الرابع امر ونهي وبشارة ونذارة
واخبار وامثال الخامس محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخصوص
وعموم وقصص السادس امر وزجر وترغيب وترهيب وجدل
وقصص ومثل وان شئت باقي الاقوال فعليك بالاتقان قال
المرسي هذه الوجوه اكثرها متداخلة ولا ادري مستندها ولا عمن نقلت ولا ادري
لم خص كل واحد منهم هذه الاحرف السبعة بما ذكر مع ان كلها موجود
في القرآن فلا ادري معنى التخصيص وفيها اشياء لا افهم معناها على الحقيقة
واكثرها معارضة لحديث عمر رض مع هشام بن حكيم الذي في الصحيح
فانهما لم يختلفا في تفسيره ولا احكامه وانما اختلفا في قراءة حروفه
وقد حكى كثير من العوام ان المراد بها القراءات السبع وفي الاتقان
نقلا عن البلقيني قال القراءة تنقسم الى متواتر واحاد وشاذ فالمتواتر
القراءات السبع المشهورة والاحاد قراءات الثلثة التي هي تمام
العشر ويلحق بها قراءات الصحابة والشاذ قراءات التابعين كالاعمش
ويحيى ابن وثاب وابن جبير ونحوهم وهذا الكلام فيه نظر واحسن من تكلم

من تكلم في هذا النوع ابو الخير بن الجزري قال في اول كتابه النشر كل
قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت احدى المصاحف
العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز
ردها ولا يحل انكارها ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن السبعة
او عن العشرة او عن غيرهم من الائمة المقبولين فلهذا قيل الصواب
ما يحمل عليه هو ان المراد بسبعة احرف سبعة انحاء من الاعتبار
متفرقة في القرآن راجعة الى اللفظ والمعنى دون صورة الكتابة
واعلم ان الآداب الظاهرة في التلاوة عشرة الاول انه لا يكون
هيئة القاري على هيئة التكبر بل يكون على هيئة الادب والسكون
قائما او قاعدا وان يكون على وضوء وان قراءة على غير وضوء
وكان مضطجعا في فراشه فضله دون الاول قال الله تبارك وتعالى
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاثنى على الكل ولكن
قدم القيام والثاني تحسين القراءة بترديد الصوت من غير تمطط
مفرط يغير النظم فذلك هو السنة اذ روي عن رسول الله صلعم
انه قال ما اذن الله تعالى لشيء اذنه لحسن الصوت بالقرآن وقال
صلعم لابن مسعود اقرأ علي فقال يا رسول الله اقرأ عليك
انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري وكان يقرأ وعينا
رسول الله صلعم يفيضان وفي التاتارخانية في التغني في القرآن
والالحان هذا الفصل على وجهين ان كانت الالحان لا تغير الكلمة
عن وضعها يؤدي الغنا بها الى تطويل الحروف التي حصل التغني
بها حتى لا يصير الحرف حرفين بل لحنه تحسين الصوت وتزيين
القراءة لا يوجب ذلك فساد الصلوة وذلك مستحب عندنا
في الصلوة وخارج الصلوة وان كان يغير الكلمة عن وضعها يوجب

فساد الصلوة لان ذلك منهي عنه وفي الذخيرة وانما يجوز
ادخال المد في حرف المد واللين والهوائية والمعتل نحو الالف
والواو والياء وفي الخانية والالحان في حرف المد واللين
لا يغير الا انه فحش وان قرا بالالحان في غير الصلوة اختلفوا فيه وعامة
المشايخ كرهوا الاستماع ايضا لانه تشبه بالفسقة بما فعلوه
في فسقهم وكذا الترجيع في الاذان ومراد قوله عم زينوا القرآن
باصواتكم القراءة بنغمة العرب انتهى **والثالث** الجهر بالقراءة
افضل عند عدم الخوف على نفسه من الرياء والتصنع ولم يكن
في الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر لان العمل فيه اكثر ولانه
فائدته ايضا يتعلق بغيره والخير المتعدي افضل من اللازم ولانه
الجهر يوقظ قلب القارى ويجمع همته الى الفكر فيه ويطرد النوم
والكسل ويزيد في نشاطه ويرجو بجهره تيقظ نائم وغير ذلك وغاية
الامر انه راجع الى عمل القلب وهو النية فبكثرة النيات تزكو
وتتضاعف اجور اعمال الابرار **والرابع** الاستعاذة في ابتداء
القراءة وليقل بعد فراغه صدق الله وبلغ رسول الله اللهم انفعنا
وبارك لنا فيه واستغفر الله الحي القيوم وفي اثناء القراءة اذا
مر باية تسبيح سبح وكبر واذا مر باية دعاء واستغفار دعا
واستغفر وان مر بمرجو سال وان مر باية تخويف استعاذ يفعل
ذلك بلسانه او بقلبه فيقول سبحان الله اعوذ بالله **والخامس**
مراعاة حق الايات فاذا مر باية سجود سجد **والسادس** البكاء
مستحب مع القراءة قال صلعم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا
فتباكوا **والسابع** الترتيل هو المستحب في هيئة القرآن قال ابن
عباس رضي الله عنه لان اقرا البقرة وآل عمران ارتلهما واتدبرهما

واتدبرهما احب الي من ان اقرا القرآن كله هذرمة يعني استعجالا
والثامن يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه **والتاسع**
مقدار القراءة كان جماعة من الصحابة يختمون القرآن في كل
جمعة وقد كره جماعة الختم في كل يوم وليلة وانه كان نافذ
الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي في الشهر مرة **والعاشر** وجه القسمة
اما من يختم في الاسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة احزاب فقد حزب
الصحابة القرآن احزابا فقيل احزاب القرآن سبعة فالحزب
الاول ثلث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث
سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة
والسادس ثلث عشرة سورة والسابع المفصل من قاف فهكذا
حزبه الصحابة وكانوا يقرؤونه كذلك وفيه خبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما سواه هذا محدث واما المعارضة بما نقل من السلف
من التشديد في العبادة بالختم في كل ليلة ويوم مرة او مرتين او ثلاث
وكذا القيام في كل الليالي وصيام الدهر والوصال والاجتناب
عن المشتهيات والطيبات وشدة الرياضات بكثرة المجاهدات
والاجتهاد في العبادات فمدفوعة بانه نبينا صلعم ارسل رحمة
للعالمين ومويد من عند الله تعالى فيقوى على ما لا يقوى عليه احاد
عامة الامة وانه اخشى الناس من الله تعالى واتقاهم واعلمهم
بالله تعالى فلا يتصور منه البخل وترك النصح فلو كان في العبادة
طريق افضل وانفع غير ما هو فيه لفعله او بينه وحث عليه ولو ترك
في الدفع بانه التشديد في العبادة غالبا اما مفض الى اهلاك
النفس او اضاعة الحق الواجب للغير او ترك العبادة او ترك
مداومتها فيحمل ما روى عن السلف على انهم انما فعلوا ذلك التشديد

مداواة لامراض القلوب ولكون العبادة عادة لهم وطبعا
كالغذاء للصحيح فيتلذذون بها بلا اضاعة حق ولا ترك مداومة
ولا اعتقاد انه افضل عما كان عليه وقاله افضل المخلوقات صلعم
واما هو صلى الله عليه وسلم فقد بلغ الدرجة العليا من الكمال
وهي انه لا يمنع عن توجه القلب شيء حتى النوم فالخلطة والعزلة
سواء فاقتصاره عليه الصلوة والسلام على بعض العبادات
قصاره
الظاهرة لكونها افضل له ولامته وتلذذه لا لخصوص بالعبادات
الظاهرة بل دائم هذا فطوبى لمن عظم القرآن وتلاحق تلاوته وفهمه
وعمل بموجبه **الفصل الثاني** في تفهم علومه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه
اعلم ان التفهم بعد التدبر بحضور القلب والتعظيم يحتاج الى التخلي
عن موانع الفهم بفضله تعالى ولطفه في ايصال معاني كلامه تعالى
الى الفهم اذ لولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت
لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات
نوره ولا يمكن تفهم عظمة الكلام الا بامثلة على حد فهم الخلق وفي احياء
العلوم ولقد تانق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في ايصال
معاني الكلام مع علو درجته الى فهم الانسان وتثبيته مع قصور رتبته
وضرب لذلك مثلا لم يقصر فيه وذلك انه دعا بعض الملوك
الى شريعة الانبياء فساله الملك عن امور فاجاب بما احتمله فهمه فقال
الملك ارايت ما ياتي به الانبياء اذا ادعيت انه ليس بكلام الناس
وانه كلام الله فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم انا راينا الناس
لما ارادوا ان يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها
وتاخيرها واقبالها وادبارها وراوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم
كلامهم الصادر عن انوار عقولهم مع حسنه وترتيبه وبديع نظمه فنزلوا الى درجة

الى درجة تمييز البهايم واوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهايم
باصوات يضعونها لايقة بها من النقر والصفير والاصوات
القريبة من اصوات البهايم التي تطيق حملها وكذا الناس يعجزون
عن حمل كلام الله سبحانه بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما
يتراجعون به بينهم من الاصوات التي يسمعون بها الحكمة كصوت
النقر والصفير الذي سمعت الدواب من الناس ولم يمنع ذلك
معاني الحكمة المخبوءة في تلك الصفات من ان شرف الكلام فشرفت
الاصوات لشرفها وعظمت لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا
والحكمة للصوت نفسا وروحا وكما ان اجساد البشر تكرم وتعز
لمكان الروح فكذلك اصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها
والكلام على المنزلة رفيع الدرجة باهر السلطان نافذ الحكم في الحق
والباطل وهو القاضي العدل والشاهد المرتضى يامر وينهى لا طاقة
للباطل ان يقوم قدام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم قدام شعاع
الشمس ولا طاقة للبشر ان ينفذوا اغوار الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا
بابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من عين الشمس ما تحيى به
ابصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحجوب
الغائب وجهه الشاهد امره وكالشمس العزيزة الظاهرة وعنصرها
مكنون وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدي بها من لا يقف على سيرها
فهو مفتاح الخزاين النفيسة وشراب الحيوة الذي من شرب منه
لم يمت ودواء الاسقام الذي من سقي منه لم يسقم فهذا الذي ذكره
الحكيم نبذة من تفهيم معاني الكلام انتهى قال الامام في التفسير الكبير
ومن بعض النكت المستنبطة من قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم انه
مرض موسى عم واشتد وجع بطنه فشكى اليه تعالى فدله على عشب بالمفازة

فأكله فعوفي باذن الله تعالى ثم عاوده ذلك المرض في وقت آخر
فأكل من ذلك العشب فاشتد مرضه فقال يا رب أكلته أولا
فانتفعت به وأكلته ثانيا فضرني فقال تعالى لانك في المرة الاولى
ذهبت مني الى الكلأ فحصلت فيه الشفاء وفي الثانية ذهبت منك الى الكلأ
فازداد مرضك أما علمت أن الدنيا كلها سم قاتل ودرياقها اسمي بات
رابعة ليلة في التهجد والصلوة فلما انفجر الصبح نامت فدخل السارق دارها
واخذ ثيابها وقصد الباب فلم يهتد الى الباب فوضعها فوجد الباب
ففعل ذلك ثلث مرات فنودي من زاوية البيت ضع الثياب واخرج
فانه نام الحبيب فالسلطان يقظان وروي ان فرعون قبل ان ادعى الالهية
بنى قصرا وامر ان يكتب على بابه الخارج باسم الله فلما ادعى الالهية
وارسل اليه موسى ودعاه فلم ير فيه اثر الرشد قال الهي كم ادعوه ولا ارى
به خيرا فقال الله تعالى يا موسى لعلك تريد اهلاكه انت تنظر الى كفره وانا
انظر الى ما كتبه على باب داره والنكتة ان من كتب هذه الكلمة على باب
داره الخارج صار آمنا من الهلاك وان كان كافرا فالذي كتب على سويداء
قلبه من اول عمره الى آخره كيف يكون حاله انتهى وكان بعض السلف اذا
قرأ السورة ولم يكن قلبه فيها اعادها ثانية والحضور متولد من التعظيم
فان المعظم الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس به ولا يغفل عنه ففي القرآن
العظيم ما يستأنس به القلب ان كان التالي اهلا لذلك وكيف يطلب
الانس بالفكر في غيره وهو متنزه ومتفرج والمتفرج في التنزهات لا يتفكر
في غيرها فقد قيل ان في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس
وديابيج ورياضات وخانات فالميمات ميادين القرآن والراءات
بساتين القرآن والحامدات مقاصيره والمسبحات عرائس القرآن
والحواميم ديابيج القرآن والمفصل رياضه والخانات ما سوى ذلك فاذا دخل

فاذا دخل القارئ في الميادين وقطف من البساتين ودخل
المقاصير وشهد العرائس ولبس الديباج وتنزه في الرياض
وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه
فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره وهذا لا يكون الا بعد التخلي عن موانع
الفهم حسبما تيسر فكل ميسر لما خلق له وهو ان يستوضح من كل آية ما يليق
بها اذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر افعاله
وذكر احوال انبيائه وذكر احوال المكذبين لهم وانهم كيف اهلكوا
وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار واذا عرفت هذا فاعرف
ان الغرض ذكر طرف طريق التفهم ليفتح بابه حتى لا يكون من جملة المعطلين
في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا
للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم
والطبع هو من الموانع فكلما كانت الشهوات اشد تراكما كانت معاني
الكلام اشد احتجابا وكلما خفت عن القلب اثقال الدنيا قرب
تجلي المعنى فيه فالقلب مثل المرآة والشهوات مثل الصدأ ومعاني
القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة والرياضة للقلب باماطة الشهوات
مثل تصقيل الجلاء للمرآة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا عظمت
امتي الدينار والدرهم نزعت منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر
بالمعروف حرموا بركة الوحي قال فضيل يعني حرموا فهم القرآن
وقد شرط الله الانابة في الفهم والتذكر فقال تعالى تبصرة وذكرى
لكل عبد منيب وقال تعالى وما يتذكر الا من ينيب وقال عز وجل
انما يتذكر اولو الالباب والذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس
من ذوي الالباب فلذلك لا ينكشف له اسرار الكتاب قال قتادة
لم يجالس احد هذا القرآن الا قام بزيادة او نقصان قال الله تعالى وننزل

من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا
وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القرآن في قلوبكم يا اهل القرآن
ان القرآن ربيع المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض وفي الاحياء
ولقد كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الاحوال والاعمال
فمات رسول الله صلعم عن عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ
القرآن منهم الا ستة اختلف منهم في اثنين وكان اكثرهم يحفظ
السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة وآل عمران
من علمائهم ولما جاء رجل من الصدر الاول الى رسول الله صلعم
يتعلم العلم فلما كان عند باب المسجد سمع النبي صلعم وهو يقرأ
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
فقال يكفيني هذا وانصرف فقال النبي صلعم انصرف الرجل
وهو فقيه وان رسول الله صلعم دعا لابن عباس فقال اللهم
فقهه في الدين وعلمه التاويل وبالجملة ان من بادر الى استنباط
المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في جملة من يفسر بالرأي
فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع
الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم والله تعالى ولي التوفيق الباب الثاني
في المحكم والمتشابه قال تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه
آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات الاية واعلم
ان في الم وما يجري مجراه من فواتح السور قولان الاول ان
هذا علم مستور وسر محجوب استاثر الله به والتخاطب بالحروف
المفردة سنة الاحباب في سنن المحاب فهو سر الحبيب مع
الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب عن ابي بكر الصديق
رض في كل كتاب سر وسره في القرآن اوائل السور وعن علي

كرم الله وجهه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب
حروف التهجي وسئل الشعبي عن هذه الحروف فقال سر الله
فلا تطلبوه وعن ابن عباس رض انه قال عجزت العلماء عن ادراكها
وقيل هي من المتشابه القول الثاني ان المراد من هذه الفواتح معلوم
ثم اختلفوا على وجوه الاول انها اسماء للسور وهو قول اكثر
المتكلمين واختيار الخليل وسيبويه كما سموا بلام والد حارثة
ابن لام الطائي وكقولهم للنحاس صاد وللسحاب عين وللجبل
قاف وللحوت نون الثاني انها اسماء الله تعالى روي عن علي رض
انه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق الثالث انها اسماء القرآن
وهو قول الكلبي والسدي وقتادة الرابع كل واحد من الحروف
دال على اسم من اسماء الله تعالى او صفة من صفاته الخامس انها صفات
الافعال السادس انه وردها مسرودة هكذا على نمط التعديد
ليكون كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن اي ان هذا
منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم السابع قول الاخفش ان الله تعالى
اقسم بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات
بها والاقوال فيها كثيرة والمختار منها عند الاكثرين القول
بانها اسماء السور وفي الاتقان وقد حكى ابن حبيب النيسابوري
في المسألة ثلثة اقوال احدها ان القرآن كله محكم لقوله تعالى كتاب
احكمت آياته الثاني كله متشابه لقوله تعالى كتابا متشابها مثاني
الثالث وهو الصحيح انقسامه الى محكم ومتشابه للاية المصدر بها
والجواب عن الايتين ان المراد باحكامه اتقانه وعدم
تطرق النقص والاختلاف اليه وبمتشابهه كونه يشبه بعضه
بعضا في الحق والصدق والاعجاز وقال بعضهم الاية لا تدل

على الحصر في الشيئين اذ ليس فيهما شيء من طرقه وقد قال تعالى
لتبين للناس ما نزل اليهم والمحكم لا يتوقف معرفته على البيان
والمتشابه لا يرجى بيانه وقد اختلف في تعيين المحكم والمتشابه
على اقوال فقيل المحكم ما عرف المراد منه اما بالظهور واما
بالتاويل والمتشابه ما استاثر الله بعلمه كقيام الساعة
وخروج الدجال والحروف المقطعة من اوائل السور وقيل
المحكم ما لا يحتمل من التاويل الا وجها واحدا والمتشابه ما احتمل
اوجها وقيل المحكم ما كان معقول المعنى والمتشابه بخلافه
كاعداد الصلوات واختصاص الصيام برمضان دون
شعبان قاله الماوردي وقيل المحكم ما تاويله تنزيله والمتشابه
ما لا يدرك الا بالتاويل وقيل المحكم ما لم يتكرر الفاظه
ومقابله المتشابه وقيل المحكم الفرائض والوعد والوعيد
والمتشابه القصص والامثال اخرج ابن ابي حاتم من طريق
علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال المحكمات ناسخه وحلاله
وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به والمتشابهات
منسوخه ومقدمه ومؤخره وامثاله واقسامه وما يؤمن به
ولا يعمل به قال ابن ابي حاتم وقد روي عن عكرمة وقتادة وغيرهما
ان المحكم يعمل به والمتشابه الذي يؤمن به ولا يعمل به واخرج
الفريابي عن مجاهد قال المحكمات ما فيه الحلال والحرام
وما سوى ذلك منه متشابه يصدق بعضه بعضا واخرج
عبد بن حميد عن الضحاك قال المحكمات ما لم ينسخ منه والمتشابهات
ما قد نسخ واخرج ابن ابي حاتم عن مقاتل بن حيان قال المتشابهات
فيما بلغنا الم والمص والمر والر واخرج الدارمي عن عمر بن الخطاب

الخطاب قال انه سياتيكم ناس يجادلونكم بشبهات
القرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله
قال الطيبي المراد بالمحكم ما اتضح معناه والمتشابه بخلافه لان اللفظ
الذي يقبل معنى اما ان يحتمل غيره اولا والثاني النص والاول
اما ان يكون دلالته على ذلك الغير ارجح اولا والاول
هو الظاهر والثاني اما ان يكون يساويه اولا والاول
هو المجمل والثاني المؤول فالمشترك بين النص والظاهر هو
المحكم والمشترك بين المجمل والمؤول هو المتشابه ويؤيد هذا
التقسيم انه تعالى اوقع المحكم مقابلا للمتشابه فالواجب ان يفسر
المحكم بما يقابله ويعضد ذلك اسلوب الاية وهو الجمع مع التقسيم
لانه فرق ما جمع في معنى الكتاب بانه قال منه آيات محكمات
واخر متشابهات واراد ان يضيف الى كل منهما ما شاء الله فقال
اولا فاما الذين في قلوبهم زيغ الى انه قال والراسخون في العلم
يقولون آمنا به وكان يمكن ان يقال واما الذين في قلوبهم
استقامة فيتبعون المحكم لكنه وضع موضع ذلك الراسخون في العلم
لان الرسوخ لا يحصل الا بعد التثبت التام والاجتهاد البليغ فاذا
استقام القلب على طرق الرشاد ورسخ القدم في العلم
افصح صاحبه النطق بالقول الحق وكفى بدعاء الراسخين في العلم
ربنا لا تزغ قلوبنا الى آخره شاهدا على ان الراسخون في العلم مقابل
لقوله واما الذين في قلوبهم زيغ وفيه اشارة الى ان الوقف على قوله
الا الله تام والى ان علم بعض المتشابه مختص بالله تعالى وقال
الراغب في مفردات القرآن الآيات عند اعتبار بعضها ببعض
ثلاثة اضرب محكم على الاطلاق ومتشابه على الاطلاق ومحكم

من وجه متشابه من وجه فالمتشابه بالجملة ثلثة اضرب متشابه من جهة
اللفظ فقط ومن جهة المعنى فقط ومن جهتهما فالاول ضربان احدهما
يرجع الى الالفاظ المفردة اما من جهة الغرابة نحو الاب ويزفون
او الاشتراك كاليد واللمس وثانيهما يرجع الى جملة الكلام
المركب وذلك ثلثة اضرب ضرب لاختصار الكلام
نحو وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم وضرب
لبسطه نحو ليس كمثله شيء لانه لو قيل ليس مثله كان اظهر للسامع
وضرب لنظم الكلام نحو انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له
عوجا قيما تقديره انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له
عوجا والمتشابه من جهة المعنى اوصاف الله تعالى واوصاف القيمة
فان تلك الصفات لا تتصور لنا اذ كان لا يحصل في نفوسنا
صورة ما لم نحسه او ليس من جنسه والمتشابه من جهتهما خمسة
اضرب الاول من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو اقتلوا المشركين
والثاني من جهة الكيفية كالوجوب والندب نحو فانكحوا ما طاب
لكم من النساء والثالث من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ
نحو اتقوا الله حق تقاته والرابع من جهة المكان والامور التي
نزلت فيها نحو وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها
انما النسيء زيادة في الكفر فانه من لا يعرف عادتهم في الجاهلية
يتعذر عليه تفسير هذه الاية والخامس من جهة الشروط التي
يصح بها الفعل ويفسد كشرط الصلوة والنكاح قال وهذه
الجملة اذا تصورت علم انه كل ما ذكره المفسرون في تفسير المتشابه
لا يخرج عن هذه التقاسيم فكن على بصيرة الباب الرابع في البحث
عن الناسخ والمنسوخ قال في البزدوي وتقريره دليلنا على

جواز النسخ ووجوده المستلزم لجوازه عقلا من جهة السمع والتوقيف
انه احد لا ينكر استحلال نكاح الاخوات في شريعة آدم عم وقد
ورد في التورية ان الله تعالى امر آدم بتزويج بناته من بنيه وانه
احد لا ينكر الاستمتاع بالحوا لآدم عم وهي خلقت منه فانه
ذلك نسخ بغيره من الشرايع وكذلك الجمع بين الاختين كان
مشروعا في شريعة يعقوب عم فانه ذكر في التورية ان يعقوب
خطب الصغرى فقال ابوهما ليس من سنة بلدنا ان تزوج الصغرى
قبل الكبرى فتزوجهما معا ثم حرم الجمع بين الاختين في حكم التورية
واما الدليل المعقول فهو ان النسخ بيان مدة الحكم للعباد فالامر
المطلق في حيوته صلعم للايجاب لا للبقاء فيقتضي انه يكون المامور
واجبا والبقاء بعد الثبوت باستصحاب الحال على احتمال
العدم بدليل يوجب العدم فالناسخ الدال على عدم البقاء
لا يكون متعرضا لحكم الدليل الاول انتهى مختصرا اعلم ان النسخ
مما خص الله به هذه الامة لحكم ويرد بمعنى الازالة ومنه قوله تعالى
فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته وبمعنى التبديل
ويؤيده واذا بدلنا اية مكان اية وبمعنى التحويل كتناسخ المواريث
بمعنى تحويل الميراث من واحد الى آخر ويجيء بيانه في جواز نسخ
الكتاب بالسنة وبمعنى النقل من موضع الى موضع ومنه نسخت
الكتاب اذا نقلت ما فيه ثم قيل اطلاقه على المعنيين بالاشتراك
كانه الاصل في الاطلاق الحقيقة وقيل حقيقة في الازالة مجاز
في الآخر لانه لم يستعمل الا فيهما وليس حقيقة في النقل لان نسخ
الكتاب لم يوجد النقل فتعين انه يكون حقيقة في الآخر وقيل
بالعكس والاول اولى لانه نقل المنسوخ الى الناسخة لا يتصور واما

الازالة فمتصورة وفي جملة حكمة النسخ التيسير وقد اجمع المسلمون
على جوازه وانكره اليهود لانه بيان مدة الحكم كالاحياء
بعد الاماتة وعكسه والمرض بعد الصحة وعكسه والفقر بعد الغناء
وعكسه فكذلك الامر والنهي قيل لا ينسخ القرآن الا بالقرآن
كقوله تعالى ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها
وقيل بل ينسخ القرآن بالسنة ايضا لانها ايضا من عند الله
تعالى قال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وفي البزدوي
وتقريره بعض اصحابنا منهم الشيخ ابو منصور الماتريدي رحمه
في جواز نسخ الكتاب بالسنة بقوله تعالى اذا حضر احدكم الموت
ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف
حقا على المتقين ووجه الاحتجاج ان هذه الوصية فرضت
بموجب هذه الاية ثم نسخت بقول النبي صلعم لا وصية لوارث
وهذا الحديث في قوة المتواتر اذ المتواتر نوعان متواتر
من حيث الرواية ومتواتر من حيث ظهور العمل من غير نكير
فان ظهوره يغني الناس عن روايته وهو بهذه المثابة لا يقال
ثبت النسخ بآية المواريث لان فيها ايجاب حق بطريق
الارث فلا يكون منافيا فلا يثبت به النسخ ولا يجوز ان يقال
لعل ناسخه انزل في القرآن لكن لم يبلغنا لانتساخ تلاوته مع بقاء
حكمه لانه فتح هذا الباب يؤدي الى الوقف في جميع احكام الشرع
اذ ما من حكم الا ويتوهم فيه انه ناسخه نزل ولم يبلغنا لانتساخ
تلاوته وفيه خرق الاجماع لانعقاده على ان ما وجد صالحا
لاثبات الحكم هو المثبت وما وجد صالحا للنسخ فهو الناسخ
وان احتمل اضافة الحكم والنسخ الى غير ما ظهر مع عدم الظفر به بعد

اصح هو

بعد البحث التام انتهى قال الش رحه حيث وقع نسخ القرآن
بالسنة فمعها قرآن عاضد لها وحيث وقع نسخ السنة بالقرآن
فمعه سنة عاضدة له ليتبين توافق القرآن والسنة والنسخ
لا يقع الا في الامر والنهي ولو بلفظ الخبر فالنسخ اقسام احدها
نسخ المامور به قبل امتثاله وهو النسخ على الحقيقة كاية النجوى
الثاني ما نسخ مما كان شرعا لمن قبلنا كاية شرع القصاص والدية
او كان امر به امرا جمليا كنسخ التوجه الى بيت المقدس بالكعبة وصوم
عاشوراء برمضان وانما يسمى هذا نسخا تجوزا الثالث ما امر به لسبب
ثم يزول السبب كالامر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح
ثم نسخ بايجاب القتال وهذا في الحقيقة ليس نسخا بل هو من قسم
المنسأ كما قال تعالى او ننسأها فالمنسي هو الامر بالقتال الى ان يقوى
المسلمون وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الاذى
قيل سور القرآن باعتبار الناسخ والمنسوخ اقسام قسم ليس فيه ناسخ
ولا منسوخ وهو ثلث واربعون سورة الفاتحة ويوسف
ويس والحجرات والرحمن والحديد والصف والجمعة والتحريم
والملك والحاقة ونوح والجن والمرسلات وعم والنازعات
والانفطار وثلاث بعدها والفجر وما بعدها الى آخر القرآن الا
التين والعصر والكافرون وقسم فيه الناسخ والمنسوخ وهو خمس
وعشرون البقرة وثلاث بعدها والحج والنور وتاليها والاحزاب
وسبا والمؤمن وشورى والذاريات والطور والواقعة
والمجادلة والمزمل والمدثر وكورت والعصر وقسم فيه الناسخ
فقط وهو ستة الفتح والحشر والمنافقون والتغابن والطلاق
والاعلى وقسم فيه المنسوخ فقط وهو الاربعون الباقية والنسخ في القرآن

على ثلثة اضرب احدها ما نسخ تلاوته وحكمه معا والثاني ما نسخ
حكمه دون تلاوته والثالث ما نسخ تلاوته دونه حكمه وورد
بعضهم فيه سوالا وهو ما الحكمة في رفع التلاوة مع بقاء الحكم واجيب
بانه ذلك ليظهر به مقدار طاعة هذه الامة فيسرعون بلا يسير
شئ كما سارع الخليل الى ذبح ولده بمنام والمنام ادنى طريق الوحي
وفي الاتقان قال ابو عبيد حدثنا اسمعيل بن ابرهيم عن ايوب
عن نافع عن ابن عمر رض قال لا يقولن احدكم قد اخذت
القرآن كله وما يدريه ما كله قد ذهب منه قرآن كثير ليقل قد ولكن
اخذت منه ما ظهر وقال حدثنا ابن ابي مريم عن ابن لهيعة عن ابي
الاسود عن عروة بن الزبير عن عايشة قالت كانت سورة
الاحزاب تقرأ في زمان النبي صلعم مائتي آية فلما كتب عثمان
المصاحف لم يقدر منها الا على ما هو الآن قيل ومن عجيب
المنسوخ قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين
فانه اولها وآخرها منسوخ ووسطها محكم وهو وأمر بالعرف
وايضا من عجيبه آية اولها منسوخ وآخرها ناسخ ولا نظير لها
وهو قوله عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يعني بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر فهذا ناسخ لقوله عليكم انفسكم وفي البرهان يجوز
نسخ الناسخ فيصير منسوخا كقوله تعالى لكم دينكم ولي دين نسخها
قوله تعالى اقتلوا المشركين ثم نسخ هذه بقوله تعالى حتى يعطوا
الجزية قيل وفيه انه قوله حتى يعطوا الجزية مخصص لا ناسخ اخرج
ابو عبيد وغيره عن ابن عباس قال اول ما نسخ من القرآن شان
القبلة قيل ولا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين بل ولا اجتهاد
المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينة لان النسخ يتضمن رفع

رفع حكم واثبات حكم تقرر في عهده صلعم فالمعتمد فيه النقل
والتاريخ دونه الرأي والاجتهاد والناس في هذا بين طرفي
نقيض فمن قائل لا يقبل في النسخ اخبار الاحاد العدول ومن
متساهل يكتفي فيه بقول مفسر او مجتهد والصواب خلاف قولهما
انتهى قيل ومما رفع رسمه من القرآن ولم يرفع من القلوب حفظه
سورتا القنوت في الوتر وتسمى سورتي الخلع والحفد وحكى
القاضي ابو بكر في الانتصار عن قوم انكار هذا الضرب لان
الاخبار فيه اخبار آحاد ولا يجوز القطع على انزال قرآن
ونسخه باخبار آحاد لا حجة فيها ومنه ما روي عن عمر رض
من قوله لولا انه يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها
يعني آية الرجم قال ابن الحصار انه قيل كيف يقع النسخ الى غير
بدل وقد قال تعالى ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها
او مثلها وهذا اخبار لا يدخله خلف فالجواب انه نقول كل ما ثبت
في القرآن ولم ينسخ فهو بدل مما قد نسخت تلاوته فكل ما نسخه الله
من القرآن مما لا نعلمه الآن فقد ابدله ما علمناه وتواتر الينا
لفظه ومعناه فاذا عرفت هذا فاعلم انه مما يجب الايمان به
الايمان بالكتب والمراد من الايمان بها العلم بكونها
كلام الله تعالى انزلها على انبيائه وجملتها مائة واربعة
كتب انزل منها على آدم على نبينا وعليه السلام عشر صحف
وعلى شيث عم خمسين صحيفة وعلى ادريس عم ثلثين صحيفة
وعلى ابرهيم عشر صحايف وعلى موسى عم التورية وعلى عيسى عم
الانجيل وعلى داود الزبور وعلى محمد صلى الله عليه وسلم القرآن
فما ثبت تعيينه باسمه يجب الايمان به تفصيلا وما لم يعرف

اسمه يجب الايمان به اجمالا والله تعالى يقول الحق وهو يهدي
السبيل **الباب الخامس** في البحث عن عمومه وخصوصه وسائر
وجوهه وفنون علومه اعلم ان العام لفظ يستغرق الصالح
له من غير حصر نحو كل من عليها فان فسجد الملائكة كلهم اجمعون للذين
احسنوا الحسنى وزيادة للذين اتقوا عند ربهم جنات
وايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره قد افلح المؤمنون فاقتلوا المشركين ان الانسان
لفي خسر الا الذين امنوا فلا تقل لهما اف وان من شيء الا عندنا
خزائنه ذلك الكتاب لا ريب فيه وهو على ثلاثة اقسام
الاول الباقي على عمومه نحو والله بكل شيء عليم ولا يظلم
ربك احدا والثاني العام المراد به الخصوص والثالث العام
المخصوص والفرق بينهما ان الاول لم يرد شموله لجميع الافراد
لا من جهة تناول اللفظ ولا من جهة الحكم بل هو ذو افراد استعمل
في فرد منها والثاني اريد عمومه وشموله لجميع الافراد من جهة تناول
اللفظ لها لا من جهة الحكم وايضا ان الاول مجاز قطعا لنقل اللفظ
عن موضوعه الاصلي بخلاف الثاني فان فيه مذاهب اصحها
انه حقيقة وعليه كثير من الحنفية والشافعية وجميع الحنابلة ونقله
امام الحرمين عن جميع الفقهاء وايضا ان الاول يصح ان يراد
به واحد اتفاقا وفي الثاني خلاف قال تعالى الذين قال لهم الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم المراد به الخصوص لان القائل واحد
نعيم بن مسعود الاشجعي او اعرابي من خزاعة كما اخرجه ابن مردويه
من حديث ابي رافع لقيامه مقام كثير في تثبيط المؤمنين عن ملاقاة

عن ملاقاة ابي سفيان قال الفارسي ومما يقوي ان المراد به
واحد قوله انما ذلكم الشيطان فوقعت الاشارة بقوله ذلكم
الى واحد بعينه ولو كان المعني به جمعا لقال انما اولئكم الشياطين
وقال تعالى ام يحسدون الناس اي رسول الله صلعم لجمعه
ما في الناس من الخصال الحميدة اخرج ابن جرير من طريق
الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى من حيث افاض الناس قال
ابرهيم ومن الغريب قراءة سعيد بن جبير من حيث افاض الناسي
واما الخصوص فامثلته في القرآن كثيرة وهي اكثر من المنسوخ
اذ ما من عام فيه الا وقد خص ثم المخصص له اما متصل واما
منفصل فالمتصل خمسة وقعت في القرآن الاول الاستثناء
نحو والشعراء يتبعهم الغاوون الا الذين امنوا كل شيء هالك
الا وجهه الثاني الوصف نحو وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم
اللاتي دخلتم بهن الثالث الشرط نحو والذين يبتغون الكتاب مما
ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا الرابع الغاية نحو قاتلوا
الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الى قوله حتى يعطوا الجزية
الخامس بدل البعض من الكل نحو ولله على الناس حج البيت
من استطاع اليه سبيلا واما المنفصل فاية اخرى في محل اخر
او حديث او اجماع او قياس فانه اردت الايقاف فعليك
بالاتقان واختلف في الخطاب الخاص به صلى الله عليه وسلم
نحو يا ايها الرسول هل يشمل الامة فقيل نعم لانه امر القدوة
اولا تباعه معنى ع فا والاصح في الاصول المنع لاختصاص الصيغة
به واختلف ايضا في الخطاب بيا ايها الناس هل يشمل الرسول
صلعم عليه وسلم على مذاهب اصحها يعم لعموم الصيغة لانه خرج

ابن حاتم عن الزهري قال اذا قال الله يا ايها الذين آمنوا
فالنبي صلعم منهم وقيل لا يعم لانه ورد على لسانه لتبليغ غيره
ولماله من الخصائص وقيل انه اقترن بقل لم يشمله لظهوره في التبليغ
وذلك قرينة عدم شموله والا فيشمله والاصح في الاصول
انه الخطاب بيا ايها الناس يشمل الكافر والعبد لعموم اللفظ
وقيل لا يعم الكافر بناء على عدم تكليفه بالفروع ولا العبد لصرف
منافعه الى سيده شرعا واختلف في الخطاب بيا اهل الكتاب
هل يشمل المؤمنين فالاصح لا لان اللفظ قاصر واختلف في من هل
يتناول الانثى فالاصح عدم تناولها من غير قرينة فلا يعم خلافا
للشافعية فالاصح عندهم شمولها واستدلوا بقوله تعالى
ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى واختلف في جمع المذكر
السالم هل يتناولها فالاصح لا وانما يدخلن فيه بقرينة واما
المكسر فلا خلاف في دخولهن فيه اعلم انه من سائر وجوه
مخاطبات القرآن فقد قيل انه الخطاب في القرآن على خمسة
عشر وجها وقيل على اكثر من ثلثين وجها خطاب العام والمراد به
العموم مثل الله الذي خلقكم وخطاب الخاص والمراد به الخصوص
كقوله تعالى يا ايها الرسول بلغ وخطاب العام والمراد الخصوص
كقوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم لم يدخل فيه الاطفال
والمجانين وخطاب الخاص والمراد العموم كقوله تعالى يا ايها
النبي اذا طلقتم النساء افتتح الخطاب بالنبي صلعم والمراد
سائر من يملك الطلاق وخطاب الجنس والنوع كقوله تعالى
يا ايها الناس يا بني آدم وخطاب العين نحو يا آدم اسكن
يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا وخطاب المدح نحو يا ايها الذين

الذين آمنوا آمنوا وخطاب الذم نحو يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا
قل يا ايها الكافرون ولتضمنه الاهانة لم يقع في القرآن في غير هذين
الموضعين وخطاب الاهانة نحو فانك رجيم وخطاب التهكم
نحو ذق انك انت العزيز الحكيم وخطاب الجمع بلفظ الواحد
يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم وخطاب الواحد بلفظ
الجمع نحو يا ايها الرسل كلوا من الطيبات الى قوله فذرهم في غمرتهم
فهو خطاب له صلعم وحده اذ لا نبي بعده ولا معه وكذا قوله
وان عاقبتم فعاقبوا الاية خطاب له صلعم وحده بدليل قوله
واصبر وما صبرك الا بالله الاية وكذا قوله فان لم يستجيبوا
لكم فاعلموا بدليل قوله قل فاتوا وخطاب الواحد بلفظ الاثنين
نحو القيا في جهنم والخطاب لمالك خازن النار وانه كان
لخزنة النار فيكون خطاب الجمع بلفظ الاثنين وخطاب
الاثنين بلفظ الجمع نحو ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وقس
عليه خطاب الجمع بعد الواحد وخطاب الواحد بعد الجمع وخطاب
الاثنين بعد الواحد وعكسه وخطاب العين والمراد به الغير وخطاب
الغير والمراد به العين وغير ما ذكر من الخطابات قال بعضهم خطاب
القرآن ثلثة قسم لا يصلح الا للنبي صلى الله عليه وسلم وقسم لا يصلح
الا لغيره وقسم يصلح لهما قال العلماء متى وجد دليل على تقييد المطلق
صير اليه والا فلا بل يبقى المطلق على اطلاقه والمقيد على تقييده
لان الله تعالى خاطبنا بلغة العرب والضابط انه اذا حكم
في شيء بصفة او شرط ثم ورد حكم آخر مطلقا نظر فان لم يكن له اصل يرد
اليه الا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به وان كان له اصل غيره
لم يكن رده الى احدهما باولى من الآخر واعلم انه فنون علوم القرآن

كثيرة وتحديد ظاهر التفسير لا يشير الى فهم القرآن بل كلما اشكل على
النظار واختلف الناس فيه من النظريات والمعقولات
ففي القرآن رموز اليه ودلالات عليه يختص اهل الفهم بدركها
فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره قال في الاحياء فاعلم ان من
زعم انه لا معنى للقرآن الا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر
عن حد نفسه فهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ في الحكم
برد الخلق كافة الى درجته التي هي حده ومحطه فالاخبار
والآثار تدل على ان في معاني القرآن متسعا لارباب الفهم قال
علي رضي الله عنه الا ان يؤتي الله تعالى عبدا فهما في القرآن فان لم يكن
سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم وقال صلى الله عليه وسلم
ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا ويروى ايضا عن ابن مسعود
موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن والحد
والمطلع وقال علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا
من تفسير فاتحة الكتاب فما معنى ذلك وتفسير ظاهرها في غاية
الاختصار وقال ابو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها
وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون الف فهم وما بقي من فهمها
اكثر وقال بعضهم القرآن يحوي سبعة وسبعين الف علم اذ كل
كلمة علم ثم يتضاعف ذلك اربعا لكل واحد ظاهر وباطن
وحد ومطلع وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
عشرين مرة لا يكون الا لتدبره باطن معانيها والا فترجمتها
وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله صلى الله عليه وسلم الى تكريره
وقول ابن مسعود رضي الله عنه من اراد علم الاولين والآخرين
فليتدبر القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر وبالجملة فالعلوم

فالعلوم كلها داخلة في افعال الله تعالى وصفاته وفي القرآن
شرح ذاته وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن اشارات
الى مجامعها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اقرؤوا القرآن
والتمسوا غرائبه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث علي رضي
الله عنه والذي بعثني بالحق لتفترقن امتي عن اصل دينها وجماعتها
على اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون الى النار
فاذا كان كذلك فعليكم بكتاب الله فانه فيه نبأ ما كان قبلكم
ونبأ ما يأتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله
تعالى ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين ونوره
المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه
لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستقيم لا تنقضي عجائبه ولا يخلقه كثرة
الرد الحديث وفي حديث حذيفة لما اخبره رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت يا رسول الله
فما تأمرني ان ادركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه
فهو المخرج من ذلك قال فاعدت عليه ذلك فقال تعلم كتاب الله
واعمل بما فيه ففيه النجاة وقال علي كرم الله وجهه من فهم القرآن فسر جمل
العلوم اشار به الى ان القرآن يشير الى مجامع العلوم كلها وقال
ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا يعني الفهم في القرآن وقال ايضا في الاحياء انه رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس رضي الله عنه فقال
اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فانه كان التأويل مسموعا كالتنزيل
ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك وانه الله عز وجل قال
لعلمه الذين يستنبطونه منهم فاثبت لاهل العلم استنباطا ومعلوم

انه الاستنباط وراء السماع انتهى ولا مطمع في الوصول الى
الباطن قبل احكام الظاهر فمن ادعى فهم اسرار القرآن ولم يحكم
التفسير الظاهر فهو كمن يدعي البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة
الباب اذ البحث عن عمومه وخصوصه وساير وجوهه وفنون
علومه بعد التوفيق من الله الملك الوهاب **المقصد الثالث**
في النصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم وهي التصديق على الرسالة
والايمان بجميع ما جاء به وطاعته في اوامره ونواهيه ونصرته
باتباع سنته واعظام حقه واحياء سنته والتلطف في تعلمها
وتعليمها والتخلق باخلاقه والتادب بآدابه ومحبته اكثر
من الاهل والولد والوالد والناس اجمعين ومحبة اهل بيته واصحابه
وهو على خمسة ابواب ايضا **الباب الاول** في تصديقه فيما اتى به
ووجوب الايمان به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور
الذي انزلنا وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
لتؤمنوا بالله ورسوله وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي
الاية وقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين
سعيرا وروى عن ابي هريرة رض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله
ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وكذا قال صلى الله عليه وسلم
والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني
ثم يموت ولم يؤمن بما ارسلت به الا كان من اصحاب النار رواه
ابو هريرة ايضا وليس المراد بالامة هنا امة الاجابة بدليل كون
اليهود والنصارى مذكورا فيه بل المراد بها امة الدعوة فعلى هذا

يدخل فيه جميع اهل الملل الباطلة وتخصيص اليهود والنصارى
بالذكر ليعلم انهما مع كونهما اهل كتاب وصاحبي شريعة اذا كانا
من اهل النار بترك الايمان بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
فغيرهما ممن لم يكن له كتاب ولا شريعة اولى بذلك فكانه
عليه الصلوة والسلام قال اقسم بالله الذي نفسي بقدرته انه
كل من يستمع نبوتي ولا يؤمن بما جئت به من عند الله تعالى حتى يموت
يكون من اهل النار وبالجملة انه من اراد ان يكون مؤمنا وقال
بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله وصدق معناه بقلبه يكون مؤمنا
وانه لم يعرف الفرايض والمحرمات ثم اذا قيل له الصلوات
الخمس في كل يوم وليلة فرض عليك والخمر حرام وكذا ما علم
بالتواتر انه من دينه عليه الصلوة والسلام فانه صدقها وقبلها
يكون ثابتا على ايمانه وان انكرها ولم يقبلها يكون خارجا
عن الايمان به فانه اذا اشكل عليه مسئلة من مسائل الايمان يجب عليه
في الحال انه يعتقد على الاجمال ما هو الصواب عند الله تعالى
بان يقول اعتقدت ما هو الصواب عند الله تعالى وهذا القدر
يكفي الى انه يجد عالما يعلم مسائل الايمان فيساله عما اشكل عليه
ولا يجوز له تاخير الطلب لقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون ولا يكون معذورا بالتوقف فيما اشكل عليه ان كان
ما اشكل عليه من ضروريات الدين لان التوقف في المؤمن
به يمنع التصديق قال القاضي ابو الفضل والايمان به صلى الله
عليه وسلم هو تصديق نبوته ورسالة الله تعالى له وتصديقه
في جميع ما اتى به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة
اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق

ثم الايمان به والتصديق كما مر وفي هذا الحديث نص منه وفي رواية
عبد الله بن عمر قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام
ثم ساله عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
الحديث فقد قرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان ولا الاسلام
له مضطر الى النطق باللسان فهذه الحال المحمودة التامة واما
الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا
هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد
انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان
المنافقين لكاذبون اي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم
وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم يصدق ذلك ضمائرهم
لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان
ولم يكن لهم في الآخرة حكمه ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل
من النار وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار الشهادة باللسان
في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم
على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل
الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هل شققت عن قلبه والفرق
بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل الشهادة من الاسلام
والتصديق من الايمان وبقيت حالتان اخريان بين هذين
احديهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة
بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الايمان القول و
الشهادة به وراه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله صلى الله

صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة
من ايمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص
ولا مفرط بترك غيره الثانية ان يصدق بقلبه ويعلم ما يلزمه
من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة
فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة
من جملة الاعمال فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن
حتى يقارن عقده شهادة اذ الشهادة انشاء عقد والتزام
ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها
فاذا عرفت هذا فاعلم ان التصديق والايمان به صلى الله عليه
وسلم قد يتاكد مع اختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين
وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب فكن
على بصيرة **الباب الثاني** في وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم
في اوامره ونواهيه ونصرته باتباع سنته قال الله تعالى يا ايها
الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا
فان الله لا يحب الكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون
لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم
آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال
مبين يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي
الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تاويلا ومن
يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا

في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما اي ينقادوا لحكمك
من يطع الرسول فقد اطاع الله وان تطيعوه تهتدوا وما
اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى
ونصله جهنم وساءت مصيرا قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم واتبعوه لعلكم تهتدون وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم
فتنة او يصيبهم عذاب اليم لقد كان لكم في رسول الله اسوة
حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
باذنه وسراجا منيرا ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا
عظيما فالله تعالى عز شانه وعظم برهانه جعل طاعة رسوله
طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب
واوعد على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره
واجتناب نهيه قال المفسرون طاعة الرسول في التزام
سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما ارسل الله من رسول
الا اوجب طاعته على من ارسله اليه وقالوا من يطع الرسول
في سنته يطع الله في فرايضه وسئل سهل ابن عبد الله عن شرايع
الاسلام فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وقيل معناه اطيعوا
الله في فرايضه والرسول في سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم
عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة
له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة وعن الزهري
انه قال اخبرني ابو سلمة ابن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة يقول

يقول ان رسول الله صلعم يقول من اطاعني فقد اطاع الله
ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن
عصى اميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله تعالى
اذ امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له وقد حكى
الله تعالى عن الكفار في دركات النار يوم تقلب وجوههم في النار
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول فتمنوا الطاعة
حيث لم ينفعهم التمني وقال عليه الصلوة والسلام اذا نهيتكم
عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم وعن
ابي هريرة عنه عم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن
يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث
الآخر عنه صلعم قال مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال
يا قوم اني رايت الجيش بعيني وانا النذير العريان فالنجا فاطاعه
طايفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طايفة
منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من
اطاعني واتبع ما جيت به ومثل من عصاني وكذب ما جيت به
من الحق وفي الحديث الآخر هكذا كمثل من بنى دارا وجعل فيها
مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من
المادبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة
فالدار الجنة والداعي محمد صلعم فمن اطاع محمدا صلى الله عليه وسلم
فقد اطاع الله ومن عصى محمدا صلعم فقد عصى الله ومحمد فرق
بين الناس فاذا عرفت هذا عرفت ان طاعته صلعم منحصرة
باتباع سنته قال غير واحد من المفسرين ومحمد بن علي الترمذي
في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة الآية

الجايحة الشدة التي يجتاح من سنة او فتنة
يقال جاحتهم الجايحة واجتاحتهم
وجاح الله ماله واجاحه بمعنى
اهلكه بالجايحة من الصحاح
منه

الاسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته
في قول وفعل وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال
بمتابعة السنة فامرهم الله تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء
باتباعه لان الله تعالى ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم
محبته تعالى في الآية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على اهوائهم
وما تجنح اليه نفوسهم وروي عن الحسن رضي الله عنه ان اقواما قالوا
يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله الآية قال الزجاج معنى ان كنتم تحبون الله
ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله طاعته
له ورضاه بما امر ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته
ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة ويقال محبة
العبد لله تعظيمه له وهيبة منه ومحبة الله له رحمته له وارادة
الجميل له وبالجملة فاتباع السنة حتم لازم على كل حال عن العرباض
ابن سارية في حديثه في موعظة النبي صلعم انه قال فعليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ
واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة
ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وروي
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال القرآن صعب مستصعب على من كرهه
وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن
ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة امرت امتي
ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي
فقد رضي بالقرآن وما اتاكم الرسول فخذوه الآية وقال صلى

الله عليه وسلم من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس
مني وعن ابي هريرة رض عن النبي صلعم انه قال ان احسن الحديث
كتاب الله وخير الهدى هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر
الامور محدثاتها وقال صلعم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة
يتمسك بها وعن انس رض قال قال رسول الله صلعم
من احيى سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي وسال رجل
من آل خالد عبد الله ابن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلوة الخوف
وصلوة الحضر في القرآن ولا نجد صلوة السفر فقال ابن عمر
يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا فانما
نفعل كما رايناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها
تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين
الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في راي من خالفها
من اقتدى بها فهو مهتد ومن انتصر بها فهو منصور ومن خالفها
واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم
وساءت مصيرا وعن الحسن ابن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير
من عمل كثير في بدعة قيل بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام
بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا السنة والفرائض
واللحن اي اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن (فان اصحاب السنن)
اعلم بكتاب الله تعالى وفي خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال
اصنع كما رايت رسول الله صلعم يصنع وعن علي كرم الله وجهه
حين قرن فقال له عثمان رضي الله عنه ترى اني انهى الناس
عنه وتفعله قال لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

لقول احد من الناس وعنه قال الا انى لست بنبى ولا يوحى
الى ولكنى اعمل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلعم ما استطعت وكان
ابن مسعود يقول القصد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة
وقال ابى ابن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض
من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية
ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة
ذكر الله فى نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل
شجرة قد يبس ورقها فهى كذلك اذا اصابتها ريح شديدة
فتحاتت عنها ورقها الا حط الله عنه خطاياه كما تحاتت عن الشجرة
ورقها فان اقتصادا فى سبيل الله وسنة خير من اجتهاد فى خلاف
سبيل وسنة وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز اليه
بحال بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة او يحملهم
على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة
وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء
فى قوله تعالى فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول اى
كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الشافعى
رحمه الله ليس فى سنة رسول الله صلعم الا اتباعها وقال عمر رض
ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا انى رأيت
رسول الله صلعم يقبلك ما قبلتك ثم قبله قال ابو سليمان
الخطابى من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر
الهوى على نفسه نطق بالبدعة وجاء فى تفسير قوله تعالى والعمل
الصالح يرفعه انه الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم وحكى عن احمد
ابن حنبل رحمه الله قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء

الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا يقول
لى ابشر يا احمد فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك
اماما يقتدى بك وروى انس انه رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من رغب عن سنتى فليس منى وقال من ادخل فى امرنا
هذا ما ليس منه فهو رد وقال ابو بكر الصديق رض لست تاركا
شيئا كان رسول الله صلعم يعمل به الا عملت به انى اخشى ان تركت
شيئا من امره ان ازيغ قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون
عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم وروى انه النبى
صلعم قال ما من امة ابتدعت بعد نبيها فى دينها بدعة الا اضاعت
مثلها من السنة فاذا عرفت هذا تعرف انه ليس المراد من قول
الفقهاء وهو ان البدعة قد تكون مباحة كاستعمال المنخل والمواظبة
على اكل لب الحنطة والشبع منه وقد تكون مستحبة كبناء المنارة
والمدارس وتصنيف الكتب بل قد تكون واجبة كنظم الدلائل لدفع
شبه الملاحدة ونحوها من الفرق الا غير البدعة القبيحة لانهم
قالوا بان البدعة فى الاعتقاد بعضها كفر وبعضها اكبر من كل كبيرة
فى العمل نعوذ بالله تعالى فلا يمكن ان تكون مباحة فضلا عن ان تكون
مستحبة او واجبة والبدعة القبيحة ما تضمن مخالفة امر الرسول
صلى الله عليه وسلم او اضاعة مثله من السنة وكل ما تضمن مخالفة
امر الرسول صلى الله عليه وسلم او اضاعة مثله ضلالة ومنكر
متوعد من الله تعالى بالعذاب سواء كان فى الاعتقاد او فى
العبادة فيكون معنى كل بدعة ضلالة كل بدعة قبيحة المتضمنة للمخالفة
او الاضاعة ضلالة كيف ولو لم يكن كذلك لكانت البدعة

تتناول ما كانت في العادات من الملابس والمآكل والمشارب
وغيرها من اللوازم الضرورية وغير الضرورية فيكون ضلالة او لبس
البلاد الحارة غير لباس البلاد الباردة مثلا او لبس فيه
ما يتضمن المخالفة والاضاعة فليست تتناول العادات
اصلا بدليل قوله عليه الصلوة والسلام انتم اعلم بامور دنياكم
وقوله ع م من احدث من امرنا هذا الحديث بل تقتصر على بعض
الاعتقادات وبعض صور العبادات الذين وجد فيهما اما
المخالفة او الاضاعة ولو تتبعت كل ما قيل فيه بدعة حسنة
من جنس العبادة وجدته مأذونا فيه من الشارع اشارة او
دلالة وعدم الوقوع في الصدر الاول اما لعدم الاحتياج او لعدم
القدرة بعدم الاسباب او لعدم التفرغ له بالاشتغال
بالاهم او بنحو ذلك قال عبد الله بن سهل التستري اصول
الاقتداء بالنبي صلعم في ثلثة من الاخلاق والافعال والاكل
من الحلال واخلاص النية في جميع الاحوال واعلم انه من اراد
الخلاص من ظلمة الحجاب وكشف النقاب فعليه بالتزام ما بينه
وعينه ظاهرا وباطنا واستحكام قواعد جهدها باديا وكامنا
فلا يمكن الوصول ولا يتيسر التقرب اليه تعالى الا بمتابعته صلى الله
عليه وسلم واتباع شريعته فلا يشم رائحة المحبة الا بمحبته
واتباع طريقته فانه صلى الله عليه وسلم بين كيفية طاعة
العبد لربه وعين كمية العبادات والطاعات من الفرائض
والنوافل والمستحبات وبين كيفية معاملته مع بني نوعه
في المصاحبات والمبايعات والمتاجرات وسائر ما يقع
بينهم من انواع الحالات وبين ما يصلح به معاشه من ملاذه ومشاهيه

ومشاهيه وما يجوز وما لا يجوز منه التصرف فيه فما خلى شيئا
مما ينوره الا افصح بيانه ولا مما يكدره الا اسمح تبيانه فمن اقتفاه
في جميع ما يصدر عنه من الاقوال والافعال عادة وعبادة
فقد اطاعه ونصره باتباع سنته **الباب الثالث** في اعظام
حقه واحياء سنته والتلطف في تعلمها وتعليمها قال الله
تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم
لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا
حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه
وتوقروه الاية وقال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا الاية فاوجب جل وعلا تعزيره وتوقيره والزم
اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد
تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبري
تعينونه وقرئ من العز تعززوه بزائين ونهى عن التقدم بين يديه
بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره
وقال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال
فاستمعوا له وانصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل
قضائه فيه فهذه الاقوال في قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله
ورسوله ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله
ان الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي

اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليهم
بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول
كما يجهر بعضكم لبعض ويرفع صوته وقيل اي لا تسابقوه في الكلام
ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم بعضا ولكن عظموه ووقروه
ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به يا رسول الله يا نبي
الله وهذا كقوله في الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا على احد التاويلين وروى صفوان بن عسال
بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له
جهوري ايا محمد ايا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك
قد نهيت عن رفع الصوت فاذا عرفت هذا فاعلم ان عادة
الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين كانت بهمتهم في تعظيمه وتوقيره
واجلاله صلى الله عليه وسلم على ما روى الترمذي عن انس رضه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين
والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم اليه بصره
الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان
اليه ويتبسم اليهما وروى اسامة ابن شريك اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه حوله كانما على رؤسهم الطير وفي حديث صفته
عم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وعن انس رض
لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه
واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل
واعلم ان حرمة النبي وتعظيمه صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره
واجلاله لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره صلى الله
عليه وسلم وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه الشريف وسيرته

وسيرته ومعاملة اهله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته وروى
غير واحد من الثقاة وقالوا انبا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير
المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المجلس فان الله
ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية ومدح
قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية وذم قوما
فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الاية وان حرمته
ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل
القبلة وادعو ام استقبل رسول الله وادعو فقال لم تصرف
وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه
وعلى نبينا السلام الى الله يوم القيمة بل استقبله واستشفع
فيشفعك الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الاية وكان
عبد الرحمن ابن مهدي اذا قرا حديث النبي صلعم امرهم بالسكوت
وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتاول انه يجب له
من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله وكان
ابن سيرين اذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم
خشع وقال محمد بن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا وتهيا ولبس ثيابه
ثم يحدث قال مصعب فسئل عن ذلك فقال انه حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان اذا اتى
الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم
الشيخ تريدون الحديث او المسائل فان قالوا المسائل
خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل و

وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجة وتعمم ووضع على رأسه رداء
وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود
حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن ابي
اويس فقيل لمالك في ذلك فقال اني احب ان اعظم حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة
متمكنا وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره عليه
الصلوة والسلام فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها
شدة انكر عليه اصحاب النبي صلعم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها
بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره عليه الصلوة والسلام
لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين ولهذا كان مالك
رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحي من الله ان اطا
تربة فيها رسول الله صلعم بحافر دابة وروي انه وهب الشافعي
كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك منها دابة
فاجابه بمثل هذا الجواب وقد افتى مالك فيمن قال تربة
المدينة ردية بضرب ثلثين درة وامر بحبسه وقال ما احوجه
الى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي صلعم يزعم انها غير طيبة قال
عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث
الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب ان لا يقرأ احاديث
النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة
وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم ومن
توقيره صلعم توقير آله وذريته وامهات المؤمنين ازواجه كما
سلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله تعالى انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا الآية وقال تعالى

والكراع مثل الغراب من البقر والغنم بمنزلة
الوظيف من الفرس والوظيف مستدق
الذراع والساق من الخيل
والابل وغيرها
منه

تعالى وازواجه امهاتهم وعن زيد بن ارقم قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلثا قلنا لزيد
من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس
قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلعم واذا عرفهم
بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي
سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
الآية وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا
فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي
فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا **الباب الرابع** في محبته صلعم
اكثر من الاهل والولد والناس اجمعين قال الله تعالى قل ان كان
اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها
وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله
ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره والله
لا يهدي القوم الفاسقين فكفى بهذا دلالة وحجة على الزام محبته وعظم
خطرها واستحقاقه لها صلعم اذ قرع سبحانه وتعالى من كان ماله
واهله وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله
فتربصوا حتى يأتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الآية واعلمهم انهم ممن ضل
ولم يهده الله تعالى وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال للنبي
صلعم لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال له
النبي صلعم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر
والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين
جنبي فقال له النبي صلعم الآن يا عمر وعن انس رضي الله عنه انه
قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده

وولده والناس اجمعين وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال
لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس
اجمعين وعن انس رضي الله عنه عنه عليه السلام ثلاث
من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه
مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود
في الكفر كما يكره ان يقذف في النار قال سهل من لم ير ولاية
الرسول صلعم في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه لا يذوق
حلاوة سنته لان النبي صلعم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب
اليه من نفسه الحديث وفي صحيح البخاري عن انس بن مالك رضي
انه رجلا اتى النبي صلعم فقال يا رسول الله متى الساعة قال
ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير صلوة ولا صوم
ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت
وروى صفوان بن قدامه قال هاجرت الى النبي صلعم فاتيته
فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده
فقلت يا رسول الله اني احبك قال المرء مع من احب وروى
هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو
موسى وانس وعن ابي ذر رضي الله عنهم وعن علي كرم الله
وجهه ان النبي صلعم اخذ بيد حسن وحسين رضي الله عنهما وقال
من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم
القيمة وروى ان رجلا اتى النبي صلعم فقال يا رسول الله
لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجي
فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك
اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك

لا اراك فانزل الله ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقراها عليه وفي حديث
آخر كان رجل عند النبي صلعم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك
قال بابي وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك
الله بتفضله فانزل الله الاية وفي حديث انس من احبني
كان معي في الجنة وسئل علي بن ابي طالب كيف كان حبكم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب الينا
من اموالنا واولادنا واباءنا وامهاتنا ومن الماء البارد على
الظما فظهور صدق محبته صلى الله عليه وسلم علامات فاولها
الاقتداء به واستعمال سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال
اوامره واجتناب نواهيه والتادب بادابه في عسره ويسره
قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وايثار
ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى
والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم
خصاصة الاية وعن سعيد بن المسيب قال قال انس بن مالك
قال لي رسول الله صلعم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي وليس
في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي
ومن احيى سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة فمن اتصف
بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ولرسوله ومن خالفها في بعض الامور
قالوا فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها حتى استدلوا بقوله
صلى الله عليه وسلم للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم فقال صلعم لا تلعنه

فانه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم
كثرة ذكره له فمن احب شيئا اكثر ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه
وكل حبيب يحب لقاء حبيبه وكان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك
كثير من التابعين ومنها محبته لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن هو من آل بيته وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة
من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فبالحقيقة من احب شيئا احب
كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس
وقد قال انس رضي الله عنه حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم
يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت احب الدباء من يومئذ
وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ رأى
النبي صلعم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض الله تعالى ورسوله
ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع
في دينه واستثقاله كل امر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد
قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله
الآية وهؤلاء اصحابه صلى الله عليه وسلم وقد قتلوا احباءهم
وقاتلوا آباءهم وابناءهم في مرضاته وقال عبد الله بن ابي
لو شئت لاتيتك براسه يعني اباه ومنها ان يحب القرآن
الذي اتى به عليه الصلوة والسلام وهدى به واهتدى وتخلق
به اذ كان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن وحبه للقرآن تلاوته
مع العمل به وتفهمه وان يحب سنته ويقف عند حدودها كما
عرفت ومعنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم فيه اختلاف فقال
سفيان المحبة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم كانه التفت الى قوله

قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وقال بعضهم
محبة الرسول اعتقاد نصرته وعدم الذب عن سنته والانقياد
لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقيل ايثار
المحبوب وقيل مواطاة القلب لمراد الرب يحب ما احب ويكره
ما كره وقيل ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة
اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة في الظاهر
الميل الى ما يوافق الانسان ويكون موافقته له اما باستلذاذه
بادراكه او باستلذاذه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة
مما يمكن التكلم بها وما لم يمكن او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة
احسانه له وانعامه عليه اذ قد جبلت النفوس على حب من احسن
اليها فاذا عرفت هذا عرفت انه النبي صلى الله عليه وسلم
جامع لهذه المعاني الثلثة الموجبة للمحبة اما جمال الصورة والظاهر و
وكمال الاخلاق والباطن فكلاهما في الظهور والشيوع
كالشمس في رابعة النهار واما احسانه وانعامه على امته
فكذلك شايع ذايع ومعلوم مما وصف الله تعالى له من رأفته
بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم
من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم رحمة للعالمين مبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فكان صلى الله عليه وسلم
ذريعتهم الى الهداية وداعيهم الى الفلاح والعناية ووسيلتهم
الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء
الدائم والنعيم السرمد فانظر اي احسان اجل قدرا واعظم خطرا
من احسانه الى جميع المؤمنين واي افضال اعم منفعة واكثر فائدة

من انعامه صلعم على كافة المسلمين على ان مقام المحبة اعلى
مما وصفناه وارفع الدرجات ولهذا قيل كما عرفت آنفا هي
مواطاة القلب لما يحب المحبوب ويكره فلا يقول لم فعلت
كذا لم قلت كذا قال انس بن مالك رض خدمت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته
ولا لشيء لم افعله لم تفعله لانه كان صلى الله عليه وسلم يرى تصرف
محبوبه فيه وتصريف المحبوب في المحب لا يعلل بل يسلم لاهل
يستلذ لانه الحب مصطلم بنار تحرق كل شيء تجده في قلبه ما سوى
محبوبه غيره ~~هو يبذل المجهود ولا يرى انه وفى ولا يخطر له انه
تحرك فيما يرضي~~ محبوبه وهذه المحبة اكثر من محبة الناس اجمعين

الباب الخامس في محبة اهل بيته واصحابه صلى الله عليه وسلم قال
تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم
الى آخر السورة وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه
واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك
الفوز العظيم وقال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة الآية وقال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه وقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا وقال تعالى وازواجه امهاتهم الآية وعن سعد بن
ابي وقاص لما نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم
عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهلي وقال النبي
صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال
من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك

ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل
قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن آذى عمي فقد آذاني
وقال للعباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملائة وقال
هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري
اياهم فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين
وقال ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال ايضا
والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلعم احب الي ان اصل
من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله
وقال قدموا قريشا ولا تقدموها وقال عليه الصلوة والسلام
لام سلمة لا تؤذيني في عائشة رضي الله عنهما وروي عن عبد الله
ابن حسن قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا
كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب فاني استحيي من الله تعالى
ان يراك احد على بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة
امه ثم قربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس رض فاخذ بركابه
فقال زيد خل عنك يا ابن عم رسول الله فقال هكذا نفعل
بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت
نبينا ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله في
ثلثة آلاف ولاسامة بن زيد في ثلاثة آلاف وخمسمائة قال
عبد الله لابيه رضي الله عنهما لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد
فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ابيك واسامة احب اليه منك فآثرت حب رسول
الله صلى الله عليه وسلم على حبي وقيل لابن عباس رضي الله
عنهما ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلعم فسجد فقيل له اتسجد في هذه

فقال ابليس رسول الله صلعم قال اذا رايتم آية فاسجدوا لها
واى آية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلعم فاذا عرفت هذا
وعرفت فيما تقدم ان حسن الثناء عليهم راجع الى توقير النبي صلى
الله عليه وسلم فاعلم ان الامساك عما شجر بينهم ومعاداة
من عاداهم والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة الرواة وضلال
الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم توقر النبي صلى الله عليه وسلم
ايضا فلو نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن يلزم ان يلتمس
لهم فيما نقل احسن التاويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم
اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمض عليه امر بل تذكر
حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرتهم ويسكت عما وراء ذلك قال
صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا وعن حذيفة رض
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين
من بعدي ابي بكر وعمر وقال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
وعن انس رض قال قال رسول الله صلعم مثل اصحابي كمثل الملح
في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم
غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ومن اذاهم فقد
اذاني ومن اذاني فقد اذى الله تعالى ومن اذى الله يوشك ان ياخذه
وقال لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد
احدهم ولا نصيفه ومن سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وفي حديث
جابر رض ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين
واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعلي فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي
كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني قال مالك

مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له
في المسلمين حق ونزع باية الحشر والذين جاؤا من بعدهم الاية
وقال من غاظ اصحاب محمد فهو كافر قال تعالى ليغيظ بهم الكفار
وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق
وحب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ايوب السختياني
من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل
ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله تعالى ومن احب عليا فقد
اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف
للسنة والسلف الصالح فمن لم يكن قلبه قاسيا بل كان سليما
يحبهم جميعا وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يا ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها
الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وطلحة والزبير وسعد
وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس
ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني
في اصحابي واصهاري واختاني لا يطلبنكم احد بمظلمة فانها
مظلمة لا توهب في القيامة غدا وقال رجل للمعافى ابن عمران
اين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس
باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره
وكاتبه وامينه على وحي الله واتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة
رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله
وقال عليه الصلوة والسلام في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا
من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فمن حفظني فيهم حفظه الله

في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه
يوشك ان ياخذه قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن
بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره والحاصل ان المحب
لمن يحب مطيع **المقصد الرابع** في النصيحة للائمة وهي معاونتهم
على الحق وطاعتهم فيه وتذكيرهم برفق وترك الخروج عليهم
ودفعهم عن الظلم بالتي هي احسن ونحوه والصلوة خلفهم
والجهاد معهم واداء الصدقات اليهم هذا على المشهور من ان
المراد منهم الخلفاء واما على التاويل بعلماء الدين فنصيحتهم قبول
ما رووه وتقليدهم في الاحكام واحسان الظن بهم وهو على
مسلكين لما عرفت من القولين **اما المسلك الاول** فرتبته
على مقدمة وثمانية ابواب **المقدمة** اعلم ايدك الله تعالى
بفضل منه ان عقول الملوك والسلاطين وان كانت كبارا
لكنها مستغرقة بكثرة الاشغال فتستدعي من النصايح ما يتولج و
يتغلغل في مكامن الاسرار فترتفع الاستار ويظهر منهم الاخلاق
الحسنة والملكات المستحسنة فينتظم دولتهم ويستمر ملكهم وسلطنتهم
واتخاذ الامام واجب شرعا مع كون طلب نصب الامام
موجودا في فطرة العالم فان قلت فما نص الشارع بالامر على اتخاذ
الامام فمن اين يكون واجبا قلنا ان الله تعالى قد امر باقامة الدين
بلا شك ولا سبيل الى اقامته الا بوجود الامام من انفس الناس
على انفسهم واموالهم واهليهم من تعدي بعضهم على بعض وذلك لا يكون
ابدا ما لم يكن ثمة من يخاف سطوته ويرجى رحمته يرجع امرهم اليه
ويجتمعون عليه فاذا تفرغت قلوبهم من الخوف تفرغوا لاقامة
الدين الذي اوجب الله عليهم اقامته وما لا يتوصل الى الواجب الا

الا به فهو واجب فاتخاذ الامام واجب اعلم ان في وجود
السلطان في الارض حكمة لله تعالى عظيمة ونعمة على العباد
جزيلة عميمة لان الله تعالى جبل الخلق على حب الانتصاف
وعدم الانصاف ومثلهم بلا سلطان مثل الحوت في الماء
يزدرد الكبير الصغير فمتى لم يكن لهم سلطان قاهر لم ينتظم لهم امر
ولم يستقم لهم معاش ولم يتهنوا بالحياة ولهذا قال بعض
القدماء لو رفع السلطان من الارض ما كان لله تعالى في اهل
الارض من حاجة ومن الحكم التي في اقامة السلطان انه من حجج
الله تعالى على وجوده ومن علاماته على توحيده لانه كما لم يكن
استقامة احوال العالم واعتداله بغير مدبر ينفرد بتدبيره
كذلك لا يتوهم وجوده وترتيبه وما فيه من الحكمة ودقايق الصنعة
بغير خالق خلقه وعالم اتقنه وحكيم دبره وكما لا يستقيم سلطانان
في بلد واحد لا يستقيم الهان للعالم والعالم باسره في سلطان الله
تعالى كالبلد الواحد في يد سلطان الارض ولهذا قال علي بن
ابي طالب رضي الله عنه امران جليلان لا يصلح احدهما
الا بالتفرد ولا يصلح الآخر الا بالمشاركة وهما الملك
والراي فكما لا يستقيم الملك بالشركة لا يستقيم الراي بالتفرد
فمثال السلطان القاهر لرعيته ورعية بلا سلطان مثال بيت
فيه سراج منير وحوله خلق يعالجون صنايعهم فبينما هم كذلك
طفي السراج فقبضوا ايديهم للوقت وتعطل جميع ما كانوا فيه
فتحرك الحيوان الشرير وتحشحش الهوام الخسيس فدبت العقرب
من مكمنها وكسعت الفارة من جحرها وخرجت الحية من معدنها
وجاء اللص بحيلته وهاج البرغوث مع حقارته فتعطلت المنافع

واستطارت فيهم المضار كذلك السلطان اذا كان قاهر الرعية كانت المنفعة به عامة فكانت الدماء في اهبها محفوفة والحرم في حذر وحصن مصونة والاسواق عامرة والاموال محروسة والحيوان الفاضل ظاهرا والمرافق حاصلة والحيوان الشرير من اهل الفسوق والدعارة خاملا ثم اذا اختل امر السلطان دخل الفساد على الجميع وفي منثور الحكم سلطان جائر اربعين عاما خير من رعية مهملة ساعة من النهار واذا عدل السلطان صلح له ما بعد منه قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه امام عادل خير من مطر وابل واسد حطوم خير من سلطان ظلوم وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم قال الفضيل ابن عياض جور ستين سنة خير من هرج ساعة فلا يتمنى زوال السلطان الا جاهل مغرور او فاسق يتمنى كل محذور وحقيق على كل رعية ان ترغب الى الله في صلاح السلطان وان يبذل له نصحها وتخصه في الاوقات الحسنة بصالح دعائها فان في صلاحه صلاح البلاد والعباد وكان العلماء يقولون ان استقامت لكم امور السلطان فاكثروا احمد الله تعالى وشكره وان جاءكم ما تكرهونه وجهوه الى ما تستوجبونه بذنوبكم وتستحقونه بآثامكم واقيموا عذر السلطان لانتشار الامور عليه وكثرة ما يكابده من ضبط جوانب المملكة وارضاء الاولياء واستئلاف الاعداء وقلة الناصح وكثرة المدلس والطامع قال الحكماء لا تستوطنن الا بلدا فيه سلطان قاهر وقاض عادل وسوق قائم وطبيب عالم وقالوا ايضا مثل السلطان مثل الغيث الذي

والتدليس كتمان عيب السلعة عن المشتري
ومنه التدليس في الاسناد وهو ان يحدث عن الشيخ
الكبير ولعله ما رآه وانما سمعه ممن هو دونه
كذا في القاموس

هو سقي الله تعالى وبركات السماء وحياة الارض ومن عليها وقد يتأذى به المسافر ويتداعى به البنيان ويكون فيه الصواعق وتدر سيوله فيهلك ما يهلك من الدواب والزخاير ويموج له البحر فيشتد بليته على اهله ولا يمنع ذلك اذا نظروا الى آثار رحمة الله تعالى في الارض التي احياها والنبات التي اخرج والرزق الذي بسط والرحمة التي نشر ان يعظموا نعمة ربهم ويشكروها ويلغوا ذكر خواص الاذية التي دخلت خواص الخلق وايضا مثاله مثال الرياح التي يرسلها الله تعالى نشرا بين يدي رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها لقاحا للثمرات وارواحا للعباد يتنشقون منها ويتقلبون فيها وتجري بها مياههم وتتقد بها نيرانهم وتسير بها في البحر فلكهم وقد يضر بكثير من الناس في برهم وبحرهم فيذكرها الشاكرون وقد يتأذى بها كثير من الناس فلا يزيلها ذلك عن منزلتها من كونها قوام عباده وتمام نعمه وهكذا كل جسم من امور الدنيا يكون ضرره خاصا ونفعه عاما فالغيث لا يخلو من العيب مثلا ولو كان نعم الدنيا من غير كدر وميسورها من غير معسور لما كانت الدنيا دنيا بل يكون هذه الحالة في الجنة التي لا تعب فيها ولا نصب والحاصل ان منزلة السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد فكما ان الجوارح تابعة ومطيعة الى الروح كذلك الرعية مطيعة في كل حال الى السلطان فان الروح اذا صفت من الكدر سرت الى الجوارح سليمة ووجدت في جميع اجزاء الجسد فاصح الجسد واستقامت الجوارح والحواس وانتظم امر الجسد وانه تكدرت الروح او فسد من اجها فيلحق

الجسد فيسرى الى الحواس و الجوارح كدرة منحرفة عن الاعتدال
فاخذ كل عضو وحاسة بقسط من الفساد فمرضت الجوارح
وتعطلت فبطل نظام الجسد وجرى الى الفساد وقيل ما شئ
واحد مثوبه السلطان قال الطاعة قال فى ملاك الطاعة
قال التودد الى الخاصة والعدل على العامة فالامانة
معقل الطاعة والطاعة زينة الملة وكان يقال طاعة
السلطان على اربعة اوجه على الرغبة والرهبة والمحبة
والديانة طاعة الائمة فرض على كل الرعية اتقوا الله لحقه
والسلطان لطاعته طاعة السلطان مقرونة بطاعة
الله تعالى من اجلال الله تعالى اجلال السلطان عادلا كان
ام جائرا الطاعة تؤلف شمل الدين وتنظم امور المسلمين الطاعة
ملاك الدين الطاعة معقل السلامة وارفع منازل
السعادة الطاعة الطريقة المثلى والعروة الوثقى قوام الامة
وقيام السنة بطاعة الائمة الطاعة عصمة من كل فتنة ونجاة
من كل شبهة طاعة الائمة عصمة لمن لجأ اليها وحرز لمن حل فيها
ليس على الرعية ان تعترض الائمة فى تدبيرها وان سولت
لها انفسها بل عليها الانقياد وعلى الائمة الاجتهاد بالطاعة
تقام الحدود وتؤدى الفرايض وتحقن الدماء وتأمن السبل
اولى الناس بطاعة السلطان ومناصحته اهل الدين
والنعم والمروات اذ لا يقوم الدين الا بالسلطان
ولا يكون النعم والحرم محفوظة الا به الامامة عصمة للعباد
وحيوة للبلاد اوجب الله تعالى طاعته لمن خصه بفضلها
فقرنها بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال

فقال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى
الامر منكم طاعة الائمة هدى لمن استضاء بنورها ومأمن
لمن حافظ عليها طاعة الائمة حبل الله المتين ودينه القويم
وجنته الواقية وكفايته العالية اياكم والخروج من انس الطاعة
الى وحشة البغى والعاهة ولا تضمروا غش الائمة وعليكم
بالاخلاص والنصيحة ما مشى قوم الى السلطان ليذلوه اذلهم
الله تعالى قبل ان يموتوا الطاعة مقرونة بالمحبة طاعة المحبة
افضل من طاعة الهيبة حق الرعية على السلطان الاصطلاح
لهم والتعهد لامورهم وحسن السيرة فيهم والعدل عليهم
والتعديل بينهم وحق السلطان عليهم الطاعة والاستقامة
والشكر والمحبة روى ان النبى صلعم قال ان الله ليزع بالسلطان
ما لا يزع بالقرآن معناه ليدفع وعن حكيم يا بنى الملك والدين
اخوان لا غنى باحدهما عن الآخر فالدين اس والملك
حارس وما لم يكن له اس فمهدوم وما لم يكن له حارس
فضايع وكان يقال الدين والسلطان توأمان وقال
كعب مثل الاسلام والسلطان والناس مثل الفسطاط
والعمود والاطناب والاوتاد والناس لا يصلح بعضهم الا
ببعض قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
الارض يعنى لولا ان الله تعالى اقام السلطان فى الارض ليدفع
القوى عن الضعيف وانتصاف المظلوم من الظالم لاهلك
القوى الضعيف فلا ينتظم لهم حال ولا يستقر بهم قرار فيفسد الارض
ومن عليها ثم امتن الله على الخلق باقامة السلطان فقال
ولكن الله ذو فضل على العالمين يعنى فى اقامة السلطان فيامن

الناس به ويكون فضله على الظالم كف يديه وفضله على
المظلوم امانه وكف يد الظالم عنه وروى ابو هريرة ان
النبي صلعم قال ثلثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم
حتى يفطر ودعوة المظلوم وروى انه النبي صلعم قال سبعة
يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب
نشا في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد
ورجلان تحابا في الله تعالى اجتمعا عليه وتفرقا ورجل
دعته امراة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف
الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا يعلم شماله ما
انفقت يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وروى
كثير بن مرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلطان
ظل الله ياوي اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له
الاجر وعلى الرعية الشكر واذا جار كان عليه الاصر وعلى
الرعية الصبر وفي الخبر عن ابي هريرة مرفوعا انه قال لعمل
العامل في رعيته يوما افضل من عبادة العابد في اهله مائة
سنة او خمسين سنة وقال قيس بن سعد ليوم من امام عادل
خير من عبادة رجل في بيته ستين سنة وقال مسروق
لان اقضي يوما بالحق احب الي من ان اغزو سنة في سبيل الله
وقال وهب بن منبه اذا هم الوالي بالجور او عمل به ادخل
الله النقص في اهل مملكته وفي الاسواق والزرع والضرع
وكل شئ واذا هم بالخير والعدل او عمل به ادخل الله البركة
في اهل مملكته بذلك قال الامام الطرطوشي شهدت انا بالاسكندرية
والصيد بالخليج مطلق للرعية والسمك يغلي الى الماء لكثرته وتصيده

وتصيده الاطفال بالخرق ثم حجره السلطان ومنع الناس
من صيده فذهب السمك منه حتى لا يكاد يوجد منه الا
واحدة بعد واحدة الى يومنا هذا وهكذا يتعدى سرائر الملوك
وعزائمهم ومكنون ضمائرهم الى الرعية وروى اصحاب
التواريخ قالوا كان الناس اذا اصبحوا في زمن الحجاج فتلاقوا
يتساءلون من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد وامثال
ذلك وكان الوليد صاحب ضياع واتخاذ مصانع
فكان الناس يتساءلون في زمانه عن البنيان والمصانع
والضياع وشق الانهار وغرس الاشجار ولما ولي سليمان
ابن عبد الملك كان صاحب نكاح وطعام فكان الناس يتحدثون في
الاطعمة ويتوسعون في الانكحة والسراري ولما ولي عمر بن عبد العزيز
كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكم وردك في كل ليلة
وكم يحفظ فلان وكم يصوم من الشهر وامثال ذلك انتهى قال
الامام في التفسير الكبير روي ان انوشروان خرج يوما الى الصيد
وانقطع عن عسكره واستولى العطش عليه ووصل الى البستان
فلما دخل البستان راى اشجار الرمان فقال لصبي حضر في
ذلك البستان اعطني رمانة واحدة واعطاه رمانة
فشقها واخرج حبها وعصره فخرج منه ماء كثير فشربه واعجبه
ذلك الرمان فعزم على انه ياخذ ذلك البستان من مالكه
ثم قال لذلك الصبي اعطني رمانة اخرى فاعطاه فعصرها
فخرج منها ماء قليل فشربه فوجده عفصا موذيا فقال ايها
الصبي لم صار الرمان هكذا فقال الصبي لعل ملك البلد عزم
على الظلم فلاجل شوم ظلمه صار الرمان هكذا فتاب انوشروان

وقال الامام الطرطوشي ايضا ومن المشهور في ارض المغرب
ان السلطان بلغه ان امراة لها حديقة فيها
القصب الحلو وان قصبة منها تعصر قدحا فعزم على اخذها
ثم اتاها وسالها عن ذلك فقالت نعم ثم انها عصرت
قصبة فلم تبلغ نصف قدح فقال اين الذي كان
يقال فقالت هو الذي بلغك الا ان يكون السلطان
قد عزم على اخذها مني فارتفعت بركتها فتاب السلطان
واخلص لله تعالى نيته انه لا ياخذها ابدا ثم امرها
فعصرت قصبة فجاءت ملء قدح حدثني بعض الشيوخ
قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة ارادب
ولم يكن نخلة تحمل نصف ذلك فاخذها
الملك غصبا فلم تحمل في ذلك العام
ولا تمرة واحدة وكان يباع
كل واحد من الاردب
بستين دينارا
منه

في قلبه عن ذلك الظلم وقال للصبي اعطني رمانة اخرى
فعصرها فوجدها اطيب من الرمانة الاولى فقال للصبي لم تبدلت
هذه الحالة فقال الصبي لعل ملك البلد تاب عن ظلمه فلما سمع
انوشروان هذه القصة من ذلك الصبي وكانت مطابقة
لاحوال قلبه تاب بالكلية عن الظلم فلا جرم بقي اسمه مخلدا
في الدنيا بالعدل حتى انه من الناس من يروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ولدت في زمن الملك العادل
انتهى وفي التفسير النيسابوري في سورة الفاتحة في قوله تعالى
مالك يوم الدين ملك يوم الدين قال ثم يتفرع على كل من القرائتين
احكام اما المتفرعة على الاولى فقراءة المالك ارجى من قراءة
الملك لانه اقصى ما يرجى من الملك العدل والانصاف
وان ينجو الانسان منه راسا برأس والمالك يطلب العبد منه
الكسوة والطعام والتربية والانعام يا عبادي كلكم جائع
الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته
فاستكسوني اكسكم الملك يطمع فيك والمالك انت تطمع
فيه الملك لا يختار من العسكر الا كل قوي سوي ويترك
من كان مريضا عاجزا والمالك ان مرض عبده عالجه
وان ضعف اعانه الملك له هيبة وسياسة والمالك
له رأفة ورحمة واحتياجنا الى الرأفة والرحمة اشد من احتياجنا
من الهيبة والسياسة واما المتفرعة على الثانية فانه في الدنيا
ملك الملوك قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء
وتنزع الملك ممن تشاء وفي الاخرة لا ملك الا هو لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار ملكه لا يشبه ملك المخلوقين لا

لانهم اذا بذلوا اقلت خزائنهم ونفدت ذخايرهم وانه
سبحانه وتعالى كلما كان اكثر عطاء كان اوسع ملكا فان
اعطاك عشرة اولاد زاد في ملكه عشرة اعبد من لوازم
ملكه كمال الرحمة فلهذا قرنه بقوله ملك يوم الدين قوله رب
العالمين الرحمن الرحيم ومثله الملك يومئذ الحق للرحمن قل اعوذ
برب الناس ملك الناس فمن اتصف بهذه الصفة
من ملوك الدنيا صدق عليه انه ظل الله في الارض الكفر
سبب لخراب العلم تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا والطاعة
تتضمن صلاح المعاش والمعاد من عمل صالحا من ذكر
او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم
باحسن ما كانوا يعملون فعلى الناس ان يطيعوا ملوكهم وعلى
الملوك ان يطيعوا مالك الملك حتى ينتظم امور
معاشهم ومعادهم لما وصف نفسه بانه ملك يوم الدين
اظهر للعالمين كمال عدله بنفي الظلم تارة وما ربك بظلام
للعبيد وبثبوت العدل اخرى ونضع الموازين القسط
ليوم القيمة فلا خلاف للملك اعم نفعا واتم وقعا من انه يكون
عادلا ومن هنا يظهر البركة في العلم او ترتفع ان كان السلطان
عادلا او جائرا انتهى فبالسلطان صلاح الانسان بل
بالسلطان العادل صلاح الدارين وليس فوق السلطان
العادل منزلة الا نبي مرسل او ملك مقرب فالحد عظم
قدر السلطان عندك حجة الله تعالى على نفسك ونصحه
على قدر ما نفعك وليس نفعه مقصورا على عجالة من حطام الدنيا

ولكن الصيانات في حقك مثل حفظ حريمك وحراسة مالك
عن البغاة وهذا اعم نفع لك ان عملت فبالسلطان
العادل يصلح البلاد والعباد وينال الزلفى الى الله تعالى
والفوز بجنة المأوى **الباب الاول** في معاونتهم على الحق
اعلم ان معاونتهم على الحق انما تكون بنصيحة دينية وكل
نصيحة دينية من اهلها انما تظهر ثمرتها بقبول حسن فثمرة المعاونة
لا تظهر الا في شجرة القبول فلا بد لك من معرفة فصلين **الفصل
الاول** في بيان النصيحة لظهور ثمرة المعاونة قال الله تعالى
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس
بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال
عز وجل ولينصرن الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي
عزيز ثم سمى المنصورين واوضح شرائطهم فقال عز من قائل
الذين ان مكناهم في الارض واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة
وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فضمن الله تعالى النصر للملوك
وشرط عليهم اربع شرائط كما ترى فمتى تضعضعت
قواعدهم وانتقص عليهم شيء من اطراف مملكتهم او ظهر عليهم
عدو باغي فتنة او حاسد نعمة او اضطربت عليهم الامور
ونحوها فليعلموا انهم قد اخلوا بشيء من الشروط الاربع التي شرطت
في النصر ويلجؤا الى الله الملك التواب باقامة الميزان
القسط الذي شرعه الله تعالى لعباده وركوب سبيل العدل
والحق الذي به قامت السموات والارض واظهار شعائر
الدين ونصر المظلوم والاخذ على يد الظالم وكف يد القوي
عن الضعيف ومراعاة الفقراء والمساكين وملاحظة ذوي

الخصاصة والمستضعفين روى مسلم في صحيحه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امير يلي امر المسلمين
ثم لا يجهد لهم وينصح الا لم يدخل معهم الجنة وقال معقل بن يسار
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسترعيه الله
رعية فلم يحفظها بنصيحة الا لم يدخل الجنة وروى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته
والرجل راع على اهل بيته وهو مسئول عن رعيته والمرأة
راعية على اهل بيت زوجها وولدها وهي مسئولة عنهم
وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه الا
وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وروى عبد الرحمن
ابن سمرة قال قال رسول الله صلى الله وسلم يا عبد الرحمن
ابن سمرة لا تسئل الامارة فانك ان اعطيتها من غير
مسئلة اعنت عليها وان اعطيتها عن مسئلة وكلت
اليها وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال انكم ستحرصون على الامارة وستكون
ندامة يوم القيمة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة وفي
الحديث من ولي من امر المسلمين شيئا ثم لم يحطهم بنصيحة كما يحوط
اهل بيته فليتبوأ مقعده من النار وعن ابي سعيد الخدري
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس
عذابا يوم القيمة الامام الجائر وقال علي بن ابي طالب كرم
الله وجهه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ليس من وال ولا قاض الا يؤتى يوم القيمة حتى يوقف
به بين يدي الله تعالى على الصراط ثم تنشر الملائكة سيرته فيقرؤنها

يعني ان اعطاك الله سبحانه من غير سؤال اعانك الله على تلك الامارة وحفظك عن الاثم فيها الا بعملك يكون لطاعة الامام
منه

وكلت اليها بتخفيف الكاف على بناء المجهول يعني لا يعينك الله عليها لاعتمادك على نفسك فتكون انت مفوضا الى تلك الامارة
منه

لان الامارة لا تجري على العدل الا نادرة
منه

قال الطيبي نعم فعل غير متصرف واذا كانت فاعله مؤنثا جاز الحاق تاء التانيث في بئسها
منه

المخصوص بالمدح والذم محذوف وهو الامارة ضرب صلى الله عليه وسلم المرضعة مثلا للامارة الموصلة الى صاحبها من المنافع العاجلة والفاطمة وهي التي انقطع لبنها مثلا لمفارقتها عنها
منه

على رؤس الخلايق فانه كان عدلا نجاه الله تعالى بعدله
وانه كان غير ذلك انتفض به الصراط انتفاضة صار بين
كل عضو من اعضائه مسيرة سنة ثم ينخرق به الصراط فما يلقى
قعر جهنم الا بحر جبينه وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال صنفان من امتي لا تنالهم شفاعتي يوم القيمة امام ظالم
غشوم وغال في الدين مارق منه وقال حذيفة بن اليمان
من اشراط الساعة امراء فجرة ووزراء كذبة وامناء خونة
وعلماء فسقة وعرفاء ظلمة وقال طاوس لسليمان بن عبد الملك
هل تدري يا امير المؤمنين من اشد الناس عذابا يوم القيمة
فقال سليمان قل فقال طاوس اشد الناس عذابا يوم
القيمة من اشركه الله تعالى في ملكه فجار في حكمه فاستلقى سليمان
على سريره وهو يبكي فما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه
وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القضاة
ثلثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل قضى بغير علم فهو
في النار ورجل قضى بعلم فجار فهو في النار ورجل قضى بحق
فهو في الجنة وذكر السلطان اعرابي فقال والله لئن عزوا
في الدنيا بالجور لقد ذلوا في الآخرة بالعدل وبقليل فان
رضوا من كثير باق وانما يكون الندم حيث لا ينفع الندم
وقال ابو ذر رضي الله عنه قلت يا رسول الله الا تستعملني
قال فضرب بيده على منكبي وقال يا ابا ذر انك ضعيف
وانها امانة وانها يوم القيمة خزي وندامة الا من اخذها
بحقها وادى الذي عليه فيها وروي عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه انه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم الى اليمن وانا حديث السن فقلت يا رسول الله
ابعثني الى قوم شيوخ ذوي اسنان ولا علم لي بالقضاء
فقال ان الله سبحانه هاد قلبك ولسانك فاذا جلس
الخصمان فلا تقض للاول حتى تسمع كلام الآخر فانك اذا فعلت
كلامه عرفت كيف تقضي فانظر كيف نهى صلى الله عليه وسلم
ابا ذر رضي الله عنه عن القضاء لمعنى فيه يقصر به عن رتبة
القضاء مما كان ضده في علي رضي الله عنه من استجماع
شرايط القضاء وقوته عليه وكيف عاتب جهلة بني اسرائيل
طالوت فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك
منه ولم يؤت سعة من المال فعابوه بخصلتين الفقر وانه
ليس من بسط المملكة فقال لهم النبي ان الله اصطفاه عليكم
وزاده بسطة في العلم والجسم فبين شروط الولايات
والممالك انها تفتقر الى العلم الذي به يحكم والى القوة التي
بها ينفذ الاحكام دون ما طلبته بنو اسرائيل فعلم مما ذكر
عدم جواز طلب الولاية والقضاء فان قال قائل اليس
سليمان بن داود عليهما السلام قال رب هب لي ملكا
لا ينبغي لاحد من بعدي فهو مع كونه نبيا طلب الامارة
وسألها وظاهره يؤذن بان سوال الامارة وطلبها
ممدوح لا يمنع منه ثم زاده على ذلك بانه لا يؤتى مثله احدا
بعده فالكلام على هذه الاية من وجوه احدها انه انما سال
هذا بعد ان سلبه الله ملكه ثم اعاده عليه فحين طلب الملك
فكانه قال هذا الملك الذي جددته لي هبه لي على صفات
لا اعصيك فيه فتسلبني اياه يدل عليه انه بدا بالمغفرة

فقال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد
فلا اعصيك فيه فتواخذني والدليل على ذلك قوله تعالى
هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب حيث اجاب
دعاءه فقال تصرف كيف شئت فلا حساب عليك فيه
وقيل انه اعطيت اجرت وان امسكت فلا تبعة
عليك وهذه خصوصا لسليمان بن داود عليهما السلام
لم يخص بها احد من ولد آدم عليه السلام سواه لان الله
تعالى قال للخلايق اجمعين فوربك لنسئلنهم اجمعين
عما كانوا يعملون واما قوله لا ينبغي لاحد من بعدي فقد
عطا معناه لا اسلبه في باقي عمري فيصير لغيري كما سلبته
فيما مضى من عمري وقيل انما سال ذلك ليكون علما على المغفرة
وقبول التوبة فاجيب الى ذلك فعلم انه قد غفر له وقيل
انما سال ذلك ليكون اية لنبوته وعلما على معجزته و
قال مقاتل بل كان سليمان ملكا ولكنه اراد بقوله لا ينبغي
لاحد من بعدي تسخير الرياح والطير يدل عليه ما بعده من قوله
فسخرنا له الريح الى آخر الآيات وروى البخاري في صحيحه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن
جعل يتفلت على البارحة ليقطع على صلوتي وان الله
سبحانه امكنني منه فصرعته فلقد هممت ان اربطه الى سارية
من سواري المسجد حتى يصبح تنظرون اليه كلكم فذكرت قول
سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده الله
خاسئا واما معنى قول يوسف اجعلني على خزاين الارض
اني حفيظ عليم فقالوا انه يستفاد من الآية ان من حصل بين يديه

وقيل انما اراد به ملك النفس وقهر الهوى يدل
عليه ما روى سلمان قال بلغني ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان سليمان وما اتاه الله
من ملكه فانه لم يرفع راسه طرفة عين الى السماء
تخشعا لله تعالى حتى قبضه الله وزاد غيره
فقال انما اراد ملك النفس وقهر الهوى
لئلا يغتر بالمملكة ولهذا قدم سوال
المغفرة على طلب المملكة
منه

بين يدي ملك لا يعرف قدره او امة لا يعرفون فضله
يخاف على نفسه جاز ان ينبههم على مكانه وما يحسنه دفعا
للشر عن نفسه وفيه فائدة اخرى وهو انه اذا راى الامور
في ايد الخونة واللصوص ومن لا يودي الامانة ويعلم من نفسه اداء
الامانة مع الكفاية جاز ان ينبه السلطان على كفايته
وامانته هذا واعلم ان جرعة النصيحة مرة لا يقبلها الا اصحاب
العزم والديانة وان القول الغليظ يسمع لفضل عاقبته كما
يتكاره على شرب الدواء المر لفضل مغبته كان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يقول رحم الله امرا اهدى الي عيوبي وحكي
عن عمر بن عبد العزيز انه قال لبعض اصدقائه قل لي في وجهي
ما اكره فان الرجل لا ينصح اخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره
وقال تلك النصيحة لله في ارضه هي التي بعث الله بها انبيائه
عليهم السلام فمن اهم امور الاسلام النصيحة لعباد الله من اقوامهم
سيما النصيحة للملوك فان الملوك كالماء الصافي
وكالمراة في صفوة قلوبهم بغير كدورة فينعكس وينطبع ما في
قرنائهم وجلسائهم ان خيرا وان شرا فينبغي للملك ان يجالس
اهل الادب والعقل والفكر وذوي الراي والتجارب
والعبر واعلم ان الاهل لنصيحة السلطان وزيره العاقل
المدبر لجميع مصالحه المتدين العامل بقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون فاذا كان كذلك يظهر ثمرة المعاونة واما
اذا لم يكن كذلك فلا بد ان يظهر الكدورة فان مثل الملك
الجيد والوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو
منه كالماء الصافي فيه التمساح فلا يستطيع المرء دخوله وان كان

سابجا وكان الى الملك محتاجا وايضا مثال السلطان مثال
الطبيب ومثال الرعية مثال المرضى ومثال الوزير كالسفير
بين المرضى والطبيب فانه لم يكن السفير متدينا وكذب
بطل التدبير وكما ان السفير اذا اراد انه يقتل احدا من
المرضى وصف الطبيب بنقيض دائه فاذا سقاه الطبيب
على ما وصفه السفير هلك العليل وان كان صادقا متدينا
فلا يزيد شيئا من مقتضى نفسه فلو كان السلطان يستغنى
عن الوزير لكان احق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران
على نبينا وعليه الصلوة والسلام قال الله تعالى في قصته واجعل
لى وزيرا من اهلى هرون اخى ثم ذكر حكمة الوزارة فقال اشدد به
ازرى واشركه في امرى دلت الاية على انه موضع الوزارة
انه يشيد قواعد المملكة ثم قال كى نسبحك كثيرا ونذكرك
كثيرا دلت هذه الكلمة على انه نصيحة العلماء واهل الخبرة
والمعرفة تنظم نصيحة الدنيا والاخرى وكما انه اشجع الناس يحتاج
الى السلاح كذلك اعظم الملوك واجل السلاطين يحتاج
الى الوزير فالوزارة من الوزر وهو الثقل يعنى انه يحمل ما هو من
اصول المملكة واعبائها مثل الاثقال فاسعد الملوك ملك له
وزير صادق ان نسى ذكره وان ذكر اعانه واول ما يستفيد
الملك من الوزير انه علم ما كان يجهله ويقوى عنده علم
ما كان علمه فيزول مشكله قال وهب بن منبه قال موسى
عليه السلام لفرعون آمن ولك الجنة ولك ملكك
قال حتى اشاور هامان فشاوره في ذلك فقال هامان بينا
انت تعبد اذ صرت تعبد فانف واستكبر وكان ما كان

ما كان من امره واشرف منازل الادميين النبوة ثم الخلافة
ثم الوزارة فالوزير عون على الامور وشريك في التدبير
وظهير على السياسة ومفزع عند النازلة الوزير مع الملك
بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه اول ما يظهر قوة تمييز
السلطان وجودة عقله في استنخاب الوزراء واستنقاد
الجلساء ومحادثة العقلاء فهذه الخلال الثلث تدل على كماله
وبهذه الخلال يحمد في الخلق ذكره ويجل في العيون قدره
ويرسخ في النفوس عقله وكماله والمرء موسوم بقرينه فان
السلطان اذا كان وزيره عاقلا متدينا لا جرم ايضا يصير
قريناه عقلا فالوزير يعلم ما يلزمه على الكل في التعظيم والاجلال
الذى جوزه الشرع وما لم يجوزه فلا يرضى عما وضعته الجبابرة
ولا يتالم لمن تركه خوفا من الله تعالى لكونه مخالفا للشرع
قال في الظهيرية واما تقبيل الارض فهو قريب من السجود الا
انه احف من وضع الخد او الجبين على الارض وقال
ايضا سلطان عطس فقال رجل يرحمك الله فقال له رجل
اخر لا يقال للسلاطين هكذا يكفر انتهى وفي بعض الكتب
لا يصلح السلطان الا بالوزير وهما الا بالمودة والنصيحة
ولا المودة والنصيحة الا بالراى والعفاف فاعظم الاشياء
ضررا على الناس عامة وعلى الولاة خاصة انه يحرم مواخر
صالحى الوزراء فيكون اعوانهم غير ذى مروة قيل لكل ملك
بطانة يجمع جميع المملكة فاذا اقام الملك بطانة على حال الصلاح
اقام كل منهم بطانة على مثل ذلك حتى يجتمع على الصلاح عامة
الرعية قال شريح بن عبيد لم يكن في بنى اسرائيل ملك الا ومعه

رجل حكيم فاذا راه غضبانا كتب له صحايف ارحم المساكين
واخش الموت واذكر الآخرة فكلما غضب الملك ناوله
صحيفة حتى يسكن غضبه ولهذا شرط انه يكون الوزير
صدوقا في لسانه عدلا في دينه مامونا في اخلاقه بصيرا
بامور الرعية ويكون بطانة الوزير ايضا من اهل الامانة
والبصيرة ولا يكون لئيما لان اللئيم اذا ارتفع جفا اقاربه
وانكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي
الفضل والانصاف وكان بعض الملوك قد كتب ثلاث
رقاع وقال لوزيره اذا رايتني غضبانا فادفع الي رقعة
في الواحدة انك لست باله وانك تموت وتعود
الى التراب فياكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم من في
الارض يرحمك من في السما وفي الثالثة اقض بين الناس
بحكم الله فانهم لا يصلحهم الا ذلك قال انوشروان لا تم
للملك امره حتى يرفع نفسه عن كل عيب وموقع الوزارة
من المملكة كموقع المراة من البصر كما ان من لم ينظر في المراة لا يرى
محاسن وجهه وعيوبه كذلك السلطان اذا لم يكن
له وزير لا يعلم محاسن دولته من عيوبها وكما ان المراة
لا تريك وجهك الا بصفاء جوهرها وجودة صيقلها
ونقائها من الصدا كذلك الوزير لا يكمل امره الا بجودة
عقله وصحة فهمه وصفاء نفسه ونقاء قلبه وكيف لا والوزير
الموفق العاقل حالتئذ مستغن عن كل الاشيا سوى امور المملكة
متنعم بنعمة من خلاق العالم محتاج الى شكره حسبما امكن
ومن الشكر سعيه وخدمته الى ولي نعمته على ما ينبغي فيكون ممكنا

ممكن الرحمة للخلق ليانسوا برحمته ما يحتاج السلطان بشدته
وينبغي انه يكون نقي الجيب ناصح الغيب لا يقبل رشوة
ولا يكتم نصيحة وانه يكون ككليل تهامة لا حر ولا قر وموضع
صلاح الوزير من الملك موقع صلاح الملك من الرعية وكما
ان السلطان اذا اصلح صلحت الرعية واذا افسد فسدت
كذلك الوزير اذا اصلح صلح وكان يقال آفة العقل الهوى
وآفة الملك سخافة الوزير وقال واحد من الخلفا لوزيره
اتق الله يعطفني عليك ولا تعصه يسلطني عليك وقال
بعض الملوك لوزيره اعط من اتاك بما تكره كما يعطى من اتاك
بما تحب فانه من انذرك كمن بشرك في السلطان كالدار
والوزير بابها فمن اتى الدار من بابها ولج ومن اتاها من غير بابها
ازعج فالوزير مستقر اسراره وكاتبه ولسانه الناطق عنه في افاق
مملكته وللكاتبة على الملك ثلث خصال يرفع الحجاب عنه
ويتهم الوشاة عليه ويفشي اليه سره فهو قوام الخلافة وعمود
المملكة وهو المخصوص بقربه ولزومه دون نظرائه واعلم
انه ليس للوزير ان يكتم السلطان نصيحة ولو استقلها وموقع
الوزير من المملكة كموقع العينين من الانسان واليدين فانه
اذا صح قبضهما وضبطهما واذا سقم دخل النقص على الجسد
وللسلطان ان يقبل النصيحة من غير ان يعدها قليلة فاذا كان
السلطان على خلقته الصافية الحسنة وفطرته الوافية
المستحسنة وكان موفقا بوزير صالح ناصح على ما ينبغي فله
القبول الحسن وبالنصيحة وقبولها استراح الجميع وبالله
التوفيق ومنه العون والعناية الفصل الثاني في بيان ظهور ثمرة

المعاونة بقبول حسن اعلم ارشدك الله تعالى ان الخلق
كلهم مستمدون من السلطان مفتقرون اليه في الاحكام
وقطع التشاجر وفصل الخصام ومعلوم ان احوج الناس
الى النفقة اكثرهم عيالا واتباعا وحشما واهلا فهو ووزيره
احوج خلق الله الى معرفة العلوم لاجراء احكام الشرعية فتجهر
بلا علم كبلد بلا اهل ولو آلى المستمع حق الاستماع والحق
المتعلم في قوله صلى الله عليه الناس جلان عالم ومتعلم
وسائر الناس همج لا خير فيهم وافضل ما في السلطان ووزيره
خصوصا وفي الناس عموما محبة العلم اذ به يحصل الدين
والتشوق الى سماعه والتحلي به والتعظيم لحملته خصوصا
للعاملين بعلمهم وهذا من اوكد ما يتحبب به الى الرعية واذا كان
الانسان خاليا من العلم ولم يتشوق الى سماعه ولم يتقيد بقيد التحلي به
ركب هواه واضر برعية قواه كالدابة بلا رسن تمر في غير
طريق وقد يتلف ما تمر عليه فما ظنك بالسلطان ووزيره
فليس احد من اهل الدرجات السنية والمراتب العلية
احوج الى مجالسة العلماء وصحبة الفقهاء ودراسة كتب العلوم
والحكم ومطالعة دواوين العلماء ومجامع الفقهاء من الملك والوزير
وانما يكون ذلك كذلك لوجهين احدهما ان كل واحد
منهما نصب نفسه لممارسة اخلاق الناس وفصل خصوماتهم
وتعاطي حكوماتهم وكل ذلك محتاج الى علم بارع ونظر ثاقب
وبصيرة بالعلم قوية ودراسة طويلة فكيف يكون حاله
عند الله وعند الناس انه لم يعد لهذه الامور عدتها
ولم يقدم لها اهبتها والثاني انه لا يجاليه لارتفاع درجته

وعلو شانه الا معظم لقدره ومجل لشانه ومسالم
لمساويه ومادح له بما ليس فيه فلا يقدر احد ان يعارضه
ويذكر له مساويه ويخالفه فيكون ذلك سببا للمقطوة وكثابة
فكما ان الوزير في تعاطي الحكومات وفصل الخصومات
يحتاج الى العلماء كذلك الملك في كل الاحوال للاعانة
والاعلام يحتاج الى الوزير فالوزير مشير السلطان والسلطان
مستشيره واعلم ان المستشير وان كان افضل رايا
من المشير فانه يزداد برايه راياً كما يزداد النار بالسليط
ضوءا فلا يقذفن في وهمك انك اذا استشرت اظهرت
منك الحاجة الى راي غيرك فيقطعك ذلك عن المشاورة
فانك لا تريد الفخر به ولكن الانتفاع به والامتثال
لامره تعالى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الراي
الفرد كالخيط السحيل والرايان كالخيطين والاراء الثلاثة
الثلاثة لا تكاد تنقطع وكان يقال من كثرت استشارته
حمدت امارته قال المامون لطاهر بن الحسين صف لي الخلافة
الامين فقال كان واسع الصدر ضيق الاذن يبيح من نفسه
ما تانفه همم الاحرار ولا يصغي الى نصيحة ولا يقبل مشورة
يستبد برايه فيرى سوء عاقبته فلا يردعه ذلك
عما يهم به قال فكيف كانت حروبه قال كان يجمع الكتائب
بالتبذير ويفرقها بسوء التدبير فقال المامون حل به ما حل اما
والله لو ذاق لذات النصائح واختار مشورات الرجال
وملك نفسه عند شهواتها ما ظفر به وفي التفسير الكبير ان يوسف
عليه السلام لما صار ملكا احتاج الى وزير فسال ربه عز وجل

كذلك من

فقال جبرئيل ان ربك يقول لا تختار الا فلانا فرآه يوسف
عليه السلام في اسوء الحال فقال لجبرئيل انه كيف يصلح
لهذا العمل مع سوء حاله فقال جبرئيل ان ربك عينه لذلك
لانه ذب عنك حين قال انه كان قميصه قد من دبر
فكذبت وهو من الصادقين والنكتة انه الذي ذب
عن يوسف استحق الشركة في مملكته فمن ذب عن الدين
القويم بالبرهان المستقيم كيف لا يستحق من الله الاحسان
والتحسين انتهى قال سليمان بن داود عليهما السلام
الرحمة والعدل يحرزان الملك وقال زياد ملاك السلطان
ثلثة اشياء الشدة على المذنب والمجازاة للمحسن وصدق
القول سئل عن بعض الملوك وقيل بم نلت هذه المرتبة
فانك قد بلغت في السياسة ما لم يبلغه ملك فلما سمع الحجاج
وقال اني لم ازد في السياسة على ثمان خصال لم اهزل في امر
ولا نهي ولم اخلف في وعد ولا وعيد ووليت اهل الكفاية
واثبت على الغنى لا على الهوى وضربت للادب لا للغضب
واودعت قلوب الرعية المحبة من غير جراءة والهيبة من غير
ضغينة وعممت بالقوت وكان ابن هبيرة امير البصرة
يقول اللهم اني اعوذ بك من صحبة من غايته خاصة نفسه
والانحطاط في هوى مستشيره ومن الحكم انه من التمس من الاخوان
الرخصة عند المشورة ومن الاطباء عند المرض ومن الفقهاء
عند الشبهة اخطأ الرأي وازداد مرضا وحمل الوزر
قال بعض الحكماء لا تشاور معلما ولا راعي غنم ولا كثير القعود مع النساء
ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خائفا ولا من يرهقه احد

احد السبيلين وقال ابو الدرداء ان شئتم لانصحن لكم ان احب
عباد الله الى الله الذين يحببون الله الى عباده ويعملون
في الارض نصحا وكتب الوليد الى الحجاج ان يكتب اليه بسيرته فكتب اليه
اني ايقظت رائي وانمت هوائي وادنيت السيد المطاع
في قومه ووليت الحرب الحازم في امره وقلدت الخراج
الوفي لامانته وقسمت لكل خصم من نفسي قسما يعطيه حظا من
نظري ولطيف عنايتي وصرفت السيف الى النطف المسيء فخاف
المذنب صولة العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب
وقال ابو عبيدة رضي الله عنه اذا كان الملك محصنا لسره
بعيدا من ان يعرف ما في نفسه متخيرا للوزراء مهيبا
في انفس العامة مكافيا بحسب البلاء لا يخافه البريء ولا يأمنه
المجرم كان خليقا ببقاء ملكه وقال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه للمغيرة بن شعبة لما ولاه الكوفة يا مغيرة ليأمنك
الابرار وليخفك الفجار قالوا ظفر الملك بعدوه على حسب عدله
في رعيته ونكوبه في حروبه على حسب جوره في عساكره وصلاح
الرعية انفع من كثرة الجنود وقالوا تاج الملك عفافه وحصنه
انصافه وسلاحه كفافه وماله رعيته وقيل لا ظفر مع بغي ولا صحة
مع نهم ولا غناء مع كبر ولا شرف مع سوء ادب ولا بر
مع شح ولا اجتناب محرم مع حرص ولا ولاية حكم مع عدم
فقه ولا سودد مع انتقام ولا ثبات ملك مع تهاون
وجهالة وزراء ولما ولي ابو بكر الصديق رضي الله عنه خطب فقال
يا ايها الناس انه لا احد اقوى من المظلوم حتى آخذ له بحقه ولا
اضعف من الظالم حتى آخذ الحق منه قيل للاسكندر بم نلت ما نلت

قال باستمالة الاعداء والاحسان الى الاصدقاء وكان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه يقول ان هذا الامر لا يصلح له
الا اللين من غير ضعف والقوة من غير عنف وقال ابو جعفر
المنصور ما كان احوجني ان يكون على بابي اربعة لا يكون
على بابي اعف منهم قيل من هم يا امير المومنين قال هم اركان
الملك ولا يصلح الملك الا بهم كما ان السرير لا يصلح الا
باربع قوايم فان نقص قايمة واحدة عابه احدهم قاض
لا تاخذه في الله لومة لائم والآخر صاحب شرطة ينصف
الضعيف من القوي وصاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية
فاني غني عن ظلمهم ثم عض على اصبعه السبابة ثلاث مرات
وتاوه في كل مرة قيل ما هو يا امير المومنين قال وصاحب بريد
يكتب بخبر هولاء على الصحة وقال عمر بن الخطاب رضي لا يصلح
الوالي الا باربع خصال ان نقصت واحدة لم يصلح امره
قوة على جمع المال من ابواب حله ووضعه في حقه وشدة
لا جبروت فيها ولين لا وهن فيه قال ابن المقفع اذا
اكرمك الناس لمال او سلطان فلا يعجبنك ذلك فان
زوال الكرامة بزوالهما ولكن يعجبك ان اكرموك لعلم او ادب
او دين وبالجملة ان شجرة النصيحة التي اصلها ثابت في الذكر
وفرعها مقارن بالاخلاص والتمكين يظهر ثمرتها كل حين
بحسن القبول يتقبلها عباد الله تعالى الى يوم الدين جعلنا
الله تعالى بالقبول من عباده المكرمين آمين الباب الثاني في طاعتهم
في الحق اعلم ان اسباب الطاعة كثيرة الا ان خصلة الجود
والسخا جليل قدرها عظيم موقعها شريف موردها ومصدرها

ومصدرها وهي احدى قواعد المملكة واساسها وتاجها
وجمالها تعنو لها الوجوه وتذل لها الرقاب وتخضع لها
الجبابرة وتشرف بها الاحرار ويستمال بها الاعداء
ويستكثر بها الاوليا ويحقن بها الدماء ويملك بها القربا والبعدا
ويسود بها في غير عشائرهم الغربا فكلهم مغرمون بجمالها فكم
كافر ترك دينه ابتغاء عرض قليل من الدنيا وكم من مسلم
ارتد في ارض الشرك افتتانا بيسير من عرض الدنيا فتخلق بخصلة
يترك لها الانسان ما عنده ويبذل جهده حتى تكون جليلة
القدر عظيمة الخطر واحوج خلق الله اليها احوجهم الى عطف القلوب
عليه وصرف الوجوه اليه وهم الملوك والولاة وهذه
الخصلة لزومها للملوك اكثر من غيرهم بل واجبة في حقهم اعني الكرم
والجود والسخا قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من السيد
قال الجواد اذا سئل الحليم اذا استجهل الكريم المجالسة لمن جالسه
الحسن الخلق لمن جاوره وقال ابن عباس رضي الله عنه لا يتم
المعروف الا بثلاث تعجيله وتصغيره وتيسيره فاذا عجله
فقد هناه واذا اصغره فقد عظمه واذا يسره فقد تممه وقال
المغيرة في كل شي سرف الا في المعروف قيل للحسن بن سهل لا خير
في السرف فقال لا سرف في الخير وقال زيد بن اسلم وكان
من الخاشعين يا ابن آدم امرك الله ان تكون كريما وتدخل الجنة
ونهاك ان تكون لئيما فتدخل النار وقال ابو علي الثقفي
المعروف كنز لا ينفد من بر ولا فاجر وكان الزبير رضي الله عنه
من اجود الناس وانجعهم ولما مات وجد عليه مائة الف دينار
واعلم ان خصلة الجود والسخا لا تجمع مع البخل والشح فاجتهد بتخلية

فليك عنها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم
انى اعوذ بك من شح نفسي واسرافها ووسواسها وروى
جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الشح فان الشح
اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا الدماء ويستحلوا
محارمهم قالوا الشح اشد من البخل فانه البخل اكثر ما يقال
في النفقة وامساكها قال الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به
يوم القيمة وقال عز من قائل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه وقال
في الشح اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا وقال ومن يوق
شح نفسه فاولئك هم المفلحون وروى انس رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال برى من الشح من ادى
الزكاة وقرى الضيف واعطى في النائبة وقال ابن زيد
من لم ياخذ شيا نهاه الله عنه ولم يدعه الشح الى ان يمنع شيا
امره الله به فقد وقاه شح نفسه وحكي عمن كان يطوف ويقول
اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك فسئل عن ذلك فقال
انه وقيت شح نفسي لم اسرق ولم ازن ولم اقتل فاذا هو
عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قيل الشح اضر من الفقر
لان الفقير اذا وجد تمتع والشحيح لا يشبع ابدا ولما قدم الشافعي
من صنعاء الى مكة كان معه عشرة الاف دينار فقالوا
له تشتري بها ضيعة فضرب خيمة خارج مكة وصب الدنانير
فكل من دخل عليه كان يعطيه قبضة فلما جاء وقت الظهر قام
ونفض الثوب ولم يبق شيء وروى ان رجلا اراد ان يؤذي
عبد الله بن عباس رضي الله عنه فاتى وجوه الناس
وقال يقول لكم ابن عباس تغدوا اليوم عنده فاتوه فملؤا

فملؤا الدار فقال ما الخبر فاخبر الخبر فامر ان تشترى الفواكه
في الوقت وامر بالخبز والطبيخ فاصلح امره فلما مضى قال
لوكلائه اموجود هو هذا كل يوم قالوا نعم قال فليتغد هؤلاء
عندنا الى شهر كل يوم وبالجملة ان الكرم والجود في محله ممدوح
كما ان البخل والشح في جميع الاحوال مذموم واما الاعطاء
والبذل الى غير محله فاسراف وتبذير وهو ممنوع قال الله
تعالى وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر
تبذيرا وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط فتقعد ملوما محسورا فعليك الاعتماد على ملازمة
الاقتصاد **فصل** في بيان سيرة السلطان في بيت المال روى
ابو داود في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى العشاء
الاخيرة ثم دخل حجرته وخرج مسرعا وبيده خرقة فيها ذهب
فقسمها ثم قال صلى الله عليه وسلم ما ظن آل محمد لو ادركه
الموت وهذا عنده ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بيت
مال ولا للخلفاء الراشدين وانما كانت الخلفاء تقسم الاموال
التي تجبى من حلها بين المسلمين وربما كان يفضل منها فضلة
فيجعل في بيت المال او يكون في الناس غنى عنها في ذلك
الوقت وفي اخبار بعض الملوك ان بعض اصحابه اشار عليه
بجمع الاموال واقتناء الكنوز وقال ان الرجال ان تفرقوا
عنك اليوم فمتى احتجت اليهم عرضت اليهم الاموال فتهافتوا
عليها قال له الملك هل لهذا من شاهد قال نعم هل تحضرنا
الساعة من ذباب قال لا فامر باحضار جفنة فيها عسل
فحضرت فتساقط عليها الذباب لوقتها فاستشار السلطان

وزيره الرشيد الامين فنهاه عن ذلك وقال لا تغير
قلوب الرجال فليس في كل وقت اردتهم يحضرونه قال
هل لذلك من دليل قال نعم اذا امسينا ساخبرك فلما
اظلم الليل قال للملك بات الجفنة فحضرت فلم تظهر ذبابة
واحدة وقال انما عمارة خزانة السلطان بالعدل والاحسان
وقد روي عن سيرة بعض السلاطين في ارض مصر انه كان
يجمع الاموال ولا يحفل بالرجال فقال له بعض اصحابه ان امير
الجيوش بالشام يتواعدك وكانه به قد قدم عليك
فاستعد الرجال وانفق عليهم الاموال فاومى الى صناديق
موضوعة وقال الرجال في الصناديق فغزا امير الجيوش
ذلك في مصر وغلبه ولم يسلم الصناديق وكان الراي
فاسدا لانه رجال لا يقيمهم الملك لوقته ويجمعهم لحاجته انما يكونوا
اجنادا مجتمعين وشرذمة مؤلفين ليس فيهم غناء ولا عندهم
دفاع ولا ممارسة للحروب ومن السنة المروية في هذا الباب
لما فتحت العراق جيء بالاموال الى عمر بن الخطاب رضي الله
عنه قال صاحب بيت المال ادخله بيت المال قال لا
ورب الكعبة لا يؤوى تحت سقف بيت حتى نقسمه فغطي
في المسجد بالانطاع وحرسه رجال من المهاجرين والانصار
فلما اصبح نظر الى الذهب والفضة والياقوت والدر يتلألأ
فبكى عمر رض فقال له العباس وعبد الرحمن بن عوف رض
يا امير المؤمنين والله ما هذا بيوم بكاء ولكنه يوم شكر وسرور
فقال اني والله ما ذهبت حيث ذهبتما ولكنه والله
ما كثر هذا في قوم الا وقع باسهم ثم اقبل على القبلة ورفع يديه وقال

الانطاع المتخذ من الاديم معروف وفيه فتح النون وكسرها
ومع كل واحد فتح الطاء وسكونها والجمع
انطاع كذا في المصباح المنير
مصح

بينهم

وقال اللهم اني اعوذ بك ان اكون مستدرجا فاني سمعتك
تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ثم قال اين سراقة
فاتي به اشعر الذراعين فاعطاه سواري كسرى وقال
البسهما ففعل فقال قل الله اكبر قال الله اكبر قل الحمد لله الذي
سلبهما كسرى والبسهما سراقة اعرابيا من بني مدلج ثم قال بها
انه الذي ادى هذا الامين فقال له رجل انا اخبرك انت
امين الله تعالى هم يؤدونه اليك ما اديت الى الله تعالى
فاذا رتعت رتعوا قال صدقت وانما البسهما سراقة
لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لسراقة ونظر الى ذراعيه
كاني بك وقد لبست سواري كسرى ولم يجعل له الا السوارين
وروى البيهقي باسناده قال لما استخلف ابو بكر الصديق
رضي الله عنه غدا الى السوق فقال له عمر رضي الله عنه اين
تريد قال السوق قال قد جاءك ما يشغلك عن السوق
قال سبحان الله يشغلني عن عيالي قال نفرض بالمعروف
قال فانفق في سنتين وبعض اخرى ثمانية آلاف درهم
واوصى انه يرد من ماله في بيت المال وجاء مال من العمال
في اوائل توليته الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فصبه في المسجد ثم
امر فنادى من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
دين او عدة فليحضر قال ابو ايوب الانصاري رضي الله عنه
فقلت يا خليفة رسول الله ان النبي صلعم قال لي لو قد جاءني
مال اعطيتك هكذا وهكذا واشار بكفيه فسكت فاقصر
عنه ثم عاودته فقلت اما ان تعطيني واما ان تبخل عني فقال
ما ابخل عنك فذهبت فحفنت حفنة قال عدها فعددتها

الحفن اخذك الشيء براحتك والاصابع
مضمومة والجرف بكلتي اليدين
والعطاء القليل والحفنة ملء
الكف كذا في القاموس

فوجدت فيها خمس مائة دينار قال عد مثلها فعدوت
مثلها وانصرفت بالف دينار وابو ايوب رضي الله عنه
من اغنياء الانصار وهو نزل النبي صلى الله عليه وسلم ودل
الحديث على انه بيت المال للغني والفقير ودل ايضا على انه
لا يجب انه يتساوى فيه جميع المسلمين بل ذلك موكول
الى اجتهاد الامام والدليل عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
له العباس اعطني من هذا المال فقال له اذهب فخذ فبسط
ثوبه وحثا فيه فلما جاء ليحمله عجز عنه فقال يا رسول الله
من يحمله علي قال لا فنثر منه ثم حمله على عاتقه وفي التفسير الكبير
انه اتاه ذات ليلة رسول الرشيد يستحضره ابو يوسف صح
ان ابا يوسف على نفسه فلبس ازارا ومشى خائفا فلما دخل
سلم عليه فرد الجواب وادناه فعند ذلك سكنت
روعته فقال انه حليا لنا غابت من الدار فاتهمت فيها
جارية من جوار الدار من الخاصة فحلفت لتصدقيني او لاقتلنك
وقد ندمت فاطلب لي وجها فقال ابو يوسف رحمه الله
فاذن لي في الدخول عليها فاذن له فراى جارية كانها
فلقة قمر فخلى المجلس ثم قال لها امعك الحلي فقالت لا والله
فقال احفظي ما اقول لك ولا تزيدي عليه ولا تنقصي عنه
فاذا دعاك الخليفة وقال لك اسرقت الحلي فقولي
نعم فاذا قال لك فهاتيها فقولي ما سرقتها ثم خرج ابو يوسف
الى مجلس الرشيد وامر باحضار الجارية فحضرت فقال
للخليفة سلها عن الحلي فقال الخليفة اسرقت الحلي فقالت
نعم فقال لها فهاتيها قالت لم اسرقها والله قال ابو يوسف
قد صدقت يا امير المؤمنين في الاقرار والانكار وخرجت

وخرجت من اليمين وسكن غضب الرشيد وامر بحمل
الى دار ابي يوسف مائة الف درهم فقالوا ان الخزانة غيب
فلو اخر ذلك الى الغد فقال ان القاضي اعتقنا الليلة فلا تؤخر
صلته الى الغد فامر حتى حمل عشر بدر مع ابي يوسف الى منزله
وفي التفسير الكبير ايضا اعرابي قصد الحسين بن علي رضي الله
عنهما فسلم عليه وساله حاجة قال سمعت جدك يقول
اذا سالتم حاجة فاسالوها من احد اربعة اما عربيا شريفا او مولى
كريما او حامل القرآن او صاحب وجه صبيح فاما العرب فشرفت
بجدك واما الكرم فدابكم وسيرتكم واما القرآن ففي بيوتكم
نزل واما الوجه الصبيح فاني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا اردتم ان تنظروا الي فانظروا الى الحسن
والحسين فقال الحسين ما حاجتك فكتبها على الارض فقال
الحسين سمعت ابي عليا يقول قيمة كل امرء ما يحسن وسمعت
جدي يقول المعروف بقدر المعرفة فاسالك عن ثلث مسائل
ان احسنت في جواب واحدة فلك ثلث ما عندي وان
اجبت عن ثنتين فلك ثلثا ما عندي وان اجبت عن الثلثة
فلك كل ما عندي وقد حمل الي صرة مختومة من العراق فقال
سل ولا قوة الا بالله فقال اي الاعمال افضل قال الاعرابي
الايمان بالله قال فما نجاة العبد من الهلكة قال الثقة بالله
قال فما يزين المرء قال علم معه حلم قال فان اخطاه ذلك
قال مال معه كرم قال فان اخطاه ذلك قال فقر معه صبر
قال فان اخطاه ذلك قال فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه فضحك
الحسين رضي الله عنه ورمى بالصرة اليه وقال النخعي سمعت

عمر بن الخطاب رضي الله عنه مصدقين فابطأوا عليه
وبالناس حاجة شديدة فجاؤا بالصدقات فقام فيها
متزرا بعباءة يختلف فراولها وآخرها يقول هذه لآل فلان
وهذه لآل فلان حتى انتصف النهار وقال الحسن ان عمر بن
الخطاب بينا هو يعس في المدينة بالليل اتى على امراة من الانصار
تحمل قربة فسالها فذكرت ان لها عيالا وانه ليس لها خادم
وانها تخرج بالليل فتسقيهم الماء وتكره ان تخرج بالنهار فحمل
عمر رضي الله عنه القربة عنها حتى بلغ منزلها وقال اغدي
على عمر غدوة يخدمك خادما قالت لا اصل اليه قال انك
ستجدينه ان شاء الله فغدت عليه فاذا هي به فعرفته
انه الذي حمل القربة وقيل لما طاف عمر رضي الله عنه
مملكة الاسلام حتى نزل حمصا فقال اكتبوا الي فقراءهم فرفعوا
اليه الرقعة فاذا فيها سعيد بن عامر قال من سعيد بن عامر
قالوا اميرنا فعجب عمر وقال كيف يكون اميركم فقيرا قالوا
انه لا يمسك شيئا فبكى عمر وبعث اليه بالف دينار يستعين
بها في حاجته فجعل يسترجع فوضع جيشا من جيوش المسلمين
فامضاها كلها وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
صر اربع مائة دينار وقال للغلام اذهب بها الى ابي عبيدة
ابن الجراح ثم تلكا في البيت ساعة حتى ترى ما يصنع فذهب
بها الغلام اليه وقال يقول لك امير المؤمنين اجعل هذه في
بعض حاجتك قال وصله الله ورحمه قال تعالي يا جارية
اذهبي بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى
انفدها ورجع الغلام الى عمر واخبره ووجده قد اعد مثلها لمعاذ بن

لمعاذ بن جبل فقال اذهب بها الى معاذ بن جبل وتلكأ
في البيت حتى تنظر ما يصنع فيها فذهب بها اليه وقال
ان امير المومنين يقول لك اجعل هذه في حاجتك فقال
رحمه الله ووصله ثم قال يا جارية اذهبي الى بيت فلان بكذا والى
بيت فلان بكذا فقالت امراته ونحن والله مساكين فاعطنا
ولم يبق في الخرقة الا دينارا فرمى بهما اليها فرجع الغلام
فاخبر بذلك عمر فقال عمر انهم اخوة بعضهم من بعض وكان ابن
ابي داود الوزير واسع النفس مبسوط اليدين يعطي الجزيل ويستقل
الكثير ولا يرد سؤالا ويبتدي بالنوال فقال له الواثق يوما
قد بلغني بسط يديك بالعطاء فهذا يتلف بيوت الاموال
فاطرق ساعة ثم قال يا امير المومنين ذخائر اجورها واصلة
اليك ومفاتيح حسناتها موصولة لديك وانما استعمل في احياء
الثناء اليك فقال الواثق لله انت جد بالعطاء واكثر
الشكر والثناء واعلم ان الحوج احوج ان يتبع ويفكر انه في الخيرات
والحسنات عز الدنيا وشرف الاخرى وحسن الصيت وخلود
جميل الذكر فانك لم تجد شيئا يبقى على الدهر الا الذكر حسنا كان
او قبيحا فانتهز فرصة الدهر ومساعدة الدنيا ونفوذ الامر وقدم
لنفسك كما قدم من تقدمك بالحسنات تذكر بالصالحات
كما ذكروا وادخر لنفسك في الآخرى كما ادخروا فانه المال
المرغوب لبدنك والموهوب المحبوب لمعادك فبناء
ما يحتاج اليها في معمورة الارض من الخيرات الحسانة كالقناطير
والخانات والعيون والرباطات لنزها وطلبة العلم باحسن مبان
وفوع قدره عظيم اجره وبانيه مذكور وسعيه مشكور واليه

يمشون فيه ويتجحون ويتقلبون ففي مثل هذا فليتنافس
المتنافسون ولمثل هذا فليعمل العاملون **الباب الثالث**
في تذكيرهم برفوح وفيه فصلان **الفصل الاول** في الكلمات
النافعة اعلم ان الكلمات النافعة المستحسنة عند العقلاء
كالجواهر النفيسة فكما ان الجواهر النفيسة مرغوبة ومطلوبة
في اي محل وجدت كذلك الكلمات النافعة المستحسنة
مرغوبة ومطلوبة من اي متكلم صدرت يحكى انه مر بعض الملوك
بغلام يسوق حمارا غير منبعث وقد عنف عليه في السوق
فقال يا غلام ارفق فقال الغلام ايها الملك في الرفق
به مضرة عليه قال ولم قال يطول طريقه ويشتد جوعه
وفي العنف احسان اليه يخف حمله ويطول اكله فاعجب
الملك كلامه فقال له قد امرت لك بالف درهم قال انه
رزق مقدور وواهب مشكور قال وقد امرت لك باثبات
اسمك في حشمي قال كفيت مؤنة ورزقت لها معونة وتكلم
معه كثيرا وقال لولا انك حديث السن لاستوزرتك
قال لن يعدم الفضل من رزق العدل والعقل قال فهل
تصلح لذلك قال انما يكون الحمد والذم بعد التجربة ولا يعرف
الانسان نفسه حتى يبلوها قال فاستوزره فوجده ذا رأي
صليب وفهم رحيب ومشورة تقع مواقع التوفيق وقال
الفضل كان عندي رسول ملك الخزر فكان يحدثني عن حكمة
الملك العاقلة الرشيدة قال اصابتنا سنة احتدم
علينا شواظها بحرارة المصائب وهتوف الآفات
ففزع الناس الى الملك فلم يدر ما يجيبهم به قالت له اختها

الحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة قاموس

اختها ايها الملك ان الحزم علق لا يخلق جديده ولا يمتهن
عزيزه وهو دليل الملك على استصلاح رعيته وزاجر له عن
استفسادها وقد فزعت رعيتك اليك بفضل العجز
عن الالتجاء الى من لا تزيده الاساءة الى خلقه عزا ولا ينقصه العفو
بالاحسان اليهم ملكا وما احد اولى بحفظ الوصية من الموصي
ولا بركوب الدلالة من الدال ولا بحسن الرعاية من الراعي وكم
في نعمة لم تغيرها نقمة وفي رضى لم يكدره سخط الى ان جرى القدر
بما غشي عنه البصر وذهل عنه الحذر فسلب الموهوب والسالب
هو الواهب فعد اليه بشكر النعم وعذ به من فجيع النقم فمتى
تنته ينسك ولا تجعلن الحياء من التذلل لمنع المذل شكرا
منك وحرز رعيتك فتستحق مذموم العاقبة ولكن جرهم ونفسك
بصرف القلوب الى الاقدار له بكنه القدرة وتذليل الالسن
بالدعاء بخفض الشكر له فان الملك ربما عاقب عبده ليرجعه
من سيئ فعل الى صالح عمل او ليبعثه على دؤوب شكر يجوز به فضل
اجر فامرها الملك ان تقوم فيهم فتنذرهم بهذا الكلام ففعلت
فرجع القوم عن بابه وقد علم الله قبول الوعظ في الامر والنهي
فما حال عليهم الحول وما منهم مفتقد نعمة كان سلبها الا وقد ردت
عليهم الزيادات بجميل الصنع فاعترف الملك لها بالفضل
فقلدها الملك وجمع الرعية على الطاعة لها في المحبوب
والمكروه فهكذا فعل الله باعدائه لما شكروه اعاد لهم من نعمة
ما كان اسرع وزادهم من فضله ما تمنوه فكيف من يوحده
ويؤمن به لو صدقت النيات وصحت الاقوال مع مطابقة الافعال
فالله تبارك وتعالى ينظر الى السرائر المستورة ويعلم رجوع الضمائر

المسترة ويحكى انه وجه انوشروان رسولا الى ملك قد اجمع
على محاربته وامره ان يتعرف بسيرته فى نفسه ورعيته
فرجع اليه وقال وجدت عنده الهزل اقوى من الجد والكذب
اكثر من الصدق والجور ارفع من العدل فقال انوشروان
رزقت الظفر به سر اليه وليكن عملك فى محاربته بما هو
عنده اضعف واقل واوضع فانك منصور وهو مخذول
فسار اليه فظفر واستولى على مملكته وقال بعض الحكماء المزاح افة
الجد والكذب عدو الصدق والجور مفسدة الملك فاذا
استعمل الملك الهزل ذهبت هيبته واذا استصحب الكذب استخف
به واذا اظهر الجور فسد سلطانه وكان نقش خاتم بعض الملوك
الهزل مبغضة والكذب منقصة والجور مفسدة وقيل لبعض
الحكماء ما قيمة الصدق قال الخلد فى الدنيا قيل فما قيمة الكذب
قال موت عاجل قيل فما قيمة العدل قال ملك الابد قيل
فما قيمة الجور قال ذل الحياة قيل سال ملك الهند الاسكندر
وقد دخل بلاده ما علامة الملك ودولته قال الجد فى كل الامور قال
فما علامة زواله قال الهزل فيه قال فما سرور الدنيا قال
الرضا بما رزقت قال فما غمها قال الحرص على ما لعلك تناله
وقال الاسكندر لبعض الحكماء ارادو سوا ارشدنى لاحزم
امرى قال لا تمكن قلبك محبة الشئ ولا تسول عليك بغضه
واجعلها قصدا فان القلب كاسمه يتقلب وله خاصية
من التقلب ينزع ويرجع واجعل وزيرك التثبت وسميرك
التيقظ ولا تقدم الا بعد المشورة فانها نعم الدليل وقال
الفضل بن مروان سالت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم

ملكهم فقال بذل عرفه وجرد سيفه فاجتمعت عليه القلوب
رغبة ورهبة لا ينهض جنده ولا يحرج رعيته سهل النوال
حزن النكال الرجاء والخوف معقودان فى يده قلت
كيف حكمه قال يرد الظلم ويردع الظالم ويعطى كل ذى حق حقه
فالرعية اثنان راض ومغتبط قلت فكيف هيبتهم له قال
يتصور فى القلوب فتغض له العيون قال فحدثت المامون
بهذا الحديث فاستحسنه واحل له بعطية كثيرة وسئل واحد
من الحكماء عن العقل قال ترك ما لا يعنى قيل فما الحزم قال انتهاز
الفرصة قيل فما الحلم قال العفو عند المقدرة قيل فما الشدة قال
ملك الغضب قيل فما الخرق قال حب مفرط وبغض مفرط وسئل
اخر عن الحزم قال سوء الظن قيل فما الصواب قال المشورة قيل
فما الذى يجمع القلوب على المودة قال كف بذول وبشر جميل
قيل فما الاحتياط قال الاقتصاد فى الحب والبغض وقوله
الحزم سوء الظن انما اراد سوء الظن بنفسه لا بغيره واوصى حكيم ابنه
ودعا له فقال يا بنى رزقك الله جدا يخدمك به ذوو العقول
ولا رزقك عقلا تخدم به ذوى الجدود فانظر كيف يخدم بالاحسان
ذوو الجدود والى ذوى العقول وكيف يصير احرار الانسان
عبيد الاحسان ولا تظن ان العطاء والاحسان يخالف
الطلب والاخذ ونحوه اذ الاحسان انواع تارة يكون بالطلب فيما
يستحسنه الشرع وتارة بالمنع وتارة بالاخذ وتارة بالاعطاء
على حسب ما يقتضيه الشرع فزمام الامور التوفيق ولم ينزل
من السماء الى الارض اقل من التوفيق فكن على كل حال طالب التوفيق
من الله تعالى قال بعض الحكماء ان ترك الطلب يضعف الهمة ويذل

النفس وصاحبه صار الى اخلاق الحشرات من الحيوان ثم جمعوا
بين القدر والطلب وقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة
انه حمل في واحد منهما ارجح مما حمل في الاخر سقط في حمله وتعب
ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره
وتمت بغيته وضربوا فيه مثلا عجيبا وقالوا انه اعمى ومقعد كانا
في قرية بفقر وضر لا قائد للاعمى ولا حامل للمقعد وكان في القرية
رجل يطعمهما كل يوم احتسابا قوتهما من الطعام والشراب فلم يزالا
في عافية الى انه غاب المحتسب فلبثا بعده اياما فاشتد جوعهما
وبلغ الضر منهما جهده فاجمع رايهما على ان يحمل الاعمى المقعد فيدله
المقعد على الطريق ببصره ويستقل الاعمى بحمل المقعد فيدوران
في القرية يستطعمان اهلها ففعلا فصح امرهما ولو لم يفعلا لهلكا
فكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر
وكل واحد منهما معين لصاحبه قيل لا تدعن الطلب اتكالا
على القدر ولا تجهدن نفسك في الطلب معتمدا عليه متهينا
بالقدر واما ما ورد في القرآن العظيم واحاديث الرسول
من الامر بالتوكل على الله والتسليم والتفويض فالمراد منه
عدم الاعتماد على الاسباب ومن ذلك انه سليمان الخواص
لما يوما قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت فقال ما ينبغي
لاحد بعد هذه الاية انه يلجا الى احد غير الله تعالى فمعناه
لا يلجأ الى الاسباب اعتمادا على الاسباب ولكن يلجأ اليها
واثقا بانه الله يفعل ما يشاء كما امر النبي عليه الصلوة والسلام
بعقل الناقة ولبس صلى الله عليه وسلم درعين الاثر انه من
يطلب الزرع والولد ثم قعد في بيته لم يطأ زوجته ولا بذر

ولا بذر ارضه معتمدا في ذلك على الله تعالى واثقا به انه يلد
امراته من غير وقاع وينبت ارضه الزرع من غير بذر كان
عن المعقول خارجا وفي تيه الجهل والجا قال انس رضي الله
عنه جاء رجل على ناقة له فقال يا رسول ادعها واتوكل
فقال اعقلها وتوكل فمن رام امرا من الامور فليسلك الطريق في
تحصيله انه يغلق بابه عليه ويفوض امره الى ربه وينتظر حصول
ذلك الامر بل الطريق انه يشرع في طلبه على الوجه الذي
شرعه الله تعالى من المشاورة باهله وغيرها وقد ظاهر النبي
صلعم بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة يستظهر به
ويحترس من العدو واقام الرماة يوم احد ليحفظوه من خالد بن
وليد وكان يعبي الجيوش ويامرهم وينهاهم بما فيه مصالحهم
وتداوى وامر بالمداواة وقال انزل الدواء الذي انزل الداء
واما ما ورد من ان النبي صلعم قال من استرقى واكتوى فقد برئ
من التوكل فقد قالوا انه معناه من استرقى واكتوى متكلا على الرقية
والكي وانه البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرجه من التوكل لانه
هذا على سبيل الغفلة لا على الاعتقاد وكيف يعتقد المؤمن
وهو مؤمن بمثل هذا الاعتقاد فالمؤمن باشر الاسباب والادوية
ويتعاطى تدبير الامور بنفسه واعوانه ومآله على ما جرت به سيرة
الله تعالى في ارضه وعادته في خلقه غير معتمد على شيء من ذلك
بل هو واثق القلب انه ما حصل فبتقديره وما تعسر فبتدبيره
ومعتمده في ذلك على المسبب لا على الاسباب فهذا هو التوكل
لكن من شرطه انه يمشي في ذلك كله مع الامر المشروع ولا يسلك
طريقا فيه معصية ليستدر ما عند الله بمعاصيه قال علي بن ابي طالب

وآلبز الثياب والسلاح ومع الها الهيئة
كالبزة بالكسر وتجافل في السلاح ايضا بز
بالكسر مع الها وبز بالفتح
مع خذ فضا
منه

رضي الله عنه من ابتغى امرا بمعصية الله كان ابعد لما رجاه
واخوف لمجيء ما اتقى وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله
حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا
فلم تحمل اليها ارزاقها في اوكارها بل الهمها طلبها بالغدو
والرواح فالرجل العاقل يتوكل على الله تعالى على ما ينبغي ولا ينسى
شيئا مما يفعله لنفسه قال رجل من الخوارج لعلي بن ابي طالب كرم
الله وجهه ارايت من جنبني سبل الهدى وسلك بي سبيل الردى
احسن الي ام اساء فقال علي ان كنت قد استوجبت عليه حقا
فهو يفعل ما يشاء وروي ان نبيا من انبياء الله تعالى مر بفخ
منصوب واذا طائر قريب منه فقال الطائر مفتخرا بادراكه
واعتماده عليه يا نبي الله هل رايت اقل عقلا من هذا نصب
هذا الفخ ليصيد في فيه وانا انظر اليه قال فذهب ثم رجع
فاذا الطائر في الفخ قال له عجبا لك الست القائل آنفا كذا وكذا
فقال يا نبي الله اذا جاء الحين لم يبق اذن ولا عين

الفصل

في حكم منثورة اعلم ان للاعمال جزاء فاتق العواقب وللايام
غدرات فكن على حذر وللاقدار لفتات فاستعد لها وللزمان
منقلب لوائي فاحذر دولته وخف سطوته فاترك ما لا يعنيك
ان التمست الراحة لنفسك اذ لم يكن وقوعك من شيء اضر
عليك من لسانك ولا تعص ربك وتب حتى لا ياتيك
مضرة وداء وآفة واطفئ نار غضبك فانه احد اذا تمكن
منك ولا تزاحمك مضايق سوء الخلق فاعدى الاعداء
اليك نفسك اذا جهلت فاحترس لنفسك بنفسك واجعل
واعظك شيبتك وناصحك فكرتك ولا تكن عبدا لهواك

لهواك واستضئ بنور الهداية فتكون حرا فاذا عرفت هذا
تعرف ان من لم يداو نفسه من سقام الآثام في ايام حياته فما
ابعده من الشفاء ومن اذل حواسه واستعبدها في ما تقدم
من خير لنفسه بان فضله وظهر نبله ومن لم يضبط نفسه وهي
واحدة لم يضبط حواسه وهي خمس واذا لم يضبط حواسه مع قلتها
فصعب عليه ضبط الاعوان مع كثرتهم فكانت عامة الرعية
في اقاصي البلاد واطراف المملكة ابعد من الضبط فليبدا الملك
بسلطانه على نفسه فليس من عدو احق ان يبداه بالقهر من نفسه
ثم يشرع في قهر حواسه الخمس لان قوة الواحدة منهن ودون
صواحباتها قد تاتي على النفس القوية الحذرة فكيف اذا
اجتمعت خمس على نفس واحدة فان لكل واحدة منهن شرا ليس
للاخرى فمن قهرها سلم من شرها ثم الرعية تستظهر الى الملك العادل
الغوث استظهار اهل الجدب الى الغيث وينتعشون بعطفه
عليهم كما تنتعش النبت بما يناله من القطر والرعية بالملك العادل
اعم نفعا منها بالغيث لان لمنفعة الغيث وقتا معلوما وعدل
الملك على الدوام لا يتعين له وقت ويحسن بالملك ان يضاهي في
تدبيره بطباع ثمانية اشيا منها الغيث والشمس والقمر والريح
والنار والارض والماء والمجازاة بعد الموت اما شبهه بالغيث
فتواتره في اربعة اشهر من السنة ومنفعته لجميع السنة كذلك
ينبغي للملك ان يعطي عبيده واعوانه في اربعة اشهر تقدير الثمانية
السنة فيجعل رفيعهم ووضيعهم في الحق الذي يستوجبونه بمنزلة
واحدة كما يستوي المطر السنة بين كل اكمة مشرفة وغائض ومنخفض
كلا منها على قدر حاجته ثم يستحيي الملك في الثمانية الاشهر حقوقه

من غلاتهم وخراجهم كما تجتني الشمس بحرّها وحدة فعلها انداء
الغيث في الاربعة اشهر واما شبهه بالريح فان الريح لطيفة
المداخل فتولج ببواطن الابدان فينبغي للملك ان يكون له جواسيس
فيتولج على قلوب الناس بجواسيسه وعيونه لا يخفون
عنه بشيء حتى يعرف ما يأمرون به في بيوتهم واسواقهم
واما شبهه بالقمر فان القمر اذا استهل اتمامه فاضاء
واعتدل نوره على الخلق وفرح الناس بضوءه فينبغي
ان يكون بهجة الملك وزينته واشراقه في مجلسه ويبتهج
رعيته في نشره ولا يخص شريفا دون وضيع ببذله واما شبهه
بالارض ففي كتمان السر والاحتمال والصبر واما شبهه بالنار
فعلى اهل الفساد واما شبهه بعاقبة الموت ففي المجازاة
حيث يكون عقابه لا يقصر عن اقامة حد ولا يتجاوزه
واما شبهه بالماء ففي لينه لمن لاينه وهدمه البيوت
واقلاعه الصخر لمن حاربه واعلم انه يكتنف السلطان
من يستتبع من شرار الناس والاعوانة على الحاجة اليهم
فيقتلهم بسطوته وينتفع بهم اذ لا يقرب منه الاعداء
كالحيات تكتنف الصندل فيقتلها الصندل بطيب رائحته
وبرده ويبسه وينتفع الصندل بها اذ لا يقرب منه من يريد
قطعه وقد مثل هذا قال العرب لا تكن حلوا فتؤكل ولا مرا
فتلفظ واجعل لكل طبقة من اعدائك اشباههم ممن يعرفهم
تسوسهم فانهم كالملقى في الاذن لا حيلة في اخراجه ارفق من الماء
الذي هو من جنسه فالسيف القاتل من جنس الدرع الواقي فيدبر
الملك الحازم لسلطانه كتعاهد صاحب البستان يخرج باجل

باجل عيدانه وشوكه شجره فيحيط به ثمره وزرعه ليقيه من الشر
والفساد وكما ينتخب الملوك لاهل الشكيمة والبسالة فيجعلهم في اقاصيه
وحدوده رداً للهلكة ومن تدبيره ايضا المعالجة بالمجاملة والوعد
والاحسان وليس بسلطان من ليس له اعوان ومن تدبيره استماع
الحكم وقبولها ومن الحكم ان من الكرم لين الشيم اياك والخديعة فانها
خلق اللئيم اكرم الصنائع سلامة الصدر فلن تسلم من الناس حتى يسلموا
منك من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب
لم يجز صدقه اعتزل عدوك تكن معتزلا ليس الرجل من كان عبد
هواه من خاف ربه كف ظلمه لولا جهل الجاهل ما عرف عقل العاقل
فمصادقة الكرام غنيمة ومصادقة اللئام ندامة من كان الناس عنده
سواء لم يكن له اصدقاء من سالم الناس غنم ومن سفه يقطع مودة
لم تزل ويكسب عداوة لم تكن فلا قوي اقوى ممن قوي على نفسه
ولا عاجز اعجز ممن عجز عنها فاعلم انه الله سبحانه وتعالى قد يعادي اولياءه
واصفياءه باعدائه ويسلط اولياءه واحباءه الى اعدائه تمحيصا
لهفوات اوليائه ورفعة وذخيرة لهم عنده وزلفى لديه قال الله تعالى
تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم لعظم ما كان يلقاه من سطوة
اعدائه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وقال سبحانه
جل شانه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن
يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا فما ابتليت به من المكاره
اما لرفع درجة وتمحيص سيئة وبلوغ فضيلة واما لعقوبة لانتهاك
حرمة واقتراف معصية وكان جعفر بن محمد اذا وقع في شيء يكرهه
قال اللهم اجعله ادبا ولا تجعله غضبا وفي الحديث عن النبي صلعم
لو كان المؤمن في راس جبل لقيض الله له منافقا يؤذيه قال بعض

العرفا، الذي رائينا ما نحب في ما نكره اكثر مما رأينا ما نحب
فيما نحب فاسعد الناس من كان القضاء له مساعدا وكان
لمساعدته اهلا وكان انجح ما في هذا الانسان قلبه له موارد من
الحكمة واضدادا من خلافها فانه سنح له الرجاء اذله الطمع وانه
هاج به الطمع اهلكه الحرص وانه تملكه اليأس قتله الاسف وانه عرض
له الغضب استبد بالغيظ وانه استعد بالرضا نسي التحفظ وانه
ناله الخوف شغله الحذر وان اتسع له الامر استلبته الغرة وانه
حدثت له النعمة اخذته العزة وان امتحن بمصيبة فضحه الجزع
وانه افاد مالا اطغاه الغنى وانه عضته فاقة شغلته وان
جهد به الجوع قعد به الضعف وانه افرط في الشبع كظته البطنة
فكل تقصير وتفريط به مضر وكل افراط له مفسد علامة العلم
لا تعجز واحتى تفعلوا ولا تأنفوا حتى تظلموا قصص الاولين مواعظ
الآخرين ليس مع الطمع عزة ولا مع الحسد سرور ولا مع الحرص
راحة ولا مع السخط غنا ويروى ان امراة العزيز قالت
ليوسف عليه السلام بعد ما ملك خزائن الارض يا يوسف
ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا والصبر والتقى
صير العبيد ملوكا فقال يوسف عليه السلام قال الله عز وجل انه
من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين قال جعفر الصادق
عجبت لمن ابتلي باربع كيف يغفل عن اربع لمن ابتلي بالضر كيف
يذهب عنه ان يقول رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين
والله تعالى يقول فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وعجبت لمن ابتلي
بالغم كيف يذهب عنه ان يقول لا اله الا انت سبحانك اني
كنت من الظالمين والله تعالى يقول فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك
ننجي

ننجي المؤمنين وعجبت لمن خاف كيف يذهب عنه ان يقول
حسبنا الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول فانقلبوا بنعمة من الله
وفضل لم يمسسهم سوء وعجبت لمن مكر به كيف يذهب عنه
ان يقول وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد والله تعالى
يقول فوقاه الله سيئات ما مكروا وعجبت لمن انعم الله
عليه بنعمة خاف زوالها كيف يذهب عنه ان يقول ما شاء الله
لا قوة الا بالله فمن لم يقدر على جمع الفضائل فليكن فضائله ترك
الرذائل ان لم تكن ملحا تصلح فلا تكن ذبابا تفسد استصلاح
بعض العدو افضل من هلاكه من سعادة المرء ان يطول عمره
ويرى في عدوه ما يسره خير الكتب ما اذا اعاد قارئه النظر
فيه زاد حسنه او وقف على ضده اذا فقد المتفضلون هلك
المتجملون اصلاح الرعية انفع من كثرة الجند فاذا عدل الملك
ملك قلوب الرعية واذا جار لم يملك منهم الا الرياء والتصنع
خير مالك ما اغناك وخير منه ما قواك القليل من الملك
كالكثير من غيره عطاء الملك زينة وسؤاله شرف فاستتم النعمة
بالشكر والقدرة بالعفو والطاعة بالتألف والنصر بالتواضع
لله والرحمة للخلق واعتبر فلم يحكم العقول حاكم كالعبر ولم يحكمها
محكم كالتجربة فمن عاب سافلا فقد رفعه ومن عاب سيدا
فقد وضع نفسه بالكلام يعرف فضل العقل كما بالرسول يعرف
قدر المرسل فملاك امركم الدين وعصمتكم التقوى وزينتكم الادب
وحصون اعراضكم الحلم الاشرار يتبعون مساوي الناس ويغفلون
عن محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع المعتلة من الجسد العقل
اقوى الحكمة والادب من الجسد الى الطعام والشراب الظرف فطنة

مازجها عبارة مع حذر وتوقي شر العيوب ما كان مظنة العيوب
وشر العيوب ما كان علة للذنوب عامة الاشرار من خالطهم
لا يسلم منهم ومن تركهم لا يصرفون عنه شرهم واما الاخيار فمن خالطهم
ربح عليهم ومن خالفهم ترك رشده فما عد من اهل الحجى من كان
من اهل الهوى ولا من اهل التقى من حاد عن سبيل الهدى الحكمة
ربيع القلوب الخصومة تكشف العورة وتورث المعرة
قد يكون اليأس ادراكا اذا كان الطمع هلاكا لا تغتر بقول
الجاهل ان في يديك لؤلؤة وانت تعلم انها جلجلة فالكريم لا يستحيي
من اعطاء القليل من اعظم الناس محنة من قل ماله وكثر مجده الكرم
حسن العطية والعفاف زينة الفقر واللوم سوء التعامل والطمع
العيوب تجمع وهو زمام يقاد به الى كل سوء ليست البركة من الكثرة
لكن الكثرة من البركة قيل لحكيم ما لكم لا تعاقبون الجهال قال لانا
لا نزيد من العميان انه يبصر ومن بذر عداوة حصد ندامة اياكم
وطلب الامور بغير وجهها فيعييكم طلبها ولا تدركوا حظا
منها قيل لحكيم اخرج الهم من قلبك قال ليس باذني دخل من اعتز
بحاله قصر في اختياله قال الشعبي رحمه الله ما رأيت الله سبحانه
وتعالى اعطى عباده اجل من العلم ما عتق من الذم من ملكه الجهل ولا اظفر
بالعز من احتمى في المعصية من الذل ولا اخرج عن الدنيا من جمع
عقله الى الدنيا حاول الامور بالنصفة وانا زعيم لك بالظفر
افسد الدين رجلان جاهل ناسك وعالم فاجر هذا يدعو الناس
الى جهله بنسكه وهذا ينفر الناس عن علمه بفسقه فمن لزم الصحة
والاستقامة لزمته الغبطة والسلامة العمل النافع بالرجل
المدبر كبها الياقوت واللؤلؤ في تيجان الملوك اذا صح القلب مع

الجليس الجرس الصغير والاثر الصغير وايضا العظيم من المصابيح المنير

مع العمل كان التوفيق والتوفيق خير قائد فبالتوفيق ادرك
من ترقى في استتمام الحظ ما ابتغى فلا تنظر الى الحد في الموضع الذي
رتبه فيه زمانه ولكن انظر اليه بقيمته في الحقيقة فانها مكانه
الطبيعي قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خمس من لم يكن فيه
فلا ترجه لشيء من امر الدنيا والاخرة من لم يعرف بالوثيقة في ارومته
والديانة في خلقه والكرم في طبعه والنبل في نفسه والتجافي
عند ربه فانظر كيف يكون ما قاله رضي الله عنه وفقا في التدبير
وكيف يكون جامعا في الموعظة لمن كان كريما بالطبع فاجتهد
ان تكون متعظا به وبما سبق من المواعظ والحكم والله تعالى
يهدي من يشاء الى صراط مستقيم **الباب الرابع** في ترك الخروج
عليهم روى البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه
قال بايعنا رسول الله صلعم فكان فيما اخذ علينا ان بايعنا
على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وان
لا ننازع الامر اهله الا ان تروا كفرا بواحا يكون عندكم فيه برهان
من الله ومنه قال ابن مسعود رضي الله عنه قال النبي صلعم
انكم سترون بعدي اثرة وامورا تنكرونها قالوا فما تأمرنا
يا رسول الله قال ادوا اليهم حقهم واسألوا الله حقكم ومن
ابي داود ويطلبون منكم ما لا يجب عليكم فاذا قالوا ذلك
فاعطوهم ولا تسبوهم ولتدعوا لهم قال صاحب الكشاف
في تفسير قوله تعالى قل اللهم مالك الملك وفي بعض الكتب انا الله
ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد
اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة
فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم وهو

معنى قوله عليه الصلوة والسلام كما تكونون يولى عليكم وقال
مالك بن دينار وفي بعض الكتب ابن آدم تدعو على من ظلمك
ويدعو عليك من ظلمته فان شئت اجبناك واجبنا عليك
وان شئت اخرت الامر الى يوم القيمة فيسعكم العفو فاذا
قال المظلوم في دعائه اللهم لا توفقه فقد دعا على نفسه وسائر
الرعية لانه من قلة توفيقه ظلمك ولو كان موفقا لما ظلمك وان
استجيب دعاؤك زاد ظلمه وقد روي عن السلف الصالحين
قولهم لو كانت لنا دعوة مستجابة ما جعلناها الا في السلطان
وروي عن الفضيل رحمه الله انه قال لو ظفرت ببيت المال
لاخذت من حلاله وصنعت اطيب الطعام ثم دعوت الصالحين
والفضلاء من الاخيار والابرار فاذا فرغوا قلت لهم تعالوا
ندع ربنا في ان يوفق سلطاننا وسائر من يلي علينا وجعل اليه
امرنا فكل عامل خير بل كل عاقل متمكن في مملكته ومن يأكل من بيوت
اموال المسلمين يفعل هكذا في كل يوم وروي ان رجلا من العقلاء
غصب بعض الولاة ضيعته فاستعدى عليه المنصور فقال
اصلحك الله اذكر لك حاجتي ام اضرب قبلها مثلا فقال
بل اضرب مثلك قال اصلحك الله ان الطفل الصغير اذا نابه
امر يكرهه فانما يفزع الى امه اذ لا يعرف غيرها فطانة منه انه
لا ناصر فوقها فاذا ترعرع واشتد فاوذي كان فراره وشكواه
الى ابيه لعلمه ان اباه اقوى من امه فاذا بلغ وصار رجلا وحزبه
امر شكا الى الوالي لعلمه بانه اقوى من ابيه فان زاد عقله واشتدت
شكيمته شكا الى السلطان لعلمه بانه اقوى ممن سواه فان لم ينصفه
السلطان شكا الى الله جل جلاله لعلمه بانه اقوى من السلطان

عامل مر

يقال استعداه اي استغاثه واستنصره منه

السلطان وقد نزلت بي نازلة وليس فوقك احد اقوى منك
الا الله تعالى فان انصفتني والا رفعت امري الى الله تعالى في الموسم
فاني متوجه الى بيته وحرمه اذ ليس فوقك احد الا الله تعالى
قال ننصفك وامر ان يكتب الى واليه وكان يقال لم انكرت
من زمانك فانما افسده عملك وقال واحد من العلماء
لم ازل اسمع الناس يقولون اعمالكم عمالكم كما تكونون يولى عليكم
حتى ظفرت بها في القرآن قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين
بعضا بما كانوا يكسبون وقال عبد الملك بن مروان انصفونا
يا معشر الرعية تريدون منا سيرة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
ولا تسيرون فينا وفي انفسكم بسيرتهما فنسال الله تعالى ان يعين
كلا على كل وقال قتادة اوحى الله تعالى الى بعض انبيائهم اذا استعملت
عليكم خياركم فقد رضيت عنكم واذا استعملت عليكم شراركم
فقد سخطت عليكم وقال عبيدة السلماني لعلي بن ابي طالب كرم الله
وجهه يا امير المؤمنين ما بال ابي بكر وعمر انطاع الناس لهما
والدنيا عليهما اضيق من شبر واتسعت عليهما ووليت انت
وعثمان الخلافة فلم يطاعوا لكما فصارت عليكما اضيق من شبر
فقال لان رعية ابي بكر وعمر كانوا مثلي ومثل عثمان ورعيتي
انا اليوم مثلك وشبهك وكتب واحد من هؤلاء الكبار
في جواب مكتوب بلغني كتابك تذكر ما انتم فيه وليس ينبغي
لمن يعمل بالمعصية ان ينكر العقوبة وما ارى ما انتم عليه الا من شؤم
الذنب والسلام **فصل** في بيان الخصلة التي بها تصلح الرعية
فاقوى خصال السلطان اثرا في تمسكهم باديانهم وحفظهم وانما
اصلاح السلطان نفسه وتنزيهه عن سفساف الاخلاق [illegible]

ردّ ضيعته اليه صح

عاملكم

عن اصحابه وترفيعه نفسه عن استصحابهم وقرّب اصحابه اهل البطالة
والمجون واللعب واللهو وقد كان اطلق السنة الخلق
بالثناء القبيح على نفس الخليفة الامين لصحبته بابي نواس فكانت
وصمة عظيمة عليه حتى تغيرت عليه نفوس الخلق وتنكرت
عليه وجوه الورى فمتى اراد السلطان اصلاح رعيته وهو
متماد على الاخلاق المنعكسة من اصحاب سفساف الاخلاق
كان كمن اراد استقامة الجسم مع عدم صحة راسه وكمن اراد
تقويم الظل مع اعوجاج الشخص وكيف يجيء النون مع فساد
الماء قال بعض الحكماء بم ينتقم الانسان من عدوه قال باصلاح
نفسه وقديما قيل من اصلح نفسه ارغم انف اعاديه ومن اعمل
جده بلغ كنه امانيه فصحبة الاشرار والاسافل تورث
الشر كالريح اذا مرت على النتن حملت نتنا واذا مرت
على الطيب حملت طيبا وكلكم مسئول عن رعيته فمحال ان تصلح
رعيتك وانت مع المفسدين وارشادهم وانت مع
الغاوين وهدايتهم وانت مع الضالين وقد سبق المثل
ومن العجايب اعمش كحال والعرب يقول يا طبيب طب نفسك
وكيف يقلد الاعمى على انه يهدي والفقير على انه يغني والذليل
على انه يعز قيل لن يبلغ الف رجل في اصلاح رجل واحد بحسن القول
دون حسن الفعل ما يبلغ رجل واحد في اصلاح الف رجل بحسن الفعل
دون القول ولكن اقوى الاسباب في صلاحهم عند فوت
صلاحه استعمال اولي الامر والوكلاء عليهم الخاصة من ذوي
الاحلام الراجحة والمروات القائمة فهو الطريق الى حفظ اديانهم
ومرواتهم وتماسكهم عن الانهماك في المحظورات وملابسة

فكلكم راع

المحارم وتلك خلتان في السلطان اقرب الى اصلاح الرعية
منهما انفة الراي وشدة الرحمة وما احق السلطان ان يسلك
بالرعية كل مسلك يصلحون عليه ويسودون معه فحينئذ يكون
رئيس الرؤساء واميرا على السادة الفضلاء واذا اهملهم فحكموا
شهواتهم وتوسط لذاتهم ذهبت اديانهم وسقطت مرواتهم
وبقوا في الجماعة المذمومة كما جاء المثل تقول العرب في قوم لا ارباب لهم
فيهم ولا سراة بينهم هم سواسية كاسنان المشط ولان تكون
اميرا على الفضلاء والرؤساء خير من ان تكون اميرا على الرعاة
والذباب وقد قال عبد الملك بن مروان يوما وقد استقام
له الامر من يعذرني من عبد الله بن عمر فانه ابى ان يدخل في سلكي
فقال بعض جلسائه تستحضره وتضرب عنقه وتستريح منه فقال
له عبد الملك ويلك انه قتلت ابن عمر فعلى من اكون اميرا قيل
للاسكندر استصلح الرعية واذهب شرارهم تكن رئيسا
للاخيار محمودين ولا تكن رئيسا للاشرار مذمومين فتكون
كراعي البقر ولما استولى تبع على ملك الهند بغير طاعة قال
له قد وهبتك لقومك ووهبتهم لك فانزلهم منازلهم
وبلغهم مراتبهم فكل امة لم تبلغ مراتبها وعلت صدورها [illegible]
قلوبها فاستحقت فتكها وهانت عليها اعمارها وملكت
امورها شرارها وانت تعلم بهم من اطناب المملكة وقواعدها
انه لا يسلب عمن يستحق الرياسة رياسته ويلقى على كل
ذي عزة وينزل كل ذي منزلة منزلته فحينئذ تامن من نوائب
الاعداء التي هي نتايج الضغائن والاحقاد واعلم ان الرعية
اذا قدرت ان تقول قدرت على ان تفعل فاجهد ان لا تقول

تسلم من انه تفعل يعني اذا عدلت لم يتكلموا بشي وما احسن ما قال
عبد الملك بن مروان يا اهل الشام انما انا لكم كالظليم الرحي
على فراخه ينفي عنهم القذر ويباعد عنهم الحجر ويكنهم من المطر ويحميهم
من الضباب ويحرسهم من الذئاب ويا اهل الشام انتم
العدة والحذا وانتم الجنة والرداء ويروى انه سليما مولى زياد
فخر بزياد عند معاوية رضي الله عنه فقال معاوية اسكت
فما ادرك صاحبك بسيفه الا ادركت اكثر منه بلساني
فصل في بيان سيرة السلطان مع الجند اعلم انه الجند
عدد الملك وحصونه ومعاقله واوتاده وهم حماة البيضة
والذابون عن الحرمة والدافعون عن العورة وهم جنن الثغور
وحراس الابواب والعدة للحوادث وامداد المسلمين
فينبغي للملك ان يتفقد جنوده كتفقد صاحب البستان بستانه
ويقلع العشب الذي لا ينفعه ومع ذلك يضر بالنبات
النافع فهو بالقلع اجدر ولا يستصلح الجند الا بادرار ارزاقهم
وسد حاجاتهم والمكافاة لهم على قدر عنائهم وبلائهم قال
بعض الملوك لابنه في نصيحة له لا توسعن على جنودك فيستغنوا
عنك ولا تضيق عليهم فيضجوا منك واعطهم عطاء
قصدا وامنعهم منعا جميلا ووسع عليهم في الرجاء ولا توسع عليهم
في العطاء ولما افضى الامر الى ابي جعفر المنصور انفذ جيشا وقال
لقواده سيروا على هذه السيرة ثم قال صدق الاعرابي
في قوله اجع كلبك يتبعك فقام ابو العباس الطوسي فقال
يا امير المؤمنين اخاف انه يلوح له غيرك برغيف فيتبعه
ويدعك فالسمن الى عدم القدرة على الحركة مضر كما انه الجوع المفرط

والظليم الذكر من النعام
فالموسر

المفرط مضر فعليك بميزانه العدل وكان بعض سلاطين الموب
يسير يوما وبين يديه الوزعة اذ نظر الى جماعة من التي رفعك
لوزيره الحب انه اريك ثلاث طوايف طائفة لهم الدنيا
والآخرة وطائفة لهم دنيا بلا آخرة وطائفة لا دنيا لهم ولا آخرة
فقال وكيف ذلك ايها الملك فقال اما الذين لهم الدنيا
والآخرة فهؤلاء التجار يكتسبون اقواتهم من الحلال ويصلون
صلواتهم ولا يؤذون احدا واما الذين لا دنيا لهم ولا آخرة
فهؤلاء الشرطة والاعوان الذين بين ايدينا واما الذين لهم
الدنيا بلا آخرة فانا وانت وساير السلاطين الذين اتبعوا
الشهوات وتركوا العدل فخرجوا عن الصراط المستقيم فيحق على جميع
الوزراء انه يبدؤا السلطان بالمناصحات ويحثوه بالدعوات
ويعينوه في سائر المحاورات والمحاولات ويكونوا له اعينا
ناظرة وايدي باطشة وجننا واقية والسنة ناطقة وقوادم
تنهضه وقوائم تقله ولما حج هرون الرشيد لقيه عبيد الله العمري
في الطواف فقال له يا هرون قال لبيك يا عم قال كم ترى
ههنا من خلق قال لا يحصيهم الا الله سبحانه وتعالى فقال اعلم
ايها الرجل انه كل واحد منهم يسأل عن خاصية نفسه وانت
وحدك تسأل عنهم فانظر كيف تكون فبكى هرون فجعلوا يعطونه
منديلا للدموع ويقال انه هرون كان يقول والله اني لاحب
انه احج في كل سنة وما يمنعني الا رجل من ولد عمر يسمعني ما اكره
وروي عن عبد الملك بن مروان انه لما ولي الخلافة اخذ
المصحف ووضعه في حجره وقال هذا فراق بيني وبينك والحاصل
انه وجود السلطان في الارض نعمة على عباد الله تعالى من جهة

فشكر هذه النعمة لازم وواجب على كل مسلم بالدعاء له
في اكثر الاوقات وباطاعته ونصحه ودلالته على الخير ان كان
ذلك المسلم اهلا لذلك وذلك لا يصلح الا باصلاح
نفسه اولا بالعلم والديانة والتقوى وينبغي للسلطان
ان يستمر على فطرته الاصلية فيلازم العدل والاحسان
ويتضرع الى الله سبحانه وتعالى في الصباح والمساء ويدعو بالادعية
المأثورة وفي احياء العلوم قال رسول الله صلعم يا فاطمة
ما يمنعك ان تسمعي ما اوصيك به ان تقولي يا حي يا قيوم
برحمتك استغيث لا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح
لي شاني كله وفيه ايضا دعاء ابي بكر الصديق رضي الله عنه
علم رسول الله صلعم ابا بكر الصديق رضي الله عنه ان يقول
اللهم اسالك بمحمد نبيك وابرهيم خليلك وموسى كليمك
وعيسى نجيك وروحك وبتورية موسى وانجيل عيسى وزبور
داود وفرقان محمد صلى الله عليه وسلم وبكل وحي اوحيته
وبكل قضاء قضيته او سائل اعطيته او غني افقرته او فقير
اغنيته او ضال هديته واسالك باسمك الذي انزلت
به ارزاق العباد واسالك باسمك الذي وضعته
على الارض فاستقرت واسالك باسمك الذي وضعته
على السموات فاستقلت واسالك باسمك الذي وضعته
على الجبال فرست واسالك باسمك الذي استقر به
عرشك واسالك باسمك الطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر
المنزل في كتابك من لدنك من النور المبين واسالك باسمك
الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فاظلم وبعظمتك

وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك ان ترزقني القرآن
والعلم وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري وتستعمل به جسدي بحولك
وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بك يا ارحم الراحمين
الباب الحادي عشر
في دفعهم عن الظلم بالتي هي احسن اعلم ان الظلم قبيح عقلا وشرعا
فما كان قبيحا في نفس الامر يكون سيئ العاقبة فهو سيئ العاقبة
البتة قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الظالمون وقال تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون
وقال تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون
فالكفر موقوف على خلاف العقيدة وقال تعالى ولا تحسبن الله
غافلا عما يعمل الظالمون وروى مسلم في الصحيح عن النبي صلى الله
عليه وسلم فيما يروي عن ربه سبحانه انه قال اني حرمت
الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال
الا من هديته فاستهدوني اهدكم يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته
فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني
اكسكم يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب
جميعا فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري
فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو ان اولكم وآخركم
وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد ما زاد
ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم
كانوا على افجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا
يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد
واحد فسالوني فاعطيت كل انسان مسالته ما نقص ذلك
مما عندي شيئا الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر يا عبادي انما هي

وروى البخاري في صحيحه اني قد حرمت الظلم على نفسي
وعلى عبادي الا فلا تظالموا الا حرف تخفيف تظالموا
بفتح التاء اصله تتظالموا والظلم هو التصرف في ملك
الغير او مجاوزة الحد وهذا محال في حق الله تعالى
لان العالم كله ملكه وانه الغني المقدس والمتعالي
عن الظلم منه

فان قيل الحديث ينافي قوله عليه السلام كل مولود
يولد على الفطرة اجيب بان المراد في الحديث وصفهم
بما كانوا عليه قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم
لا انهم خلقوا على الضلالة ويجوز ان يكون معناه
كلهم ولدوا على الفطرة ثم صاروا ضلالا الا من
هداه الله بابقائه على الفطرة قال ابن الملك والاوجه
ان يراد انهم بعد ما كانوا على الفطرة لو تركوا وما في طباعهم
من الشهوات واهمال النظر لضلوا منه

واعلم ان التشبيه ليس في النقصان لان ما عند الله تعالى
لا ينقص اصلا وادخال المخيط البحر لا يخلو عن نقص بل
في عدم اطلاق النقص عليه عرفا وانما ضرب
المثل به تقريبا الى الافهام اولعل انه
من باب الفرض منه

اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد
غير ذلك فلا يلومن الا نفسه وقال علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه يوم العدل على الظالم اشد من يوم الجور على المظلوم وقال
وهب بن منبه اوحى الله تعالى الى داود اذا لم تكن ظالما فلا تصحب
الظالمين فتهون في عيني وقال الشعبي دخلت على يزيد بن
هبيرة فوالله لقد اردت كلمة ارضي بها اميري ولا اسخط
خالقي فما قدرت عليها وروي ان مالك بن دينار دخل
على بلال بن ابي بردة فقال له بلال ادع الله لي يا ابا يحيى قال
وما ينفعك دعائي وبالباب مائتان يدعون عليك الله
ومثل ذلك قول سليمان بن عبد الملك لابي حازم ادع الله لي
فقال انا ادعو الله لك ههنا ومظلوم بالباب يدعو الله
عليك فاي الدعوتين احق بالاجابة وروي ان انوشروان
كان له معلم حسن التاديب فعلمه حتى فاق في العلوم فضربه المعلم
يوما من غير ذنب فاوجعه فحقد انوشروان عليه فلما ولي الملك
قال له ما حملك على ضربي يوم كذا وكذا ظلما قال لما رايتك
ترغب في العلم رجوت لك الملك بعد ابيك فاحببت
ان اذيقك طعم الظلم لئلا تظلم اذا وليت وفي التفسير الكبير واعلم
ان الواجبات على قسمين حقوق الله تعالى وحقوق العباد
وحقوق الله تعالى مبناها على المسامحة لانه تعالى غني عن العالمين
اما حقوق العباد فهي التي يجب الاحتراز عنها روي ان ابا حنيفة
رضي الله عنه كان له على بعض المجوس مال فذهب الى داره
ليطالبه به فلما وصل الى باب داره وقع نعله على نجاسة فنفض
نعله فارتفعت النجاسة عن نعله ووقعت على حائط دار المجوسي

المجوسي فتحير ابو حنيفة رحمه الله وقال انه تركتها كان ذلك
شينا يقبح جدار ذلك المجوسي وان حككتها انحدر التراب
من الحائط فدق الباب فخرجت الجارية فقال لها قولي
لمولاك ان ابا حنيفة بالباب فخرج اليه وظن انه يطالبه
بالمال واخذ يعتذر فقال ابو حنيفة رضي الله عنه ههنا ما هو اولى
وذكر قصة الجدار وانه كيف السبيل الى تطهيره فقال المجوسي
فانا ابدا بتطهير نفسي فاسلم في الحال والنكتة فيه ان ابا حنيفة
رضي الله عنه لما احترز عن ظلم ذلك المجوسي في ذلك القدر القليل
من الظلم فلاجل تركه ذلك انتقل المجوسي من الكفر الى الايمان فمن
احترز عن الظلم كيف يكون حاله عند الله تعالى انتهى فانظر كيف
يتحاشى من كان صاحب المذهب عن الظلم وكيف يلزم التنحي
عن الظلم فكن على بصيرة وقال عمرو بن دينار نادى رجل من بني
اسرائيل من رآني فلا يظلمن احدا فسئل عن حاله فقال كنت اسير
على شاطئ البحر في بعض سواحل الشام اذ مررت بنبطي قد صاد
سبعة انوان فاخذت منها نونا وهو كاره بعد ان ضربت راسه
فعض النون ابهامي عضة شديدة فوقعت الاكلة في الابهام فاتفقت
الاطباء على قطعه فقطع فوقعت في الكف ثم في الساعد ثم في العضد
فمن رآني فلا يظلمن احدا فخرجت اسيح في البلاد وانا اريد قطع
العضد اذ رفعت لي شجرة فاويت الى ظلها فنعست فقيل لي
في المنام لاي شيء تقطع اعضاءك رد الحق الى اهله فجئت الصياد
فقلت يا عبد الله انا مملوكك فاعتقني فقال ما اعرفك
فاخبرته فبكى وتضرع وقال انت في حل فلما قالها تناثر الدود
من عضدي وسكن الوجع فقلت له بماذا دعوت علي قال لما ضربت

راسي واخذت السمكة مني نظرت الى السماء وبكيت وقلت
يا رب اشهد انك عدل تحب العدل وهذا منك عدل
وانت حق تحق الحق وهذا منك حق خلقتني وخلقته وجعلته قويا
وجعلتني ضعيفا فاسألك بالذي خلقني وخلقه ان تجعله عبرة
لخلقك فاذا عرفت هذا فاعلم انك اذا فعلت باحد
مكروها او سعيت سعاية الى سلطان او الى ذي مكنة فذلك
ظلم يحتاج الى توبة فادع الله تعالى واستغفر له واذا سمعت من احد
مكروها فلا تبادر الى اجازته قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم
فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم
نادمين والسعاية الى سلطان او ذي مكنة اشد فسادا من فعل
المكروه فهي المهلكة لانها تجمع مذمة الغيبة ولؤم النميمة والتغرير
بالنفوس والاموال والقدح في المنازل والاحوال وتسلب
العزيز عزه وتحط المكين عن مكانه والسيد عن مرتبته فكم من دم
اراقه سعي ساع وكم من حريم استبيح بنميمة باغ وكم من صفيين تقاطعا
وكم من محبين تباغضا وكم من متواصلين تباعدا وكم من الفين تهاجرا
وكم من زوجين افترقا فليتق الله ربه رجل ساعدته الايام وتراخت
عنه الاقدار ان يصغي لساع او يسمع من نمام وقال كعب اصاب
الناس قحط شديد على عهد موسى عليه السلام فخرج موسى يستسقي
ببني اسرائيل فلم يسقوا ثم خرج فلم يسقوا ثم خرج الثالثة فاوحى
الله اليه اني لا استجيب لك ولا لمن معك فان فيكم نماما
قال موسى عليه السلام يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فاوحى
الله تعالى اليه يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا
فارسل الله عليهم الغيث قيل ومعنى المثلث السعاية فيما قيل من انه

من انه ابغض الناس الى الله المثلث قال الاصمعي انه الرجل
يسعى باخيه عند الامام فيهلك نفسه واخاه وامامه وروي
انه ساعيا سعى برجل الى الفضل بن سهل فوقع على ظهر كتابه
نحن نرى ان قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة
والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن قبل واجاز لانه
من فعل شر محض قال قيل احذروا اعداء العقول ولصوص المودات
وهم السعاة والنمامون اذا سرق اللصوص المتاع سرقوهم
المودات وقيل اياك والسعاة فانهم اعداء عقلك
ولصوص عملك يفرقون بين قولك وفعلك وفي المثل
السائر من اطاع الواشين ضيع الصديق فالعاقل يبعد عنه كلما كان
قوله او فعله سببا للظلم وفيما من الاقتصاص خرج البخاري عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت
لاخيه مظلمة فليتحلل منها فانه ليس ثمة دينار ولا درهم
من قبل ان يؤخذ من حسناته لاخيه فان لم يكن له حسنات
اخذ من سيئات اخيه فزيدت عليه فان قيل يعارضه
قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فكيف يؤخذ الظالم
بذنب اقترفه المظلوم قلنا معنى الآية انه لا يعاقب احد بذنب
احد ابتداء واما في مسألتنا فمظلمته بقيت عنده وليس له وفاء
فهو الذي اكتسب هذا الوزر وهو معنى قوله تعالى وليحملن اثقالهم
واثقالا مع اثقالهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
قبل موته من كانت له عندي مظلمة فليات حتى اقتصه فقام
سواد بن عزية فقال يا رسول الله انك ضربتني على بطني
ليلة العقبة فاوجعتني فقال النبي صلعم دونك فاقتص فقال

يا رسول الله انك ضربتني وانا مكشوف البطن فكشف
النبي صلى الله عليه وسلم بطنه فاكب عليه يقبله فقال
رسول الله صلعم ما حملك على هذا فقال يا رسول الله
اردت ان يكون آخر عهدي بك ان اقبل بطنك فهذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه مع ان الله
تعالى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لعلمه ان الله تعالى لا يدع
القصاص في المظالم بين العباد ولان الله تعالى اعدل من ان يدع
مظلمة لاحد عند نبي ولا غيره وروى ابو سعيد ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة
بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم
في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي
نفس محمد بيده لاحدكم اهدى لمنزله في الجنة منه لمنزله في الدنيا
وفي صحيح مسلم روى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا من لا متاع له
ولا درهم فقال ان المفلس من امتي يأتي يوم القيمة بصلوة وزكوة
وصيام ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك
دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت
حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم وطرحت عليه
ثم القي في النار وقال مالك بلغني ان ابا بكر الصديق رضي
الله عنه لما ولي ضرب رجلا ثم ندم وقال ما لي ولهذا الا
رددتها عليهم فسمعته عائشة رضي الله عنها فارسلت الى عمر
رضي الله عنه فجاء عمر فقال اني ضربت رجلا وقد كنت معك
من هذا انه اضرب قال عمر كذلك الامام قال فما المخرج قال

قال انه يأتي الرجل فتساله ان يجعلك في حل فاتياه فاستحلاه
وكان عمر يقول رضي الله عنه انما ابعث امرائي ليعلموا الناس
دينهم ويقسمون بينهم فيئهم ويعدلون فيهم فمن ظلمه اميره فلا امرة
له عليه دوني حتى آخذ له بحقه فقال عمرو بن العاص يا امير
المؤمنين انه ادب رجل رجلا من رعيته يقتص له منه فقال عمر
انا اقتص منه وقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه
فدلت الآثار على ان الامير والمامور في الاقتصاص سواء
اذا جنى احدهما على الآخر وان الامير اذا ظلم المامور زال
تأمره عليه في ذلك المعنى وكان الامير في ذلك المعنى
كبعض المؤمنين عليه حتى يتحاكموا الى السلطان الاعظم فاذا
عرفت هذا فاعتبر ان امر الاقتصاص عظيم حتى انه يطوا الادمي
الى البهائم عميم واعلم ان السلطان متى كان على فطرته الاصلية
كمل فيه الخصال الحميدة والسير المستقيمة وملك نفسه وقهر
هواه ووضع الاشياء مواضعها فلم يظلم نفسه فضلا عن رعيته
روي ان الحجاج اخذ واحدا ليقتله فقال لاقتلنك قال
ولم قال بخروج اخيك علي قال ان معي كتاب امير المؤمنين
انه لا تاخذني بذنب اخي قال هاته قال فانه معي اوكد منه
قال الله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فتعجب من جوابه وخلى
سبيله وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب
الى عمرو بن العاص كن لرعيتك كما تحب ان يكون لك
اميرك والسلام ففي هذا ما يهذب النفوس ويؤدب
ذوي العقول بالنصوص ويهدي الى الصواب ويوضح طريق
الرشاد

الباب السادس

في الصلوة خلفهم والاقتداء بهم

اعلم وفقك الله تعالى وايانا انه ما شرطه الجمهور للامام من
الاسلام والذكورة والورع والعلم بالمصالح الدينية والكفاية
وكونه ذا رأي وشجاعة كي لا يجبن عن الاقتصاص واقامة
الحدود والحروب الواجبة وتجهيز الجيوش ولا يشترط كونه
معصوما خلافا للروافض ويجوز تفويض مقتضيات
الشجاعة والحكم الى غيره وان يحكم هو بالاستفتاء من العلماء
وليست العدالة شرطا عند الحنفية للصحة وقالوا يجب
ان يدعى له بالصلاح ونحوه من العدالة ويمنع من الخروج عليه
وكلمتهم قاطبة في بيانه وجهه ان الصحابة رضوان الله
عليهم اجمعين صلوا خلف بعض بني امية وقبلوا الولاية
عنهم فقد صلى غير واحد من الصحابة خلف مروان بن الحكم
وروى البخاري عن عبد الكريم البكار قال ادركت عشرة
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يصلي خلف ائمة الجور
فالافضلية ليست شرطا لصحة ولاية الامامة فمن
يتوليها وانما هي شرط الكمال وتجب طاعة الامام عادلا
كان او جائرا اذا لم يخالف الشرع لحديث مسلم من خرج من الطاعة
وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية وحديث الصحيحين
من كره من اميره شيئا فليصبر فانه من خرج من السلطان
شبرا مات ميتة جاهلية وحديث مسلم من ولي عليه وال
يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتيه من معصية الله
ولا ينزعن يدا من طاعة واما اذا خالف الشرع فلا طاعة
لمخلوق في معصية الله عز وجل وفي التاتارخانية قال
علماؤنا رحمهم الله يصير الامير سلطانا بامرين بالمبايعة معه ويعتبر

في المبايعة معه مبايعة اشرافهم واعيانهم والثاني ان ينفذ
حكمه فيعجزه عن قهرهم لا يصير سلطانا بالمبايعة وحدها وقال ايضا
وفي جامع الجوامع قال عليه الصلوة والسلام السلطان ظل
الله في الارض يأوي اليه كل مظلوم وانه افضل من نوافل العباد
اجماعا لكونه خليفة في الارض ولا منزلة ولا رتبة فوق هذا
العموم وينبغي ان يكون الامير قويا في ملكه وسلطانا عادلا
بين رعيته واعوانه عالما بامور الدين مقتفيا اثر رسول الله
الامين مطيعا لرب العالمين ومختارا رضا الله تعالى مشفقا
على رعيته يسمع كلام المظلوم حق استماعه ويدفع الظلم عنه
قدر الاستطاعة يجاهد في سبيل الله حق جهاده ويسعى في اعلاء
كلمة الله العليا مستوفيا اجر الجهاد والمجاهدين بنفسه ولا يرضى
ان يذلهم احد من خواصه لانهم خواص حضرة الله العليا باعوا
انفسهم عن الله بفردوسه الاعلى فغير خليفة الله لا يعرف قدرهم
بان يعفو ويقبل عذرهم قال محمد رحمه الله وينبغي للامام ان يؤمر
على الجيش افضلهم واعلمهم بامر الحرب واعدلهم في القسمة لا يجور
على بعضهم ويكون رفيقا حتى لا يقحمهم في المهالك وينبغي ان يكون
عدله بلا غرض وفضله بلا عوض انتهى ويجب ان يوجد في السلطان
عدة صفات الاول علو الهمة وهو انما يحصل بتهذيب الاخلاق
والثاني اصابة الرأي في الفكرة وهي بكثرة التجربة مع جودة الفكرة
والثالث قوة العزيمة والثبات وتسمى بعزم الملوك والرجال
وهي الاصل في اكتساب جميع الخيرات والفضائل والرابع الصبر
على مقاسات الشدائد فانه الصبر مفتاح الفرج والخامس ان يكون
كريما لا ينظر الى الدنيا وما فيها اذ الذهب والفضة من احجار الكرك

ولا شك ان المطلوب اعلى مرتبة من الطالب فلو كان
محبة الذهب والفضة غالبة على قلبه لكان اشرف الاعضا
اخس من اخس المركبات وذلك بعد عن ذروة الكمال
ووقوع في حضيض النقصان والسادس انه يكون فكره غالبا
على قوله وفعله ولا يقنع بمبادي الامور فلا بد انه يكون جل
افعال الملوك على وفق العقل ومقتضى الحكمة بالمشاورة
والسابع انه يكون معجلا في العفو مماطلا في العقوبة كيلا يندم حين
مالم ينفعه الندم والثامن ان يكون شفيقا على الرعية وملازما
على طريق العدل والتاسع انه يكون مخالطته ومجالسته مع ذوي
العلم والتجارب لانه لكمال الضبط والسياسة بالتاثير
في الظاهر والباطن وهذا انما يحصل بذلك والعاشر انه يكون
متواضعا بحيث يقدر اصحاب الحاجات انه يعرضوا عليه المصالح
اما بوسط او بغير وسط وانه لا يكون حليما في الغاية بحيث
يتكلم كل احد معه مالا يعنيه وينبغي ايضا ان لا يرد الكلام بمجرد
انه قائله صاحب غرض اذ لكل قائل غرض فلعل فيه فائدة و
لا يقبل بمجرد انه له نفعا الا بعد التحري او المشاورة بمنزلة علم او لعل
عاقبته وخيمة فعلى اي حال يلزمه التردد في الرد والقبول وملازمة
التحري حتى يظهر ما فيه المصلحة فاذا تعارضت المصلحة والمفسدة
في قضية فلا بد ان ينظر الى الغالب فانه كان الغالب المصلحة لا يعتبر
بالمفسدة المرجوحة وانه كانت المفسدة راجحة فلا ينظر الى المصلحة
المرجوحة ولا بد انه يكون نظره دائما الى الراجح وهذا الذي ذكرناه
يبتني عليه اساس العدل الذي هو العمدة في السلطنة ونظام
المملكة ورد في الحديث النبوي عدل ساعة خير من عبادة ستة

سنة وسره انه نفع العبادة راجع الى العابد وحده ونفع العدل
عام ولانه العدل سبب الامن فيشتغل الخلق بعبادة
الخالق وللسلطان العادل نصيب من العبادات الواقعة
في مملكته ولهذا لحكم الدعاء على السلطان ويجب الدعاء له
بانه يطلب من الله تعالى انه يوفقه ويزيد في عدله فبيت العدل
محفوظ من كان فيه ومن كان يستظله ما دام قواعده محكمة
بالديانة والامانة والتعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلقه
بانه يرى للمخلوق خير الكما يرى لنفسه طلبا لرضى خالقه وانه لا يتجوز
انتظار ارباب الحاجات وانه لا يستغرق اوقاته في استيفاء
اللذات الجسمانية وانه يكون مدار اموره على الرفق وحسن
والمداراة لا على العنف والقهر فلا يطلب الحق في محالفة الحق
بل يسمع كلمة الحق والنصايح وان يفوض معظمات الامور
على اهلها قال الله تعالى ان الله يامركم انه تودوا الامانات
الى اهلها وانه يكون سياسته على وجه لا يكون مجال الظلم
لواحد من الظلمة عليه فكل ما يقع في المملكة يسال عنه يوم القيمة
لكونه بواسطة قصور سياسته فكلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته
اذ بالسياسة ضبط المملكة فلا بد ان يراعي بانواع التدبير
ما يكون من الحرف سبب انتظام المصالح الخمسة الضرورية
وهي مصلحة العقل والدين والنسل والمال والزوج وهذا
انما يكون من يد وزيره فلهذا لا بد للسلطان من وزير متدين
عاقل فانه الوزير اذا اصلح صلح الملك قال الله تعالى حكاية
عن موسى صلوات الله على نبينا وعليه واجعل لي وزيرا
من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري الاية

وقال عليه الصلوة والسلام اذا اراد الله بامير خيرا
جعل له وزير صدق ان نسى ذكره وان ذكر اعانه قيل الامين
من الوزراء من صحب الملوك بالصدق في المناصحة ومن صحبهم
بالمداراة والمداهنة فليس بامين لانه هو الحكم وهو الوكيل
بالامور فقط وقيل انما يقوم الدنيا باربعة بعدل الملوك
وبعلم العلماء وعبادة الصلحاء وسخاوة الاغنياء فالامام
العادل لا يرد دعوته روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ثلث لا يرد دعوتهم الامام العادل احدهم وقال صلى الله
عليه وسلم اقرب الناس مني مجلسا يوم القيمة امام عادل
اذ السلطنة والخلافة اذا كانت مع العدل تكون
من افضل العبادات وكيف لا يكون الخليفة كذلك
فما ظنك بمن يكون ظل الله في ارضه ونائب رسوله
والله يرزق من يشاء ويهدي اليه من ينيب

الباب السابع

في الجهاد ومعهم قال في الفتاوى الظهيرية في التحريض على الجهاد
روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد
جعل الله عز وجل ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار
الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش
فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ
اخواننا عنا انا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد
ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله تعالى انا ابلغهم عنكم فانزل
الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين وعن جابر بن عبد الله

عبد الله رضي الله عنه قال نظر الي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال مالي اراك مهتما قلت يا رسول الله
قتل ابي وترك دينا وعيالا فقال الا اخبرك ما كلم الله احدا قط
الا وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا اي مشافهة فقال
تمن يا عبد الله قال اتمنى ان احيى لاقاتل في سبيلك
فاقتل ثانيا فقال الله تبارك وتعالى قد سبق مني القضاء
انهم اليها لا يرجعون ولكني ابلغك الدرجة التي لاجلها تمنى
ما تتمنى قال يا رب فابلغ من ورائي فانزل الله تعالى ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله الاية وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
لوددت اني اقتل في سبيل الله فاقتل ثم احيى فاقتل ثم احيى
ثم اقتل وعن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يموت وله عند الله خير فيتمنى
الرجوع الى الدنيا وله الدنيا بما فيها الا الشهيد فانه يتمنى الرجوع
ليستشهد ثانيا من عظم ما ينال من الدرجة وعن الحسن رحمه الله
ان النبي عليه السلام بعث جيشا وفيهم ابن رواحة فغدا الجيش
واقام ابن رواحة ليشهد الصلوة مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما قضى صلوته راه فقال يا ابن رواحة الم تكن في
الجيش قال بلى ولكني احببت ان اشهد معك الصلوة وقد علمت
منزلهم فاروح فادركهم فقال والذي نفس محمد بيده لو انفقت ما في
الارض جميعا ما ادركت فضل غدوتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله عز وجل كلما سمع
هيعة طار اليها والهيعة الصيحة وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال من مات مرابطا مات شهيدا وعن مجاهد
قال اردت الجهاد فاخذ ابن عون بركابي فابيت ذلك
عليه فقال اتكره لي الاجر فقد بلغنا انه خادم المجاهدين في اهل
الدنيا بمنزلة جبرئيل في اهل السماء قال في التاتارخانية وفي الخانية
الحراسة بالليل عند الحاجة اليها افضل من صلوة الليل وقال
ايضا قال ابو الحسن الكرخي في مختصره ولا ينبغي ان يخلي ثغر من ثغور
المسلمين ممن يقاوم العدو في قتالهم وفي شرح الطحاوي وعلى
الامام ان يحصن ثغور المسلمين ويقعد جيوشا وجنودا على باب
الثغور ليمنعوا الكفار عن التصرف في بلاد المسلمين وان ضعف
اهل ثغر من الثغور عن المقاومة مع العدو وخيف عليهم فعلى من وراءهم
من المسلمين لان ينفروا اليهم الاقرب فالاقرب يمدونهم
بالكراع والسلاح ليكون الجهاد ابدا قائما والدعاء الى الله والى
دينه متصلا والجهاد فرض قائم الى قيام الساعة وقال ايضا
وفي الظهيرية وعن عبد الله بن ابي اوفى ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا لقي العدو وقبل ان يقابلهم قال اللهم انا عبادك وهم
عبادك نواصينا ونواصيهم بيدك اللهم اخذلهم وانصرنا عليهم
وقال ايضا وفي شرح الطحاوي وينبغي للامام اذا غزا ان يدعوهم
الى الاسلام او الامان فانه قبلوا ترك ما بهم وجعل اراضيهم
عشرية ديارهم بالتحول من دارهم الى دار الاسلام لان المقام
للمسلم في دار الحرب مكروه فانه امورهم كامور اعراب المسلمين
ليس لهم في الفيء ولا في الغنيمة ولا في الخمس ولا في بيت المال نصيب هذا
اذا كان مكانهم في دار الحرب ولو كان متصلا بدار الحرب
لا يؤمرون بالتحول هذا اذا قبلوا امر الامام وان ابوا دعاهم الى اعطاء

الجزية فاذا قبلوا الجزية صاروا اهل ذمة وان
ابوا استعان الله على قتالهم ويقاتلهم وقال ايضا في الفصل
الثالث في بيان من يجوز قتله من المشركين ومن لا يجوز قال ابو يوسف
سألت ابا حنيفة رحمه الله عن قتل النساء والصبيان والشيخ
الكبير الذي لا يطيق القتال والذين بهم زمانة لا يطيقون
القتال فنهى عن ذلك وكرهه وهذا الجواب في المرأة اذا كانت
لا تقاتل حقيقة فاما اذا كانت تقاتل حقيقة او كانت ذات رأي
تقاتل برأيها او كانت تجلب الناس للقتال بمالها تقتل
وكذلك اذا كانت ملكة تقاتل بقوة قومها وهذا الجواب
في الصبيان اذا كانوا يصلحون للقتال ولا يقدرون عند
التقاء الصفين ولا يكونون رؤس الجيش انتهى واما بيان
احكام اهل الذمة فروى عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن
الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى اهل الشام
بسم الله الرحمن الرحيم هذا لعبد الله عمر امير المؤمنين من نصارى
مدينة كذا وكذا انكم لما قدمتم علينا سالناكم الامان لانفسنا
وذرارينا واهل ملتنا انه لا نحدث في مدائننا ولا فيما حولها
ديرا ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة ولا نجدد ما خرب منها
ولا ما كان محيي منها في خطط المسلمين في ليل ولا نهار وان نوسع
ابوابها للمارة وابن السبيل وشرطنا لكم على انفسنا ان ننزل
من مر بنا من المسلمين ثلث ليال نطعمهم ولا نؤوي في كنائسنا
ولا في منازلنا جاسوسا ولا نكتم غشا للمسلمين ولا نعلم
اولادنا القرآن ولا نظهر شرعنا ولا ندعو اليه احدا ولا نمنع
احدا من قرابتنا الدخول في الاسلام ان اراده وان نوقر

المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا ارادوا الجلوس ولا نتشبه بهم
في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق
شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب بالسروج ولا نتقلد
بالسيوف ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتيمنا
بالعربية ولا نبيع الخمور وان نجز مقادم رؤوسنا ونلزم زينا
حيث ما كنا وان نشد الزنانير على اوساطنا وان لا نظهر
صليباتنا وكتبنا في طريق من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نضرب
بنواقيسنا في كنايسنا الا ضربا خفيفا ولا نرفع اصواتنا
بالقراءة في كنايسنا ولا في شيء من حضرة المسلمين ولا نخرج
شعانينا ولا باعوثنا ولا نرفع اصواتنا مع موتانا ولا نظهر
النيران في شيء من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نجاورهم
بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نطلع
على منازلهم فلما اتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالكتاب
زاد فيه ولا نضرب احدا من المسلمين شرطنا لك ذلك على انفسنا
واهل ملتنا وقبلنا عليها الامان فان نحن خالفنا في شيء مما شرطنا
لكم وضمناه على انفسنا فلا ذمة لنا وقد حل منا ما يحل من اهل
المعاندة والشقاق فكتب عمر رضي الله عنه ان امض ما سألوه
وزد فيه حرفين اشترطهما عليهم مع ما شرطوه على انفسهم لا يشترون
شيئا من سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده
وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لا تستعملوا اليهود
والنصارى فانهم اهل رشا ولا تحل الرشا وكما استعمل
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابا موسى الاشعري في البصرة وكان
عاملا عليها للحساب دخل على عمر وهو في المسجد واستأذن لكاتبه

وشعب جبل باليمن وهو ذو شعبين نزله
حسان بن عمرو الحميري وولده فنسبوا اليه
فمن كان بالكوفة منهم يقال لهم شعبيون
منهم عامر بن شراحيل الشعبي وعداده
في همدان ومن كان منهم بالشام
يقال لهم الشعبانيون ومن كان منهم
باليمن يقال لهم آل
ذي شعبين
كذا في الصحاح
وفي القاموس وشعبان قبيلة وموضع
بالشام وشهر معلوم
منه

لكاتبه وكان نصرانيا فقال عمر قاتلك الله وضرب فخذه وليت
ذميا على المسلمين اما سمعت الله تعالى يقول يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض
ومن يتولهم منكم فانه منهم الا اتخذت حنيفا فقال يا امير المؤمنين
لي كتابته وله دينه فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا اعزهم
اذ اذلهم الله ولا ادنيهم اذ اقصاهم الله وقال عمر ابن
اسيد اتى كتاب عمر بن عبد العزيز الى محمد بن المنتشر اما بعد
فانه بلغني ان في عملك رجلا يقال له حسان بن برزي
على غير دين الاسلام والله تعالى يقول يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا
اتاك كتابي فادع حسان بن برزي الى الاسلام فان اسلم
فهو منا ونحن منه وان ابى فلا تستعن به ولا باحد من غير الاسلام
على شيء من اعمال المسلمين فقرأ عليه الكتاب فاسلم وعلمه
الطهارة والصلوة فمتى لم ينقض الذمي العهد بمخالفة شيء من الشروط
المأخوذة عليه يرد الى مأمنه ولما خرج النبي صلى الله عليه وسلم
الى بدر تبعه رجل من المشركين فلحقه فقال اني اريد ان اتبعك
واصيب معك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال
فارجع فلن استعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة ففرح به اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم وكانت له قوة وجلد فقال جئتك لاتبعك
واصيب معك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع
فلن استعين بمشرك ثم لحقه على ظهر البيداء فقال له مثل
ذلك قال تؤمن بالله واليوم الآخر قال نعم فخرج به وهذا اصل عظيم

أهل

في انه لا يستعان بمشرك وقد خرج ليقاتل بين يدي
النبي صلى الله عليه وسلم ويراق دمه فكيف استعمالهم
على رقاب المسلمين واعلم ان لكل طائفة نوعا من التدبير
وصنفا من الحيلة وضربا من المكيدة وجنسا من اللقاء والكر
والفر وتعبية المواكب وحمل بعضهم على بعض فقال الله جل سلطانه
وعظم برهانه واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقوله جل شانه ما استطعتم
مشتمل على ما في مقدور البشر من العدة والعدة والآلة
والحيلة وفسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة فمر على اناس
يرمون فقال الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي وفي
الظهيرية ويكره للغزاة اتخاذ الاجراس في دار الحرب
لما روي عن كعب رضي الله عنه انه قال ما استنفر جيش
من المسلمين الا بعث الله ملكا ينادي في ظهورهم اللهم
اجعل ظهورها شديدة وحوافرها حديدة الا ذات الجرس وكان
بعض الصحابة اذا اراد الغزو لا يقصر اظفاره ويتركها عدة
ويراها قوة فاول ذلك ان يقدم بين يدي اللقا عملا صالحا
من صدقة او صيام او رد مظلمة وصلة رحم ودعا مخلص وامر
بمعروف وتغيير منكر وامثال ذلك فقد كان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يامر بذلك ويقول انما تقاتلون باعمالكم
وروي ان بريدا ورد عليه بفتح للمسلمين فقال له عمر رضي الله عنه
اي وقت لقيتم العدو قال غدوة قال ومتى انهزم قال
عند الزوال فقال رضي الله عنه انا لله وانا اليه راجعون وقام
الشرك للايمان من غدوة الى الزوال لقد احدثتم بعدي حدثا

حدثا او احدثت بعدكم حدثا واتثنى [?] كل الثناء في استحسان
القواد وانتخاب الامراء واصحاب الالوية فقد قيل اسد
يقود الف ثعلب خير من ثعلب يقود الف اسد والحرب
خدعة عند جميع العقلاء وفي الفتاوى الظهيرية وحكي عن نصر بن
سيار مقرب البرامكة الذي اخرجه ابو مسلم من مرو انه قال
اجتمع عظماء العجم على من كان صاحب جيش ينبغي ان يكون فيه
عشر خصال من خصال البهائم شجاعة كشجاعة الديك
وتحنن كتحنن الدجاجة يعني الشفقة على رعيته وقلب كقلب
الاسد وغارة كغارة الذئب وحملة كحملة الخنزير وصبر كصبر
الكلب على الجراح وحرص كحرص الكركي وروغان كروغان
الثعلب يعني الحيلة والمكر كحذر الغراب وسمن كسمن الدابة
التي لا ترى مهزولة ابدا واسمها بالفارسية برزخ انتهى
قال المهلب لما كتب اليه الحجاج معجلة في حرب الازارقة من البلاء
انه يكون الراي عند من يملكه لا عند من يبصره وقال المختار
ليزيد بن انس حين ولاه وامره بقتال الى عدوك
براي غير مستبد وبحزم غير متكل ولا تركنن الى الدولة فربما
انقلبت واستشر من لا يطمع في عملك ولا يشير بقتلك
واستخر الله تعالى قبل اقدامك توفق وقال بعض العلماء
قد جمع الله لنا ادب الحرب في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون
واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب
ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين واوصى اكثم قوما
في حرب ارادوها فقال اقلوا الخلاف على امرائكم واعلموا

وحذرهم

انه كثرة الصياح فشل ولا جماعة لمن اختلفت وتشتتوا فيه
احزم الفريقين الركين واعلم ارشدك الله تعالى انه
تعالى قد اوضح لنا في كتابه الكريم على التثبت والصبر وقلة
والفرار فقال عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله
ينصركم ويثبت اقدامكم يعني ان تنصروا دين الله ورسوله
والفرار فبغلبة المعاصي قال الله تعالى ان الذين تولوا منكم
يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد
عفى الله عنهم اي بشوم ذنوبهم وتركهم المركز الذي رسمه
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه رتب عليه الصلوة
والسلام الرماة يوم احد على ثلمة الجبل ليمنعوا قريشا
ان يخرجوا عليهم كمينا من ذلك الموضع ثم التقى المسلمون
والكفار فانهزم الكفار فقال الرماة لا تفوتنا الغنائم
فاقبلوا على الغنائم وتركوا المركز الاول فخرجت خيل المشركين
من هنالك واقبلوا على المسلمين فكانت مقتلة
احد واعلم ان للكثرة العجب وللقلة النصر قال تعالى ويوم
حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم
الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين فالكثرة ابدا يصحبها
الاعجاب وخير الاصحاب اربعة وخير السرايا اربعمائة
وخير الجيوش اربعة آلاف ولن يغلب جيش يبلغونه اثني
عشر الفا من قلة اذا اجتمعت كلمتهم ويروى انه واحدا من الملوك
اراد انه يبسط بساطا في الارض ثم جعل في وسطه دينارا ثم قال
لوجوه رجاله من اخذ منكم هذا الدينار ولم يطأ البساط علمت
انه يصلح للملك فوقفوا حوله ولا يصل احد اليه فلما اعياهم

اعياهم ذلك طوى ناحية البساط من عنده وامر كل واحد
منهم ان يطوي ما يليه حتى طوى البساط فمدوا ايديهم فلحقوا
الدينار فحينئذ قال لهم اذا اردتم فتح المدينة فخذوا
ما حولها من الحصون الصغار والمدن والضياع والقرى
حتى اذا ضعفت اخذتموها فاول الظفر الاجتماع واول
الخذلان الافتراق وعماد الجماعة السمع والطاعة قيل من
استضعف عدوه اغتر ومن اغتر ظفر به فمن احزم المكايد عدده صح
في الحرب اذكاء العيون واستطلاع الاخبار وافشاء
الغلبة واظهار السرور واماتة الخلف والاحتراس من العدو
وانه لا يخرج هارب الى قتال ولا يضيق امانه على سائر من
فاذا عرفت هذا فاعلم ان المتصرف الحقيقي هو الله تعالى
فالنصر منه فضل واحسان واما الخذلان فبشوم معصيتنا
قال الله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم
فمن ذا الذي ينصركم الاية وقال تعالى ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت اقدامكم فاللازم على المؤمن التوبة والرجوع الى الله
تعالى الكريم المتعال والدعاء والتضرع والابتهال في كل
الاحوال فاذا اكرمه ربه من فضله بنعمة النصر فله الشكر واذا
مسه الضر والسوء فلا يقنط من رحمته بل يرجو من فضله تعالى
قال الله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء الاية
وقال جل شانه ان مع العسر يسرا وقال الحسن رضي الله عنه
لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم ابشروا فقد
جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود رضي
الله عنه والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يغلب

عسر يسرين ومن عادة الله تعالى بمحض فضله الفرج بعد الشدة
فلا تكن من القانطين وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا
وينشر رحمته وهو الولي الحميد **الباب الثامن** في ادا العطا
اليهم اعلم ارشدك الله تعالى وايانا انه اول من اتخذ
الدواوين واجرى الاعطية على ما رأى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فكان يفضل اهل السابقة والذين يلونهم
وكان ابو بكر رضي الله عنه يسوي بين الناس في العطا
ولا يفضل اهل السابقة ويقول انما عملوا لله واجورهم
على الله وانما هذا المال عوض حاضر يأكله البر والفاجر
وليس ثمنا لاعمالهم وكان عمر رضي الله عنه يقول لا اجعل
من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولم يقدر عمر رضي الله عنه الا ازاد
في ولاية عمار فاجرى عمارا ستمائة درهم مع عطا لولاية
وكتابه ومؤنة من كان معه في كل شيء لما بعثه وبعث
معه عثمان بن حنيف وابن مسعود الى العراق واجرى
عليه في كل يوم نصف شاة ورأسها وجلدها واكارعها
ونصف جريب كل يوم واجرى على عثمان بن حنيف
ربع شاة وخمسة دراهم كل يوم مع عطائه وكان عطاؤه
خمسة آلاف درهم واجرى على عبد الله بن مسعود
مائة درهم في كل شهر وعشرة اجربة وانما فضل عمارا
عليهم لان عمارا كان على الصلاة وفي امر الكل وكان
عمر لا يفرض لصغير يرضع فاذا فطم فرض له فمر في الليل وصبي يبكي
ينبغي الرضاع وامه لا ترضعه فقال عمر ارضعيه قالت اذا

قالت اذا لا يفرض له عمر قال بل هو يفرض له ثم فرض عمر رضي
الله عنه بعد ذلك للمولود مائة درهم في السنة وقال ابن حبيب
وفرض عمر رضي الله عنه للعيالات لكل عيال من ذكر او انثى
جريبين من بر في كل شهر وقسطين من زيت والجريب
قفيز بالقرطبي والقسط قدر ثمن ربع الزيت بالقرطبي وقال
الحسن وقدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفد من اهل
البصرة من قبل ابي موسى الاشعري قال فكنا ندخل عليه وله
في كل يوم خبز ثلاث فربما وافقناها مأدومة بسمن واحيانا
بالزيت واحيانا باللبن وربما وافقنا القديد اليابس قد دق
ثم اغلي عليه بما وربما وافقنا اللحم الغريض وهو قليل فقال
لهم يوما اني ارى والله تعذيركم وكراهيتكم لطعامي ولو
شئت لكنت اطيبكم طعاما وارفقكم عيشا ولكني سمعت
الله تعالى يقول في كتابه وعير قوما بامر فعلوه فقال تعالى
اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فكلمنا
ابا موسى فقال لو كلمتم امير المؤمنين ليفرض لكم من بيت المال
طعاما تأكلونه فكلمناه فقال يا معشر الامراء اما ترضون
لانفسكم ما ارضاه لنفسي فقلنا يا امير المؤمنين ان المدينة
ارض العيش بها شديد ولا نرى طعامك يغنينا ولا يؤكل
طعامك وانا بارض ذات ريف وان اميرنا يغشى وان
طعامه يؤكل فنظر ساعة ثم رفع رأسه وقال قد فرضت
لكم من بيت المال شاتين وجريبين فاذا كان بالغداة
فضع احدى الشاتين على احد الجريبين وكل انت
واصحابك ثم ادع بشراب ثم اسق الذي عن شمالك ثم قم

الى حاجتك وآذا كان المساء فضع الشاة العابرة على
الجريب الآخر وكل انت واصحابك الا وان الناس
في بيوتهم واطعموا عيالهم والله ما ارى رستاقا يؤخذ منه
كل يوم شاتان وجريبان الا يسرع ان في خرابه وكان
عمر رضي الله عنه قد اطعم جريبين بالخل والزيت لثلاثين رجلا
فكفاهم ممن كان في الديوان وقال الربيع ابن زياد الحارثي
كنت عاملا لابي موسى الاشعري على البحرين فكتب اليه عمر بن
الخطاب يامره بالقدوم عليه هو وعماله وان يستخلفوا جميعا
فلما قدمت المدينة لبست جبة صوف ولففت
عمامة على راسي على غير استواء فدخلنا على عمر وصففنا
بين يديه فصعد فينا وصوب فلم تاخذ عينه غيري فدعاني
فقال من انت قلت الربيع ابن زياد الحارثي قال وما
من اعمالنا قلت البحرين قال وكم ترزق قلت الف قال
كثير فما تصنع بها قلت اتقوت ببعضها واعود على اقارب
لي فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين قال لا باس ارجع الى موضعك
فرجعت الى موضعي من الصف ثم صعد فينا وصوب فلم تقع
عينه الا علي فدعاني فقال لي كم سنك قلت خمس واربعون
قال الآن حين استحكمت ثم دعا بالطعام واصحابي
حديث عهدهم بلين العيش وقد تجوعنا له فاتى بخبز
واعضاء بعير فجعل اصحابي يعافون وجعلت اكل فاجيد وانا
انظر اليه يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة تمنيت اني سخت
في الارض ولا اقولها فقلت يا امير المؤمنين ان الناس
يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى طعام الين من هذا

من هذا فزجرني ثم قال كيف قلت قلت يا امير المؤمنين لو امرت
بقوتك من الطحين ان يخبز لك قبل ارادتك اياه وبطبخ
لك اللحم كذلك فيؤتى بالخبز لينا وباللحم غريضا فسكن غضبه
ثم قال ههنا غرت قلت نعم قال يا ربيع انا لو نشاء لملأنا
هذه الرحاب من صلائكم ولكني رايت الله تعالى عاب
على قوم في شهواتهم فقال عز من قائل اذهبتم طيباتكم في
حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ثم امر ابا موسى باقراري على عملي
وان يستبدل باصحابي وقال مالك كان عمر رضي الله عنه
يشاطر العمال فياخذ نصف اموالهم وشاطر ابا هريرة وابا
نتاجت وتجارات تداركت وانما شاطرهم حين ظهرت
لهم اموال بعد الولاية لم تكن تعرف لهم وشاطر سعد بن ابي
وقاص حين قدم من الكوفة كانه راى ان ما اصاب العامل
من غير رشوة وانه كان حلالا فلا يستحق ذلك لانه من المرتبة
الامرة قوة على ان ينال من الحلال ما لا ينال غيره فجعله
كالمضارب للمسلمين ولما دفع ابو موسى الاشعري مالا من بيت المال
لعبد الله وعبيد الله ابني عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالبصرة
اشتريا به بضاعة فربحا بالمدينة فاراد عمر انه ياخذ جميع
الربح فراجعه عبد الله فحكم بينهم بنصف الربح فاخذا النصف
الربح واخذ عمر نصف الربح لبيت المال وكتب عمر بن عبد العزيز
الى عماله اما بعد انما هلك من كان قبلكم بمنعهم الحق حتى يشترى
وبسطهم الباطل حتى يفتدى الملك بالدين يقوى والدين
بالملك يبقى وقال عتاب بن اسيد والله ما اصبت
في عملي الذي ولاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ثوبين

مقعدين كسوتهما مولاي وروي انه علي بن ابي طالب
رضي الله عنه استعمل ابا مسعود الانصاري على السواد
فرجع الى داره وقد امتلأت قال ما هؤلاء قالوا كذلك
يصنعون بالرجل اذا استعمل قال كل هؤلاء يريد ان ياكل
في امارتي فرجع الى علي رضي الله عنه وقال لا حاجة لي في العمل
وكان عمر رضي الله عنه يامر اذا اقدم عليه العمال انه يدخلوا
نهارا ولا يدخلوا ليلا كيلا يحجبون شيئا من الاموال اعلم
انه منزلة العمال من الوالي منزلة السلاح من المقاتل فاجهد
جهدك في صالح العمال واذا فقد الوالي عمال الصدق كان
كفقد المقاتل السلاح يوم الحرب ويحتاج الى طبقات الرجال
فكما يحتاج الحرب الى اصناف العدة والالات التي لا يسد
بعضها مكان بعض آخر كذلك الرجال للملك كالاداة
للصناع لا يسد بعضهم مكان بعض فمنهم للراي والمشورة
ومنهم لادارة الحرب ومنهم لمباشرة الحرب ومنهم لجمع
الاموال ومنهم لحفظها ومنهم للحجابة ومنهم للكتابة ومنهم
للفخر والجمال والمباهات والذكر ومنهم للدعاء والوقار
ومنهم للعلم والفتيا وحفظ اساس الملة فلا يقوم للملك ملك
ما لم يجمع هذه الطبقات فاذا عرفت بعض ما يلزمك من عمال
الصدق يلزمك ان تعرف المصارف اجمالا قال في الفتاوى
الظهيرية ثم اعلم بان جميع ما في بيت المال اربعة اقسام
الصدقات وما يضم اليها تصرف الى ما قال الله تعالى انما
الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها الآية
وسهم المؤلفة قلوبهم ساقط اليوم بحديث ابي بكر الصديق رضي

الله عنه والمؤلفة قلوبهم كانوا رؤساء القبائل منهم ابو سفيان بن
حرب والاقرع بن حابس وعلقمة بن علاثة وعيينة بن الحصين
الفزاري وعباس بن مرداس السلمي كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعطيهم ليؤلفهم على الاسلام والثاني الغنائم وتصرف
من الخمس الى اليتامى والمساكين وابن السبيل والثالث
الجزية والخراج ومال بني نجران وبني تغلب وما اخذه العاشر
من تجار اهل الحرب واهل الذمة يصرف الى ما فيه صلاح
دار الاسلام والمسلمين نحو سد الثغور والمقاتلة واجراتهم
وعطياتهم وسلاحهم وكراعهم ليقاتلوا اعداء الدين ويفتحوا
البلاد ويصرف الى عمارة الطريق اي اصلاح الطريق برفع الاحجار
وغير ذلك والى اصلاح القناطر وكري الانهار العظام التي فيها
مصالح المسلمين والى ارزاق الولاة والقضاة والمحتسبين و
والمعلمين والرابع ما اخذ من تركة الميت اذا مات بلا وارث
والباقي من فرض الزوج والزوجة اذا لم يترك سواه يصرف
الى نفقة المرضى وادويتهم وعلاجهم اذا كانوا فقراء والى نفقة اللقيط
وعقل جنايته والى نفقة من هو عاجز عن الكسب وليس له
من يقضي بنفقته عليه وابن السبيل هم القوم المجتازون
في مصر وقد قطع بهم وفي سبيل الله قيل طلبة العلم قال محمد
رحمه الله الاستقراض لابن السبيل خير من قبول الصدقة ولو
كان له كسوة شتاء ولا يحتاج اليها في الصيف لا يحل
له الزكوة عند ابي يوسف فعلى قياس هذا لا يحل له الزكوة اذا
كان له طعام سنة يبلغ نصابا وهذا خلاف المشهور انتهى
وقال في التاتارخانية وفي المضمرات ثم المؤلفة قلوبهم ثلثة

المفتين

اصناف صنف كان يؤلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليسلموا ويسلم قومهم باسلامهم وصنف منهم اسلموا فيريد
تقررهم وصنف منهم يعطيهم لدفع شرهم مثل عباس بن مرداس
وعلقمة بن علاثه واما الرقاب فالمراد منها المكاتبون
وقال ايضا في التاتارخانية يجب ان يعلم بان العاشر من ينصبه
الامام على الطريق لياخذ الصدقات من التجار فيامن بمقامه
في الطريق من شر اللصوص وقد صح ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم نصب عشارا وكذلك الخلفاء بعده وقال
في الفصل السابع عشر في المتفرقات عن ابي حنيفة رح في الحربي
المستامن اذا مر على العاشر اخذ منه العشر من جميع ما معه
كان للتجارة او لم يكن وروى عن ابن ابي مالك عن ابي يوسف
رحمه الله اذا كان ما معه للتجارة وابن سماعة عن محمد رحمه الله
في نوادره رجل اشترى عبدا بمائة درهم وقيمة العبد مائتا درهم
وهو يريد به التجارة فلما كان في آخر الحول صارت قيمته
ثلثمائة ثم استحق نصف العبد فعلى المشتري زكوة مائتي درهم
انتهى واما عشر الاراضي عشرية كانت او خراجية فيجب
عند ابي حنيفة رحمه الله في كل ما اخرجته الارض قل او كثر الا
الحطب والقصب والحشيش والتبن الا اذا اتخذ الارض
مقصبة وكل بلدة اسلم اهلها طوعا والمسلم اذا احيا
ارضا ميتة او فتحها الاسلام وقسمها بين الغانمين فهي عشرية
وكل بلدة فتحها الامام ومن على اهلها فهي خراجية والذمي
اذا اتخذ داره بستانا فهي خراجية والمسلم اذا احيى ارضا
ميتة تسقى من عين استخرجت بمال بيت المال فهي خراجية كلهم

اعلم انه سيرة السلطان في استجباء الخراج ان يامر جباة
الاموال بالرفق لان المال قوة السلطان وعمارة المملكة
ولقاحه الاعز وسياجة العدل وهو حصن السلطان ومادة
الملك والمال اقوى العدد على العدو وهو ذخيرة الملك
وعمارة المملكة وحياة الارض ومن حقه انه يؤخذ من حق ويوضع
في حق ويمنع عن سرف ولا يوخذ من الرعية الا ما فضل من معاشها
ومصالحها ثم ينفق ذلك في الوجوه التي يعود عليها نفعها
ويحرص كل الحرص على عمارة الارضين فمن فوق جباة الاموال
يحصل عمارة الارضين ولما عزل عثمان رضي الله عنه
عمرو بن العاص عن مصر استعمل عليها ابن ابي سرح فحمل من المال
اكثر مما كان يحمله عمرو فقال عثمان رضي الله عنه يا عمرو اشعرت
ان اللقاح درت فقال عمرو ذلك لانكم اعجفتم اولادها
وقال زياد اعينوا الى الزارعين فانكم لن تزالوا سمانا ما سمنوا
وفي منثور الحكم من جاوز الحلب حلب الدم فمن جمع المال
اكثر مما يلزمه على الرعية فهو كمن ينتف ريشه ويقص اصولها
فيا كل ما نعم منها فلذاذته ذلك واعجبه وحسب حسنه على طيبها
وقوته على عدوه فلم يزل كذلك حتى خفت ريشه وسقط
على الارض فاضطرب من الهوام والحشرات قيل كانت
ارض مصر ارضا مدبرة حتى ان الماء تجري من تحت منازلها
واقبيتها فيحبسوه كيف شاؤا وذلك قول فرعون
اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون
وكان ملك مصر عظيما لم يكن في الارض حينئذ ملك
اعظم منه وكان الجنان بحافتي النيل متصلة لا ينقطع منها

لقح الفحل الناقة القاحا احبلها فلقحت بالولد
بالبناء للمفعول على اصل الفعل ويقال ايضا
فلقحت لقحا من باب تعب في المطاوعة
فهي لاقح والملاقح الاناث الحوامل الواحدة
ملقحة اسم مفعول من القحها والاسم
اللقاح من المصباح
المنير

شئ عن شئ والزروع كذلك من اسوان الى رشيد وكانت
ارض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا لما دبروا في جسورها
وخلجانها والزروع ما بين الجبلين من اولها الى آخرها وذلك
قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم
ونعمة كانوا فيها فاكهين وقال عبد الله بن عمرو استعمل فرعون
هامان على حفر خليج سردوس فاخذ في حفره وتدبيره فجعل اهل
القرى يسألونه ان يجري الخليج تحت قريتهم ويعطوه مالا فكان
يذهب به من قرية الى قرية من المشرق الى الغرب ومن الشمال
الى القبلة ويسوقه كيف اراد فليس بمصر خليجا اكثر عطوفا منه
فاجتمع له في ذلك اموال عظيمة فحملها الى فرعون واخبره بالخبر
فقال فرعون انه ينبغي للسيد ان يعطف على عباده ويفيض
عليهم من خزائنه وذخائره ولا يرغب فيما بايديهم رد
على اهل القرى ما اخذت منهم فرد عليهم اموالهم فهذا مبشر من الكافر
عذاب الله تعالى ولا يؤمن بيوم الحساب فكيف يجب ان يكون
سيرة من يقول لا اله الا الله ويؤمن بالحساب والعقاب
والثواب فاذا عرفت هذا تعرف انه اذا ضعف المزارعون
عجزوا عن عمارة الارض فيتركونها فتخرب الارض وتهرب
الارزاق فتضعف العمارة فيضعف الخراج وينتج ذلك ضعف
الاجناد واذا ضعف الجند طمع الاعداء فاللازم للسلطان
ان يكون بما يبقى في ايدي رعيته افرح منه بما يؤخذ من الرعية
فلا يقل مع الصلاح شئ ولا يبقى مع الفساد شئ وصيانة القليل
تربية للجليل **واما المسلك الثاني** الذي هو التأويل لعلماء
الدين فنصيحتهم قبول ما رووه وتقليدهم في الاحكام واحسان

واحسان الظن بهم وهو على بابين **الباب الاول** في قبول ما
رووه وهو على فصول **الفصل الاول في بيان طبقات**
العلوم والعلماء اعلم ان اعظم الاشياء رتبة في حق المؤمن
السعادة الابدية وافضل الاشياء ما هو وسيلة اليها
ولا يتوصل الى ذلك الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل
ايضا الا بالعلم بكيفية العمل فاصل السعادة في الدنيا والآخرة
عند كل عاقل هو العلم فالعلم مطلوب لذاته فضيلة في ذاته
على الاطلاق من غير اضافة فانه وصف كمال الله تعالى شانه
وبه شرف الملائكة والانبياء عليهم السلام فهو اذا افضل
من الاعمال وكيف لا ويعرف فضيلة الشئ بشرف ثمرته
ومعلوم ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق
بافق الملائكة في العقبى ولزوم الاحترام في الطبايع السليمة المؤمنة
ونفوذ الحكم بدلالة الشرع على الملوك والامراء العظام
والوزراء الفخام وكيف لا والبس الله سبحانه وتعالى
عقول العلماء بالله خلعة رداء له كمية واحدة فظهر بهذا
فضيلة التعلم فان العلم اذا كان افضل الامور كان تعلمه
طلبا للافضل ثم تختلف العلوم وتتفاوت لا محالة فضائلها
بتفاوتها فان مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا
ولا نظام للدين الا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة
وهي الآلة الموصلة الى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلا
لا لمن اتخذها مستقرا وموطنا وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال
الانسان ولا اصول اعمالهم التي لا قوام للعالم دونها
اربعة الزراعة وهي للمطعم والحياكة وهي للملبس والبناء وهو

للمسكن و الرابع وهو اشرف الاصول السياسة وهي للتأليف
والاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة وضبطها
والسياسة في استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق
المنجي في الدنيا والآخرة على اربع طبقات الاولى وهي
العليا سياسة الانبياء صلوات الله عليهم وحكمهم على
الخاصة والعامة جميعا في ظاهرهم وباطنهم والثانية
سياسة الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على العامة
والخاصة جميعا على ظاهرهم والثالثة سياسة العلماء
بالله سبحانه وتعالى وبدينه الذين هم ورثة الانبياء
عليهم السلام وحكمهم على باطن الخاصة ولا يرتفع فهم العامة
الى الاستفادة منهم ولا ينتهي قوتهم الى التصرف في ظواهرهم
بالالزام والمنع والرابعة سياسة الوعاظ وحكمهم على بواطن
العوام واشرف هذه السياسات الاربع بعد النبوة العلم
وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة
وتعليمهم وارشادهم الى الاخلاق المحمودة وفي التفسير الكبير قال
بعض المحققين العلماء ثلثة عالم بالله غير عالم بامر الله وعالم
بامر الله غير عالم بالله وعالم بالله وبامر الله اما الاول
فهو عبد قد استولت المعرفة الالهية على قلبه فصار مشغولا
مستغرقا بمشاهدة نور الجلال وصفحات الكبرياء فلا يتفرغ
لتعلم علم الاحكام الا ما لا بد منه الثاني وهو الذي يكون
عالما بامر الله وغير عالم بالله وهم الذين عرفوا الحلال
والحرام وحقايق الاحكام لكنه لا يعرف اسرار جلال الله
تعالى واما العالم بالله وباحكام الله فهو جالس على الحد المشترك

المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات
فهو تارة مع الله بالحب له وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة
فاذا رجع من ربه الى الخلق صار معهم كواحد منهم كانه لا يعرف
الله واذا خلا بربه مشتغلا بذكره وخدمته فكانه لا يعرف
الخلق فهذا سبيل المرسلين والصديقين وهذا هو
المراد بقوله عليه الصلوة والسلام سائل العلماء وخالط
الحكماء وجالس الكبراء فالمراد من قوله عليه الصلوة والسلام
سائل العلماء اي العلماء بامر الله غير العالمين بالله فامر
بمسايلتهم عند الحاجة الى الاستفتاء منهم واما الحكماء فهم
العالمون بالله الذين لا يعلمون اوامر الله فامر بمخالطتهم
معهم واما الكبراء فهم العالمون بالله واحكام الله فامر
بمجالستهم لان في تلك المجالسة منافع الدنيا والآخرة
ثم قال شقيق البلخي لكل واحد من هؤلاء الثلثة ثلث علامات
اما العالم بامر الله فله ثلث علامات انه يكون ذاكرا باللسان
دون القلب وانه يكون خائفا من الخلق دون الرب
وانه يستحيي من الناس في الظاهر ولا يستحيي من الله في السر واما
العالم بالله فيكون ذاكرا خائفا مستحيا اما الذكر فذكر
القلب لا ذكر اللسان واما الخوف فخوف الرياء لا خوف
المعصية واما الحياء فحياء ما يخطر على القلب لا حياء
الظاهر واما العالم بالله وبامر الله فله ستة اشياء الثلثة
التي ذكرناها للعالم بالله فقط مع ثلثة اخرى كونه جالسا
على الحد المشترك بين علم الغيب وعلم الشهادة وكونه
معلما للقسمين الاولين وكونه بحيث يحتاج الفريقان الاولان

اليه وهو يستغني عنهما ثم قال مثل العلم بالله وبامر الله
كمثل الشمس لا يزيد ولا ينقص ومثل العلم بالله فقط كمثل
القمر يكمل تارة وينقص تارة اخرى ومثل العلم بامر الله
كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء لغيره انتهى وهكذا في التفسير
النيسابوري وقال بعده قال سفيان رحمه الله الناس
يقومون من مجلسي على ثلثة اصناف وذلك اني افسر
القرآن فاقول عن الله وعن الرسول فمن لا يصدقني فهو
كافر محض ومن ضاق قلبه منه فهو منافق ومن ندم على ما صنع
وعزم انه لا يذنب كان مؤمنا مخلصا انتهى ثم قال تعالى
وقل رب زدني علما وفيه اول دليل على نفاسة
العلم وعلو مرتبته وفرط محبة الله اياه حيث امر نبيه
صلى الله عليه وسلم بالازدياد منه خاصة دون غيره
قال قتادة لو اكتفى احد من العلم لاكتفى موسى صلوات الله
على نبينا وعليه ولم يقل هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت
رشدا كان سليمان عليه السلام من ملك الدنيا
ما كان حتى انه قال هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
انك انت الوهاب ثم انه لم يفتخر بالمملكة وافتخر بالعلم
حين قال ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا
من كل شيء فافتخر بكونه عالما بمنطق الطير ويدل على ان
العلم اشرف من غيره ايضا قوله تعالى اقم الصلوة لذكري
اذ جعل الصلوة وسيلة الى ذكر القلب والمقصود اشرف
من الوسيلة وقال في التفسير الكبير ايضا في قوله تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء وهذه الآية فيها وجوه من الدلائل على

فضل العلم احدها دلالته على انهم من اهل الجنة فكل من كان من اهل
الخشية كان من اهل الجنة فالعلماء من اهل الجنة بيان ان العلماء من
اهل الخشية قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وبيان ان
الخشية من اهل الجنة قوله تعالى جزاؤهم عند ربهم جنات عدن
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم
ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ويدل عليه ايضا قوله تعالى
ولمن خاف مقام ربه جنتان ويدل عليه ايضا قوله تعالى
وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين فاذا
امن في الدنيا اخفته في الآخرة واذا خاف في الدنيا امنته
يوم القيمة ثم قال ايضا في التفسير الكبير ان ظاهر الآية يدل
على انه ليس للجنة اهل الا العلماء وذلك لان كلمة انما للحصر فهذا
يدل على ان خشية الله تعالى لا تحصل الا للعلماء والآية الثانية
وهي قوله تعالى ذلك لمن خشي ربه دالة على ان الجنة لاهل الخشية
وكونها لاهل الخشية ينافي كونها لغيرهم فدل مجموع الآيتين على انه
ليس للجنة اهل الا العلماء واعلم ان هذه الآية فيها تخويف شديد
وذلك لانه ثبت ان الخشية من الله من لوازم العلم بالله
فعند عدم الخشية يلزم عدم العلم بالله وهذه الدقيقة تنبهك
على ان العلم الذي هو سبب القرب من الله تعالى هو الذي
يورث الخشية وان انواع المجادلات وان دقت وغمضت
اذا خلت عن افادة الخشية كان من العلم المذموم انتهى وفي
التفسير النيسابوري في بيان الوجوه العقلية قال ومنها ان
اللذة ادراك المحبوب وكلما كان المدرك اكمل واشرف
كانت اللذة اكمل واتم ومدرك العلم هو الله تعالى وجميع مخلوقاته

من الملائكة والافلاك والعناصر والمواليد وجميع احكامه
واوامره واي معلوم اشرف من ذلك فلا كمال ولا لذة
فوق كمال العلم ولذته ولا الم ولا نقصان مثل الم الجهل ونقصانه
ولهذا قال عز من قائل اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان
من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم كانه قال كنت في اول حالك علقة هي الغاية في الخساسة
ثم صرت في آخر حالك في غاية الشرف وايضا ترتيب
الحكم على الوصف مشعر بالعلية وهذا يدل على انه انما استحق
الاكرمية لانه اعطى العلم فالعلم اشرف عطية واعظم موهبة
ومنها انه تعالى قال انما يخشى الله من عباده العلماء فالعلماء من اهل
الخشية واهل الخشية اهل الجنة بقوله تعالى جزاؤهم عند ربهم جنات
عدن الى قوله ذلك لمن خشي ربه فالعلماء من اهل الجنة بل ليس
من اهل الجنة الا العلماء وذلك لكلمة انما المفيدة للحصر ولاجل
اللام للاختصاص في لمن خشي ربه والسبب في ان العلماء اهل
الخشية انه من لم يكن عالما بالشيء استحال ان يكون خائفا منه
ثم ان العلم بالذات لا يكفي في الخوف بل لا بد معه من العلم
بامور ثلثة احدها العلم بالقدرة لان الملك عالم باطلاع
رعيته على افعاله القبيحة لكنه لا يخافهم لعلمه بانهم لا يقدرون
على دفعه وثانيها العلم بكونه عالما لان السارق من مال السلطان
يعلم قدرته لكن يعلم انه غير عالم بسرقته فلا يخافه وثالثها
العلم بكونه حكيما فان المسخرة عند السلطان عالم بكونه قادرا
على منعه عالما بقبيح افعاله لكنه يعلم انه قد يرضى بما لا ينبغي فلا يحصل
الخوف فثبت ان خوف العبد من الله لا يحصل الا اذا علم كونه

كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل المقدورات
غير راض بالمنكرات والمحرمات فاذن الخوف من لوازم
العلم بالله وبهذا يعرف نباهة العلم انتهى قالوا هذه الآية
تدل على ان المراد لا ينتهي الى حد يصير معه امنا بانه يعلم انه
من اهل الجنة ويجعل هذه الآية دالة عليه وهذا المذهب غير قوي
لان الانبياء عليهم السلام قد علموا انهم من اهل الجنة وهم مع ذلك
من اشد العباد خشية لله تعالى والله اعلم بالصواب الفصل الثاني في
ان من العلم ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وفي العلم الذي
هو فرض عين قالوا هو علم الحال اذ يفترض على المسلم طلب
ما يقع له في حاله سواء كان متعلقا بالقلب او باللسان او بالجوارح
اذ يفترض عليه علم ما يؤدي به الفرض لان ما يتوصل به الى
الفرض يكون فرضا اعلم ان الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر
اقسام العلوم الشرعية اجمالا والعلوم الشرعية ما يستفاد
من الانبياء صلوات الله عليهم ولا يرشد العقل اليه مثل
الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة
وما يتبعها وذلك ينقسم الى ما هو فرض عين وفرض كفاية
كما مر فرض الكفاية هو كل علم لا يستغنى عنه في قوام امور الدنيا
واما العلوم التي ليست بشرعية فتنقسم الى ما هو محمود والى ما هو
مذموم والى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح الدنيا واما
المذموم فكعلم السحر فانه حرام فان اعتقد التاثير منه فهو كافر
والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات واما المباح
فعلم الاشعار وتواريخ الاخبار وما يجري مجراه فالعلوم
الشرعية كلها محمودة فللعلوم المحمودة اصول وفروع ومقدمات

ومتممات فالاصول اربعة كتاب الله عز وجل وسنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم واجماع الامة واثار الصحابة
والفروع ما فهم من هذه الاصول لا بموجب الفاظها بل تنبهت
لها العقول فاتسع بسببها الفهم والمقدمات ما يجرى منها مجرى
الآلات كعلم اللغة وما يتبعها من علم النحو وغيره فانها آلة لعلم
كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والمتممات
منها ما يتعلق بمجرد اللفظ كعلم القراآت ومخارج الحروف
ومنها ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده ايضا على النقل
اذ اللغة بمجردها لا يستقل به ومنها ما يتعلق باحكامها
كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والظاهر وكيفية
استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى اصول
اصول الفقه ويتناول السنة ايضا فهذه هي العلوم الشرعية
وكلها محمودة قال في التاتارخانية وفي السراجية طلب العلم
فريضة بقدر ما يحتاج اليه لامر ما لا بد منه من احكام الوضوء
والصلوة وسائر الشرايع ولامور معاشه وما وراء ذلك
ليس بفرض فان تعلمها فهو افضل وان تركها فلا اثم عليه
وفي السراجية ويستحب للرجل ان يتعلم من الطب قدر ما يمتنع
عما يضره وفي منتخب الاحياء قال اطلبوا العلم ولو بالصين
اختلف العلماء في اي علم طلبه فرض قال المتكلمون هو علم الكلام علم
اذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله وصفاته وقال
الفقهاء اذ به يعرف الحلال والحرام وقال المفسرون والمحدثون علم الفقه
هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى سائر العلوم
وقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله تعالى وقيل هو العلم

العلم بالاخلاص وآفات النفوس وقيل هو علم الباطن وقالت
المتصوفة هو علم التصوف وطريقتهم وقال بعضهم هو العلم
بما يشمل قوله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس الحديث
وهذا اختيار الشيخ ابي طالب المكي رحمه الله تعالى ذكره في قوت
القلوب والذي ينبغي ان يقطع به ما هو مراد به هو العلم
بما كلف الله تعالى عباده وهو ثلثة فصول اعتقاد وفعل
وترك فاذا بلغ الانسان في ضحوة النهار مثلا يجب معرفة
الله تعالى بصفاته بالنظر والاستدلال وتعلم كلمة الشهادة
مع فهم معناه ثم ان عاش الى وقت الظهر يجب تعلم الطهارة
قبل وقت صلوة الظهر ثم تعلم علم الصلوة وهلم جرا الى آخره
فانه عاش الى شهر رمضان يجب تعلم كيفية الصوم وقته
وما يقوم به وما يفسده فانه استفاد مالا يجب تعلم كيفية
الزكوة ونصابها وانه بلغ استطاعة الحج يجب تعلم المسافة
الى مكة واحرام الحج ومناسكه في موطنها هذا ان عاش
الى شهر الحج فهذا التدريج في علم سائر الافعال الواجبة التي هي فرض
عين واما الترك فيجب بحسب ما يتجدد من الحال وما يختلف
باختلاف الاشخاص الا ترى كيف يحرم التكلم بالفواحش والنظر
الى سواه الصحيح ولا يجب ذلك على الابكم والاعمى وكذلك
كثير ما يباح على المضطر ويحرم على غيره اما في الحكم والفتوى
يكتفي بظاهر ما نطق به من كلمتي الشهادة واخذ ذلك بالسماع
او التقليد من غير نظر وبرهان فانه النبي صلى الله عليه وسلم اقتنع
من العرب بالتصديق والاقرار من غير تعليم دليل اما لو خطر باله
شبهة او شك بعد ذلك يجب عليه ازالتها بالبحث وحده

النظر وفهم الادلة لان الاعتقادات يجب عليها بحسب الخواطر
فكل شك خطر في المعاني التي تدل عليها كلمة الشهادة يجب تعليم
ما يتوصل به الى ازالة الشك ولو لم يخطر بباله شك ولا شيء من ذلك
يوجب الخلل في الاسلام حتى مات فهو مسلم نحو ان يموت بعد
الشهادة ولم يخطر بباله ان القرآن مخلوق ام قديم وان الله
مرئي او غير مرئي فهو مات على الاسلام اما بعد الخاطر والسماع
لا بد من معرفة ذلك انتهى كلام التاتارخانية واما علم النجوم فكما
عرفت مما سبق ان المنهي عنه من النجوم اعتقاد ان احدهما البصير
بانها فاعلة لاثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير
مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر والثاني تصديق المنجمين في تفصيل ما
يخبرون عنه من الاحكام قال في التاتارخانية وعلم المكاشفة
لا يحصل بالتعلم والتعليم وانما يحصل بالمجاهدة التي جعلها الله تعالى
مقدمة للهداية حيث قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آلاف
من اصحابه كلهم علماء بالله اثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلم النجوم ونحوها فهي علوم غير محمودة روي عنه عليه السلام انه مر
برجل قد اجتمع عليه ناس فسأل عنه فقالوا رجل علامة فقال
بماذا قالوا بالشعر وانساب العرب فقال عنه علم لا ينفع
وجهل لا يضر وانما العلم آية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة
واما علم الفلسفة والهندسة بعيد من علم الآخرة استخرج ذلك
الذين استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة انتهى ما قاله التاتارخانية
فالفلسفة ليست علماً برأسها وهي اربعة اجزاء الهندسة
والحساب وهما مباحان ولا يمنع عنهما الا من يخاف عليه ان يتجاوزهما

والمراد بعلم المكاشفة كشف العلوم فقط كما ان
المراد بعلم المعاملة ما يطلب منه
مع كشف العمل به
كذا في الاحياء
منه

انه يتجاوزهما الى علوم مذمومة والثاني المنطق وهو بحث عن وجه
الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان في علم
الكلام والثالث الالهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه
وصفاته وهو ايضا داخل في الكلام والفلاسفة لم ينفردوا فيها
بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة
وكما ان الاعتزال ليس علما برأسه بل اصحابه طائفة من المتكلمين
واهل البحث والنظر وانفردوا بمذاهب باطلة فكذلك
الفلسفة والرابع الطبيعيات بعضها يخالف الشرع والدين
الحق فلذا قالوا انه جهل وليس بعلم حتى يورد في اقسام العلوم
وبعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها
وتغيرها وهو شبيه بنظر الاطباء الا ان الطبيب ينظر في بدن
الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون
في جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك والحاصل انهم قالوا
ان الرجوع الى العقليات والتعمق في الكلام غير جائز وفي شرح
المقاصد علم علماء الصحابة بالعقائد الدينية كلام وان لم يسم
في ذلك الزمان بهذا الاسم كما ان علمهم بالعمليات فقه وان لم يكن
ثمه هذا التدوين والترتيب قال في التاتارخانية وفي
النوازل قال ابو نصر بلغني ان حماد بن ابي حنيفة كان يتكلم في علم
الكلام فنهاه عن ذلك ابو حنيفة رضي الله عنه فقال له ابنه
قد رأيتك تتكلم في الكلام فما بالك تنهاني عنه قال يا بني
كنا نتكلم وكل واحد منا كان الطير على رأسنا مخافة ان نزل
وانتم تتكلمون اليوم وكل واحد يريد ان يزل صاحبه ومن اراد
ان يكفر صاحبه ومن اراد ان يكفر صاحبه فقد كفر قبل ان يكفر صاحبه

وعن ابي الليث الحافظ وهو كان بسمرقند متقدما في الزمان
على الفقيه ابي الليث قال من اشتغل بالكلام محي اسمه عن العلماء
وعن ابي حنيفة رحمه الله قال يكره الخوض في الكلام ما لم يقع
شبهة فاذا وقعت شبهة وجب ازالتها كمن يكون على شاطئ
البحر ينبغي انه لا يوقع نفسه في البحر فانه وقع وجب علينا اخراجه
انتهى قالوا حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام هي الادلة التي ينتفع
بها فالقرآن والاخبار مشتملة عليها وما خرج عنها فهو اما مجادلة
مذمومة وهي البدع واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات
الفرق وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ما لا فائدة فيها
مع انها تزدريها الطباع وتمجها الاسماع وبعضها خوض فيما لا يتعلق
بالدين ولم يكن شيئا من ذلك مألوفا في العصر الاول وكان
الخوض بالكلية من البدع قال في احياء العلوم واما التي لا يحمد منها
الا مقدار مخصوص فهي العلوم التي اوردناها في فروض الكفاية
فانه كل علم منها اقتصارا هو الاول واقتصادا هو الوسط
واستقصاء وراء الاقتصاد لا مرد له الى آخر العمر فكن احد رجلين
اما مشغولا بنفسك واما متفرغا الى غيرك بعد الفراغ من
نفسك واياك ان تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك
فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي
هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه
بالاعمال الظاهرة من تعلم الصلوة والصيام واهم الامور الذي
اهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك
بشر عن الصفات المذمومة من الحرص والحسد والرياء والكبر
والعجب وجميع ذلك مهلكات واهمالها مع الاشتغال

الاشتغال بالاعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء
ظاهر البدن عن التأذي بالجرب والدماميل والتهاون
باخراج المادة بالفصد والاسهال وقال ايضا فيه وفرقة
اخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على
المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات
المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة اولئك وافحامهم
واهملوا انفسهم وقلوبهم الى آخر ما قاله انتهى فاذا عرفت طبقات
العلماء تعرف مراجعتك اليهم في وقتها على ما يقتضي الحاجة في اعمال
القلب واللسان والجوارح وتقبل ما رووه بقبول حسن
خصوصا اذا كانت المراجعة الى العلم الذي هو فرض عين ويكن
تعظيمهم على كل حال اذ كان تعظيم اهل الورع من علماء الظاهر
وارباب القلوب لازما لازبا فمن خشي ربه عدله الحسن العاقبة
والله الهادي **الفصل الثالث** في بيان شواهد فضيلة العلم
في القرآن الكريم والاخبار والآثار والحكايات من التابعين والائمة
المجتهدين رضوان الله عليهم اجمعين اما الآيات فقد قال
الله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة واولوا العلم فانظر
كيف بدأ بنفسه وثنى بالملئكة وثلث باهل العلم وهذا
شرف عظيم وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسيره
للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين
مسيرة خمسمائة عام وقال تعالى ولو ردوه الى الرسول والى
اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم رد حكمه في الوقائع
الى استنباطهم والحق رتبتهم برتبة الانبياء في كشف حكم الله

تعالى وقيل في قوله عز وجل قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم يعني
العلم وريشا يعني اليقين ولباس التقوى اي الحيا وقال
تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال
تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به تنبيها
على انه اقدر عليه بقوة العلم وقال تعالى وقال الذين اوتوا العلم
ويلكم ثواب الله خير بين انه قدر عظم الآخرة يعلم بالعلم وقال
عز وجل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال
تعالى بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقال
عز وجل وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا
العالمون وقال تعالى خلق الانسان علمه البيان وانما ذكر
ذلك في موض الامتنان وقال عز وجل انما يخشى الله من عباده
العلماء واما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة
الانبيا، ومعلوم انه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق
شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال صلى الله عليه وسلم
يستغفر للعالم ما في السموات والارض واي منصب يزيد
على منصب من يشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار
له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال
صلى الله عليه وسلم ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع
المملوك حتى يدرك مدارك الملوك وقال صلى
الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه
رشده وقال خصلتان لا يكونان في منافق حسن سمت وفقه
في الدين قيل ادنى درجات الفقيه صدق معرفته وغلبة
براءته من النفاق والريا لعلمه بان الآخرة خير من الاولى وقال

وقال صلى الله وسلم اقرب الناس من درجة النبوة اهل
العلم والجهاد واما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل
صلوات الله عليهم واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما
جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم
من تفقه في دين الله عز وجل كفاه الله همه ورزقه من حيث
لا يحتسب وقال صلى الله عليه وسلم ما عبد الله بشي افضل
من فقه في الدين ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف
عابد ولكل شي عماد وعماد هذا الدين الفقه وقال صلى الله
عليه وسلم صنفان من امتي اذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا
فسد الناس الامرا والفقها، وقال صلى الله عليه وسلم
فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب
والاخبار كثيرة لا تحصى واما الآثار فقد قال ابن عباس
رضي الله عنه خير سليمان بن داود صلوات الله على نبينا
وعليهما بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي
المال والملك معه وقال ابو الاسود ليس شي اعز من العلم
الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك وسئل
ابن المبارك من الناس فقال العلماء فقيل من الملوك قال
الزهاد قيل من السفلة الذي ياكل بدينه ولم يجعل غير العلماء من الناس
لان الخاصة التي تمتاز بها الناس عن سائر البهائم هي معرفة
الله تعالى وهي انما تحصل بالعلم والانسان انسان بما هو شريف
لاجله وليس ذلك بقوة شخص فان الجمل اقوى منه ولا بعظمه
فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان السبع اشجع منه ولا
لاكل فان الجمل اوسع بطنا منه ولا الجماع فان اخس العصافير

اقوى على السفاد منه بل لم يخلق الا للعلم والمعرفة وقال الحسن
رضي الله عنه يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء
وقال ابن مسعود رضي الله عنه عليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه
ان يهلك رواته فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا
في سبيل الله عز وجل شهداء ان يبعثهم الله سبحانه علماء لما يرون
من كرامتهم وان احدا لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم وقال
ابن عباس رضي الله عنه تذاكر العلم بعض ليلة احب الي من احيائها
وكذلك عن ابي هريرة رضي الله عنه واحمد بن حنبل وقال
الحسن رضي الله عنه في قوله عز وجل ربنا آتنا في الدنيا حسنة
ان الحسنة في الدنيا هي العلم والعبادة وفي الآخرة هي الجنة
وقال بعضهم اي الاشياء تقتني قال التي اذا غرقت سفينتك
سبحت معك يعني العلم وقيل اراد بالسفينة هلاك بدنه
بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما
ومن عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار وقال الشافعي رضي
الله عنه من شرف العلم ان من نسب اليه ولو في شيء حقير فرح
ومن دفع عنه حزن وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ايها
الناس عليكم بالعلم فان لله سبحانه رداء محبة فمن طلب
بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه فان اذنب ذنبا استعتبه
فانه اذنب ذنبا استعتبه فان اذنب ذنبا استعتبه لئلا يسلبه
رداءه ذلك وان تطاول به ذلك الذنب حتى يموت
وقال سالم بن ابي الجعد اشتراني مولاي بثلثمائة درهم واعتقني
فقلت باي حرفة احترف فاحترفت بالعلم فما مضت لي
سنة حتى اتاني امير المدينة فلم آذن له وقال الزبيري ابو بكر

بكر كتب الي ابي بالعراق عليك بالعلم فانك ان افتقرت كان
لك مالا وان استغنيت كان لك جمالا وحكي في ذلك
في وصايا لقمن لابنه وقال يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك
فان الله سبحانه وتعالى يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض
بوابل السماء وقال الزهري العلم ذكر ولا يحبه الا ذكور الرجال
قال الامام في التفسير الكبير في بيان شواهد فضيلة العلم من الآثار
روى كميل بن زياد قال اخذ علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه بيدي فاخرجني الى الجبانة ثم قال يا كميل بن زياد
ان هذه القلوب اوعية فخيرها اوعاها فاحفظ ما اقول لك
الناس ثلثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع
اتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم
ولم يلجئوا الى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك
وانت تحرس المال والمال ينقصه النفقة والعلم يزكو
على الانفاق وصنيع المال تزول بزواله يا كميل معرفة العلم
دين يدان به يكتسب الانسان الطاعة في حيوته وجميل
الاحدوثة بعد وفاته والعلم حاكم والمال محكوم عليه هلك
خزان الاموال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم
مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة وفي الظهيرية وعن علي
رضي الله عنه انه قال كفى بالعلم شرفا انه يدعيه من لا يحسنه
ويفرح اذا انسب اليه وقال ابن المعتز علم الرجل ولده
المخلد وقال ايضا ما مات من احيى علما وقال ايضا العلم اشرف
ما وعيت والخير افضل ما اوعيت والعلماء اعلام الاسلام
وايمان الايمان واما الحكايات الدالة على فضيلة العلم من الائمة المجتهدين

رضوان الله عليهم فقد قال في الفتاوى الظهيرية وحكي ان
رجلا قال لابي حنيفة رحمه الله ما تقول في رجل يقول لا ارجو
الجنة ولا اخاف النار واكل الميتة والدم واشهد بما لم اره
ولا اخاف الله واصلي بلا ركوع وسجود وابغض الحق
واحب الفتنة قال ابو حنيفة رحمه الله لاصحابه ما تقولون
فقالوا هذا القائل كافر فتبسم ابو حنيفة رحمه الله وقال هو
مؤمن ثم قال قوله لا ارجو الجنة ولا اخاف النار فانه
يرجو رب الجنة ويخاف رب النار وقوله اكل الميتة والدم
اي السمك والطحال وقوله اشهد بما لم اره فهو شهادة
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وهو لم ير الله ولا
رسوله وقوله لا اخاف الله اي لا اخاف ظلم الله ولا جوره
لانه لا يظلم ولا يجور ولكن في هذه العبارة بعض الاشكال
فلا يجوز ذكر هذه العبارة وقوله اصلي بلا ركوع وسجود اي
صلوة الجنازة وقوله ابغض الحق اي الموت وهو حق وقوله
احب الفتنة اي المال والولد قال الله تعالى انما اموالكم
واولادكم فتنة وفي رواية وافر من الرحمة اي من المطر واشرب
الخمر واستحلها اي حالة الضرورة او في الجنة واترك الغسل
من الجنابة اي عند عدم الماء واقتل الناس اي الكفار واصدق
اليهود والنصارى في دعواهم اي قالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء
ولكن في هذه المسئلة العبارة فيها ضرب من الاستبعاد
فلا يجوز استعمالها وقال ايضا وحكي عن الفقيه ابي بكر محمد بن
عبد الله انه قال نزل جماعة بالكوفة في زمن ابي حنيفة رحمه الله

رحمه الله فيهم امراة حسناء ذات جمال فاجتازت
بباب بعض الاغنياء بالكوفة فرآها صاحب الدار فاستحسنها
وادخلها في داره فتحير زوجها في امرها فما زال يطوف بالدار
يطلب اثرها حتى ظفر بها واخذها وادعى انها زوجته وانكرت
المراة ذلك وقالت مثلي في الجمال لا تكون زوجة لمثلك
بل انا زوجة هذا الغني ولا اعرفك فاختصموا الى ابن ابي ليلى
فقضى بالنكاح بينها وبين الغني بالتصادق فتحير زوجها
فقيل له لا فرج لك الا بعالم يقال له ابو حنيفة رحمه الله
فاذهب اليه لعل تجد الفرج من عنده فجاء الى ابي حنيفة رحمه الله
وقص عليه القصة فقال هذا سهل لاكشفن عن صورة الحال
اين رحلك ومتاعك قال نزلنا بالجبانة فخرج اليها ابو حنيفة
وابن ابي ليلى وجماعة من العلماء وامر بالمراة حتى تكون في عشرة
من النساء ثم امر امراة اجنبية كوفية حتى ذهبت الى رحل هذا الرجل
فلما دنت صاح الكلب عليها وهربت فعلم انها غريبة ثم
امر الثانية ففعل الكلب مثل ذلك هكذا الى العاشرة ثم
امر هذه المراة ان تدنو من رحله فلما دنت عرفها الكلب فجعل [illegible]
منها ويتملق اليها وظهر للناس انها من جملتهم فاعترفت
المراة والغني بما كان من امرها وشانها فاخذ ابو حنيفة رحمه
الله المراة من الغني وسلمها الى الرجل انتهى وفي التفسير الكبير
حكي ان هرون الرشيد كان معه الفقهاء وكان فيهم ابو يوسف
واتي برجل وادعى عليه احد انه اخذ من بيتي مالا بالليل ثم
اقر الآخذ بذلك في المجلس فاتفق الفقهاء على انه يقطع يده
فقال ابو يوسف لا قطع عليه قالوا لم قال لانه اقر بالاخذ

والاخذ لا يوجب القطع بل لا بد من الاعتراف بالسرقة
فصدقه الكل في ذلك ثم قالوا للاخذ اسرقتها فقال
نعم واجمعوا على انه وجب القطع لانه اقر بالسرقة فقال
ابو يوسف لا قطع لانه وان اقر بالسرقة لكن بعد ما وجب
الضمان عليه باقراره بالاخذ فاذا اقر بالسرقة بعد ذلك
فهو بهذا الاقرار يسقط الزمان عن نفسه فلا يسمع اقراره
فتعجب الكل من ذلك قال ايضا يحكى ان جماعة من اهل المدينة
جاؤا الى ابي حنيفة رضي الله عنه ليناظروه في القراءة خلف
الامام ويبكتوه ويشنعوا عليه فقال لهم لا يمكنني مناظرة
الجميع ففوضوا امر المناظرة الى اعلمكم لا ناظره فاشاروا
الى واحد فقال هذا اعلمكم قالوا نعم قال والمناظرة معه كالمناظرة
معكم قالوا نعم قال والالزام عليه كالالزام عليكم قالوا نعم قال
وان ناظرته ولزمته الحجة فقد لزمتكم الحجة قالوا نعم قال كيف وقد
قالوا انا رضينا به اماما وكان قوله قولا لنا قال ابو حنيفة
فنحن لما اخترنا الامام في الصلوة كانت قراءته قراءة لنا
وهو ينوب عنا فاقروا له بالالزام وايضا قال رجل
لابي حنيفة اني حلفت ان لا اكلم امرأتي حتى تكلمني وحلفت
بصدقة ما تملك ان لا تكلمني حتى اكلمها فتحير الفقهاء فيه
قال سفين من كلم صاحبه حنث فقال ابو حنيفة رحمه الله
اذهب وكلمها ولا حنث عليكما فذهب الى سفيان واخبره
بما قال ابو حنيفة رحمه الله عليهما فقال تبيح الفروج فقال ابو حنيفة
وما ذاك قال سفيان اعيدوا على ابي حنيفة السؤال فاعاد
ابو حنيفة الفتوى فقال من اين قلت قال لما شافهته باليمين

باليمين بعد ما حلف كانت مكالمة وسقطت يمينه فان
كلمها فلا حنث عليه لانه قد كلمها بعد اليمين فسقطت اليمين
عنها قال سفيان انه ليكشف لك من العلم شيء كلنا
عنه غافل وقال ايضا قال محمد بن الحسن رحمه الله كنت
نائما ذات ليلة واذا انا بالباب رجل يدق ويروع
فقلت انظر وامن ذلك فقالوا رسول الخليفة يدعوك
فخفت على روحي فقمت ومضيت اليه فلما دخلت عليه
قال دعوتك في مسئلة ان ام محمد يعني زبيدة قلت لها
اني امام العدل وامام العدل في الجنة فقالت لي انك ظالم
عاص قد شهدت لنفسك بالجنة وكفرت بكذبك
على الله وحرمت عليك فقلت له يا امير المؤمنين اذا
وقعت معصية هل تخاف الله في تلك الحال او بعدها
فقال اي والله اخاف خوفا شديدا فقلت له انا اشهد
ان لك جنتين لا جنة واحدة قال تعالى ولمن خاف مقام
ربه جنتان فلاطفني وامرني بالانصراف فلما رجعت الى داري
رايت البدر متبادرة الي انتهى والدلائل على فضيلة
العلم اكثر من ان تحصى نقلية كانت او عقلية الباب الثاني
في بيان تقليدهم في الاحكام مع احسان الظن بهم اعلم ارشدك الله
تعالى وايانا ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
تولاها الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم اجمعين وكانوا
ائمة وعلماء بالله تعالى وفقهاء في احكامه ومستقلين بالفتاوى
في الاقضية وكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادرا في وقائع
لا يستغني فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا

لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بعلم الخلق من الدنيا
واقبلوا على الله عز وجل بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم
حتى ان التابعين كلهم مشغولون بما يهمهم ويعنيهم فلم يدون
الامام ابو حنيفه رضي الله عنه الا اشيا يسيرة قال البزدوي
وتقريره وقد صنف ابو حنيفه رحمه الله كتاب الفقه الاكبر وصنف
كتاب العلم والمتعلم وكتاب الرسالة وهو كتاب بعثه الى عثمان
البتي من الصحابه انتهى وروى كان احمد بن حنبل رحمه الله ينكر
على مالك رحمه الله في تصنيفه الموطأ ويقول لا ابتدع ما لم تفعله
الصحابة وقيل اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج
في الآثار وحروف التفاسير عن عطا ومجاهد واصحاب ابن عباس
بمكة رضوان الله عليهم ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع
فيه سننا منثورة مبوبة ثم كتاب الموطأ لمالك بن انس ثم
جامع سفيان الثوري ثم في القرن الرابع حدث مصنفات
الكلام وكثر الخوض في الجدال والخوض في ابطال المقالات
ثم مال الناس الى ذلك والى القصص والوعظ بها فاخذ
علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك
يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكائد
الشيطان واعرض عن ذلك الا الاقلون انتهى ما قيل وقد كان
بقي من علما التابعين من هو مستمر على الطراز الاول وكان الاعتماد
على السماع من الغير تقليدا غير مرضي وحدث التصانيف بعد
سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة
التابعين وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار
التابعين رضوان الله عليهم اجمعين فلما افضت الخلافة بعد

الخلفا الراشدين الى اقوام لم يستقلوا بعلم الفتاوى والاحكام
اضطروا الى الاستعانة بالفقها والى استصحابهم في جميع احوالهم
لاستفتائهم في جميع مجاري احكامهم فطلبوا العلما لتولية القضا
والحكومات وعلما السلف رحمهم الله كانوا اذا طلبوا هربوا
واعرضوا حتى ان الخلفا اضطروا الى الالحاح في طلبهم لتولية
القضا والحكومات فرأى بعض اهل الاعصار عز العلما واقبال
الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم اشرابوا لطلب العلم
توصلا الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة مع علمهم بان العزة
لله جميعا وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم ومع هذا
ان علما الدين لازمة لتولية القضا والحكومات بل لسائر احوال
المؤمنين فان كل مؤمن يحتاج في علم دينه الى عالم يعلمه مما شرعه
الله تعالى ولا بد منه وقد اختلف العلما في انه هل يلزمه الهرب
من تقليد الولاية فقال قائلون لا يجب لان هذا خوف امر
في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه الا قويا في ملازمة الحق
وترك لذات النفس وقيل الصحيح انه عليه الاحتراز والامتناع
عن قبول الولاية اهون من العزل بعد الشروع فالعزل كما قيل
العزل طلاق الرجال فاذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل
نفسه الى المداهنة كذا في احياء العلوم وفيه اعلم ان للانسان
في علمه اربعة احوال كحاله في اقتناء الاموال اذ لصاحب المال
حالة استفادة فيكون مكتسبا وحالة ادخار لما اكتسبه فيكون
به غنيا عن السؤال وحالة انفاق على نفسه فيكون به منتفعا
وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو اشرف
احواله فكذلك العلم يقتنى كالمال فله حال طلب واكتساب

وحال تحصيل يغني عن السؤال وحال استبصار وهو
التفكر في المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو اشرف الاحوال
فمن علم وعمل وعلّم فذلك الذي يدعى عظيما في ملكوت
السموات فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة وكالمسك
الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل كالدفتر
الذي يفيد غيره وهو خال عن العمل وكالمسن الذي يشحذ غيره
ولا يقطع والابرة التي تكسو غيرها وهي عارية وذبالة
المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق وقال ايضا في بيان صنف
اهل العلم فرقة منهم احكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا
فيها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها
الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله تعالى
بمكان وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل
يقبل في الخلق شفاعتهم وانه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم
لكرامتهم على الله تعالى وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا
ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله تعالى
وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فاما العلم بالمعاملة
كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق النفس المذمومة
والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا يراد
الا للعمل ولولا الحاجة الى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل
علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل انتهى وقال في التاتارخانية
وفي الينابيع ولا ينبغي ان يطلب الولاية ولا يسألها
فالطلب ان يقول للامام ولني القضاء والسؤال ان يقول
للناس لو ولاني الامام قضاء كذا لاجبته الى ذلك وهو يطمع

ان يبلغ ذلك الامام فيقلده وكل ذلك مكروه وقال
ايضا وفي الينابيع القضاء فرض على من استجمع فيه شرائط القضاء
واذا اراد الامام ان يقلده القضاء يجب عليه ان يتقلده
فانه امتنع من تقلده فهو آثم الا ان يكون بحضرته مثله فلا يأثم
بالامتناع وفي الكافي القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة قد باشره
الصحابة والتابعون ومضى عليه الصالحون رحمهم الله ولكن فرض
كفاية لانه ما فرض لعينه بل لغيره وهو قطع المنازعات
بين العباد ودفع اسباب العنت والفساد وهذا يحصل
باقامة البعض ولا معنى للوجوب على الكل وفيه ان القاضي
اذا جار وقال تعمدت الجور لا ينفذ قضاؤه وينعزل عن القضاء
وقال ايضا فيها وفي الذخيرة وبعض مشايخنا قالوا اذا قلده
الامام القضاء على ظن انه عدل فان قال انك مرضي فيما بين
المسلمين فرايتك اهلا للقضاء فقلدتك ثم القضاء ثم
ظهر انه فاسق غير مرضي لا يتقلد ثمة على قول من يقول لو قلد
وهو عدل ثم فسق ينعزل وفي فتاوى قاضيخان وان تعين هو
في البلدة قالوا يفترض عليه الدخول لو امتنع يأثم وقال
ايضا واذا ارتشى ولد القاضي او كاتبه او بعض اعوانه ليعين
الراشي عند القاضي ففعل ان لم يعلم القاضي بذلك نفذ قضاؤه
وكان على المرتشي رد ما قبض وان علم القاضي كان قضاؤه
مردودا واذا تقلد القضاء بالرشوة لا يصير قاضيا ويكون الرشوة
حراما على القاضي وعلى الآخذ ثم الرشوة على وجوه اربعة منها
ما هو حرام على الجانبين احدها هذه والثاني اذا دفع الرشوة الى القاضي
ليقضي له وهذه الرشوة حرام من الجانبين سواء كان القضاء بحق او

بغير حق ومنها اذا دفع الرشوة لخوف على نفسه او ماله وهذه
الرشوة حرام على الآخذ غير حرام على الدافع وكذا اذا طمع
في ماله فرشاه ببعض المال ومنها اذا دفع الرشوة ليسوي امره
عند السلطان حل له الدفع ولا يحل للآخذ ان يأخذ فان
اراد ان يحل للآخذ يستأجر الآخذ يوما الى الليل بما يريد
ان يدفع اليه فانه تجوز هذه الاجارة ثم المستأجر ان شاء
استعمله في هذا العمل وان شاء استعمله في غيره هذا اذا اعطى
الرشوة اولا ليسوي امره عند السلطان وان طلب منه
ان يسوي امره ولم يذكر له الرشوة ثم اعطاه بعد ما سوى اختلفوا
فيه قال بعضهم لا يحل له ان يأخذ وقال بعضهم يحل وهو
الصحيح لانه بر ومجازاة الاحسان فيحل له كما لو جمعوا للامام
والمؤذن شيئا واعطوه من غير شرط كان حسنا وفي التاتارخانية
واعلم بان الرشوة انواع نوع منها ان يهدي الرجل الى الرجل
مالا لابقاء التودد والتحبب وهذا النوع حلال من جانب
المهدي والمهدى اليه ونوع منها ان يهدي الرجل الى رجل
مالا بسبب ان ذلك الرجل قد خوفه فيهدي اليه مالا ليدفع
الخوف عن نفسه او يهدي الى السلطان مالا ليدفع ظلمه عن نفسه
او ماله وهذا النوع لا يحل للآخذ لانه يجعل ماله وقا
لنفسه واذا اخذ يدخل تحت الوعيد المذكور في هذا الباب
وهل يحل للمعطي الاعطاء عامة المشايخ على انه يحل لانه
يجعل ماله وقاية لنفسه او يجعل بعض ماله وقاية للباقي وفي
الولوالجية لو سعى انسان بينهما ودفع اليه بعض ماله ليوصله الى
الظالم لا بأس بان يفعل ذلك الانسان ويسعى بينهما وقد

وقد صح عن ابن مسعود رضي الله عنه انه رشا دينارين
بحبسه ونجى نفسه وعن جابر رضي الله عنه انه قال لم نجد في زمن
بني امية انفع لنا من الرشى قال القاضي ابو علي النسفي رحمه الله
فعلى هذا اذا كان الرجل في قرية وفيها ظالم وكان الرجل
يهدي الى الظالم شيئا من الفواكه والمطعومات ليدفع ظلمه
عن نفسه لا بأس به والخصاف علق حل الاعطاء بالشرط
فقال ارجو ان لا يكون آثما ونوع منها ان يهدي الرجل
الى رجل مالا ليسوي امره فيما بينه وبين السلطان ويعينه في حاجته
وانه على وجهين الاول ان يكون حاجته حراما وفي هذا الوجه
لا يحل للمهدي الاعطاء ولا للمهدى اليه الاخذ الوجه الثاني
ان يكون حاجته مباحا وانه على وجهين ايضا الوجه الاول
ان يشترط انما يهدي اليه ليعينه عند السلطان وفي هذا
الوجه لا يحل للآخذ الاخذ وهل يحل للمعطي الاعطاء تكلموا فيه
منهم من قال لا يحل ومنهم من قال يحل وعلى قياس قول
الخصاف يجب ان يكون حل الاعطاء معلقا بالرجاء على ما
بينا والحيلة في حل الاخذ وحل الاعطاء عند الكل ان يستأجره
صاحب الحادثة يوما الى الليل ليقوم بعمله بالمال الذي يريد
الدفع اليه فيصح الاجارة ويستحق الاجير الاجر ثم المستأجر
بالخيار ان شاء استعمله في هذا العمل وان شاء استعمله في عمل آخر
وفي الولوالجية وهل يحل للمعطي الاعطاء بدون هذه الحيلة
اختلفوا فيه والصحيح انه يحل قالوا وهذه الحيلة انما تصح اذا كان
العمل الذي استأجره عليه عملا يصح الاستئجار عليه في الفتاوى
الخلاصة كتبليغ الرسالة ونحوها وان لم يبين المدة لا يجوز

وهذا اذا كان فيه شرطا الوجه الثاني اذا لم يشترط ذلك
صريحا ولكن انما يهدي اليه ليعينه عند السلطان وفي هذا
الوجه اختلف المشايخ وعامتهم على انه لا يكره وبعضهم قالوا
يكره وهكذا نقل عن ابن مسعود رضي عنه انتهى قال في فتاوى
قاضيخان وكما لا يحل للقاضي اخذ الرشوة لا يحل له قبول
الهدية من الاجنبي الذي لم يكن يهدي اليه قبل القضا وكذا
الاستقراض والاستعارة وان اهدى اليه من كان يهدي
اليه قبل القضا، فانه كان له خصومة لا يحل له ان يقبل وان
لم يكن له خصومة فانه كانت مثل ما يهدي اليه قبل القضا
او دونها لا بائس بان يقبل وانه كان اكثر من ذلك رد الزيادة
ولا بائس بان يقبل الهدية من القريب الذي لم يكن له خصومة
وكما لا يقبل الهدية ممن كان لا يهدي اليه قبل القضا لا يجيب
الدعوة الخاصة ويجيب الدعوة العامة وانما يعرف
الخاص من العام انه ينظر انه كان بحال لو لم يجب القاضي
دعوته لا يتخذ الدعوة فهي خاصة وانه كان يتخذ الدعوة
وانه لم يجبه القاضي فهي عامة وهذا اذا لم يكن بينهما قرابة
فانه كان بينهما قرابة يجيب وانه كانت خاصة ولا باس
للقاضي ان يرزق من بيت المال وانه استعف فهو افضل
وللعلما والقضاة والمعلمين حظ في بيت المال ويجوز
للامام والمفتي قبول الهدية واجابة الدعوة الخاصة لان
ذلك من حقوق المسلم على المسلم وانما يمنع عنه القاضي انتهى
وقال ايضا في الحظر والاباحة قالوا لا باس للقاضي ان يقبل
الصلة من والي البلدة التي هو عليها قلده هذا الوالي او غيره فا

وقال ايضا لو ان فقيرا يأخذ جائزة السلطان مع علمه ان
السلطان يأخذها غصبا ايحل له ذلك قال فانه كان السلطان
خلط الدراهم بعضها ببعض فانه لا بائس به وانه دفع
عين الغصب من غير خلط لم يجز اخذه قال الفقيه ابو الليث
وهذا الجواب يستقيم على قول ابي حنيفة رحمه الله لان عنده
اذا غصب دراهم من قوم وخلط بعضها ببعض يملكها الغاصب
وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال ان السلطان
يصيب من الحلال والحرام فما اعطاك فخذ فانما يعطي من الحلال
وروى عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من اعطي شيئا من غير مسألة فليأخذه فانما هو رزق رزقه الله
تعالى وقال ايضا لا ينبغي للقاضي ان يبيع ويشتري بنفسه بل
يفوض ذلك الى غيره وعن محمد رحمه الله انه لا بائس بان
يفعل ذلك في غير مجلس القضا، والصحيح انه لا يفعل لا في
مجلس القضا، ولا في غيره لان الناس يسامحونه لاجل
القضا، ولا ينبغي لمن يدخل مجلس القضا، لاجل الخصومة
ان يسلم على القاضي ولو سلم لا يجب على القاضي رد سلامه
فانه اراد القاضي جوابه ينبغي انه لا يزيد على قوله وعليكم ويسلم
الشاهد على القاضي ويرد عليه ولا باس للقاضي ان يفتي
من لم يخاصم اليه ولا يفتي احد الخصمين فيما خوصم اليه واذا جاء رجل مع
السلطان الى القاضي فجلس السلطان مع القاضي وخصمه
على الارض ينبغي للقاضي ان يقوم من مقامه ويجلس خصم السلطان
حتى لا يكون مفضلا احد الخصمين على الآخر في الجلوس وهذه
المسئلة تدل على انه القاضي يصلح قاضيا على السلطان الذي

خاصم

قلده والدليل عليه قصة علي رضي الله عنه عند شريح رحمه الله
ويقضي القاضي وهو مستوف حظه من الطعام والشراب
و لا يقضي وهو جائع ولا شبعان ولا غضبان ولا
كظيظ من الطعام ولا مأخوذا احد الاخبثين ولا به نعاس
او نوم ولا يسار احد الخصمين ولا يضم احدهما الى نفسه
ولا يضحك وصاحب مجلسه يقيم الخصوم بين يديه من التعب
والسهو ويقرب من القاضي ويخرج للقضاء في احسن ثيابه
واعدل احواله ويأخذ كاتبا عالما ورعا فان كان القاضي
فقيرا محتاجا الاولى له انه يأخذ رزقه من بيت المال بل
يفترض عليه فانه كان غنيا تكلموا فيه والاولى له ان
لا يأخذه من بيت المال انتهى وفي التاتارخانية وفي
الظهيرية روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من
ابتلي بالقضاء فكانما ذبح بغير سكين هكذا رواه الخصاف
وروي عن محمد رحمه الله هذا الحديث في ادب القاضي بلفظ آخر
من ابتلي ان يقضي بين اثنين فكانما يذبح نفسه من غير سكين وكان
شيخنا الامام شمس الائمة الحلواني رحمه الله يقول لا ينبغي لاحد
انه يزدري هذا اللفظ كيلا يصيبه ما اصاب ذلك القاضي فقد
حكي ان قاضيا روي له هذا الحديث فازدراه وقال
كيف يكون هذا فدعا في مجلسه بمن يسوي شعره فجعل الحلاق
يقص الشعر من تحت ذقنه اذ عطس فاصابه موسى فالقى راسه
بين يديه وقال بعضهم له انه يتقلد اذا كان يمكنه القيام
بحقه الا ترى الانبياء يشتغلون به حتى نبينا صلى الله عليه وسلم
وعليهم والصحابة اشتغلوا به رضوان الله عليهم ولان في

ولان في القضاء اظهار سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
واحياء شريعته ولهذا يطلق على القاضي اسم خليفة رسول
الله بلا خلاف وقال ايضا والذي عليه عامة الكتب ان
الدخول في القضاء رخصة لمن لا يخاف والامتناع عنه عزيمة
هو المختار وهذا اذا كان في البلد قوم يصلحون للقضاء اما اذا لم يكن
في البلد قوم يصلحون للقضاء فامتنعوا جملة عن القضاء فانه كان
الوالي بحيث يفصل الخصومات بنفسه كما ينبغي فانهم لا يأثمون
وانه كان الوالي بحيث لا يفصل الخصومات بنفسه كما ينبغي يأثمون
وفي جامع الفتاوى عن ابي حنيفة رضي الله عنه القضاة ثلثة قاض
يقبل قوله مجملا ومفصلا وهو الفقيه الورع وقاض يقبل قوله
مفصلا لا مجملا وهو الورع غير الفقيه وقاض لا يقبل قوله لا مفصلا
ولا مجملا وهو انه لا يكون فقيها ولا ورعا وفي الينابيع فانه وجد
اثنان وهما من اهل القضاء ولكن احدهما افقه والآخر اورع
فهو اولى من الافقه انتهى وقال ايضا وفي الخزانة ويكره تقليد
الحكم في عشرة احوال في حال الغضب والجوع والعطش والحاصر
والحاقن والراكب والماشي والناعس والمريض والوجيع ويقضي
في حال يكون اجمع لذهنه وعقله وفهمه ويحضر جماعة من اهل الفقه
مجلسه انه كان لا يدخله حشمة بحضورهم وفي السغناقي ويخرج للقضاء
في احسن ثيابه واعدل احواله ولا ينبغي له ان يتعب نفسه
في طول المجلس ولكن يجلس في طرفي النهار او ما طاب وكذلك
الفقيه والمفتي ولا يمازح الخصوم ولا احدهم ولا يضحك
في وجه احدهما وكذلك لا يومي الى احدهما ايماء ولا يعبس وجهه
عليهما ولا على احدهما ولا يعجل الخصوم لاتيان حججهم ولا يخوف

الخصوم ومعناه انه يتكلف بتخويف الخصوم وفي شرح الطحاوي
ولا يخوفهم يعني لا يقول اقم حجتك والا اقضي عليك او ابطل
دعواك بل يؤجله الى المجلس الثاني والثالث انتهى وفي فتاوى
قاضيخان المزكي اذا سأل عن الشهود وعرفهم بالعدالة فاراد
التعديل روي عن محمد رحمه الله انه يقول هذا عندي عدل
مرضي جائز الشهادة وبه اخذ بعض المشايخ رحمهم الله وقال
بعضهم لا يكون هذا اللفظ تعديلا لان قوله عندي لفظ موهم
فلا يكون تعديلا الا ترى ان الشاهد لو قال الحق عندي لهذا
المدعي يكون ذلك باطلا فكذلك في التعديل وقال بعضهم
هذا اللفظ في التعديل لا يوجب خللا ولو قال المعدل لا اعلم فيه
الا خيرا يكون ذلك تعديلا وقال يحتاج في التعديل الى خمسة
الفاظ هو عدل مرضي جائز الشهادة صالح مقبول القول له
وعليه وقال بعضهم اذا قال هو عدل جائز الشهادة يكون
عدلا وعليه الاعتماد انتهى فاذا عرفت هذا فانظر كيف يكون
العدالة شرطا في شاهد مصلحة واحدة من مصالح المسلمين وكيف
لا يكون شرطا فيمن يولي مصالح المسلمين فان الله سبحانه
وتعالى امرهم بانهم اذا حكموا بين الناس ان يحكموا بالعدل فاللازم
عليه انه يكون العدالة ديدنه في حقه وفي حق غيره وانه يكون
حسن الخلق والخلق قيل في قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة الظاهرة استواء الخلق والباطنة حسن الخلق وروى
البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق فقال له اسرقت قال
كلا والذي لا اله الا هو فقال عيسى آمنت بالله وكذبت عيني فمن حسن

فمن حسن الخلق المداراة فمن داري سلم الا انه من داهن اثم فالمداراة
مامور بها كما ان المداهنة منهي عنها قال تعالى ودوا لو تدهن
فيدهنون وقال النبي صلى الله عليه وسلم في المداراة راس
العقل بعد الايمان بالله التودد الى الناس وامرت بمداراة
الناس كما امرت باداء الفرائض فاذا سمعت المداراة فكانت
مداهنة انه تداري الناس على وجه يحصل الخلل في دينك
بل يذهب فيه دينك والمداراة مخالفتهم على وجه يسلم
دينك وذلك ان هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم
وقد قالت له قريش يا محمد اعبد آلهتنا سنة ونؤمن بك فابى
فقالوا فشهرا فابى قالوا فيوما فابى قالوا فساعة فابى قالوا
فاستلمها بيدك ونؤمن بك فوقف النبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك وطمع انه فعل ان يؤمنوا فانزل الله تعالى ودوا لو
تدهن فيدهنون وقيل له ولولا ان ثبتناك لقد كدت
تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف
الممات وقال بعض المفسرين في قوله تعالى وقولوا للناس حسنا كلم
من لقيته فقل له احسن من القول والمقلد القاصر عاجز عن الفرق
بين المداراة والمداهنة كما ان العالم المستبصر عاجز عن تفهيمهم
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ارحموا ثلثة عالما بين الجهال
وغني قوم افتقر وعزيز قوم ذل وقال في الاحياء فالانبياء
مرحومون بين الامة بهذا السبب ومقاساتهم لقصور
عقول الامة فتنة لهم وامتحانا وابتلاء من الله تعالى وبلاء
موكل بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل ولا تظنن ان
البلاء بلاء ايوب عليه السلام وهو الذي ينزل بالبدن فان

بلاء نوح عليه السلام ايضا من البلاء العظيم اذ بلي بقوم لا يزيدهم
دعاؤه الا فرارا ولذلك لما تاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكلام بعض الناس قال رحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا
فصبر فاذا لا يخلو الانبياء من الابتلاء بالجاحدين فلا يخلو الاولياء
والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين انتهى فاذا عرفت ما سبق تعرف
انه تقليد علماء الدين في الاحكام انما يكون مع احسان الظن بهم

المقصد الخامس

اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
في نصيحة العامة وهي ارشادهم لمصالحهم في اوليهم واخريهم وكف
الاذى عنهم وتعليم ما جهلوا واعانتهم على البر والتقوى وستر
عوراتهم والشفقة عليهم وان يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير
وهو على خمسة ابواب **الباب الاول** في ارشادهم لمصالحهم
في اوليهم واخريهم اعلم وفقك الله وايانا ان الله تعالى
قد فرض علينا الفرايض ولا يتاتى اداؤها الا بقوة البدن وستر
العورة ولا قوة للبدن الا بالقوت قال الله تعالى وما جعلناهم
جسدا لا ياكلون الطعام الآية ومعلوم ان المعاش معين وذريعة
الى المعاد فاذا كان طلب المعيشة على نهج السداد اذ لا يكون طلب
الدنيا ذريعة ما لم يتادب في طلبها بآداب الشريعة فيلزمه
علم فضل الكسب وعلم صحيح البيع والشراء والعدل في المعاملة
والاحسان فيها وشفقة التاجر على اهل دينه قال الله تعالى
وجعلنا النهار معاشا وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش
قليلا ما تشكرون فجعلها نعمة وطلب الشكر عليه وقال صلى الله
عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله
وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر وروت عايشة

رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما اكلتم
من كسبكم وان اولادكم من كسبكم وفيه تحريض على الكسب الحلال
لان المراد بالطيب ههنا الحلال ومعنى الكسب الطلب والسعي
في تحصيل الرزق وانما جعل الولد كسبا لان الوالد طلب وسعى
في تحصيله فيكون من جملة اكسابه وقال صلى الله عليه وسلم من الذنوب
ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة وقال صلى الله عليه وسلم
اني لا اعلم شيئا يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار الا امرتكم به ولا اعلم
شيئا يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار الا نهيتكم عنه وان الروح
الامين نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها
وان ابطاء عنها فاتقوا الله واجملوا في الطلب امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالاجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب
ثم قال في آخره ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق على ان تطلبوه
بمعصية الله تعالى فان الله تعالى لا ينال ما عنده بمعصية قيل
لاحمد بن حنبل ما تقول فيمن جلس في بيته او مسجده وقال لا اعمل
شيئا حتى ياتيني رزقي فقال احمد هذا رجل جهل العلم اما سمع قول
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي وقوله
صلى الله عليه وسلم حين ذكر الطير فقال تغدو خماصا وتروح
بطانا فذكر انها تغدو في طلب الرزق وكان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم
قال الفقيه ابو الليث رحمه الله كره بعض الناس الاشتغال
بالكسب وقالوا الواجب على كل انسان الاشتغال بعبادة
الله تعالى والتوكل عليه وحجتهم قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اوحي الي ان اجمع المال وكن من التاجرين
ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد
ربك حتى ياتيك اليقين وقال عامة اهل العلم الكسب بقدر ما يكفيه
ولعياله واجب فان زاد على ذلك فهو مباح ولا يكون
الاشتغال بطلب الزيادة حراما اذا لم يرد به الفخر والرياء انتهى
وقال في احياء العلوم ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه من
السؤال الا الكسب والتجارة فان قلت فقد قال صلى الله
عليه وسلم ما اوحي الي ان اجمع المال وكن من التاجرين ولكن
اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد
ربك حتى ياتيك اليقين وقيل لسلمان الرازي اوصنا
فقال من استطاع منكم ان يموت حاجا او غازيا او عامرا
مسجد ربه فليفعل ولا يموتن تاجرا ولا خائنا فالجواب ان وجه الجمع
بين هذه الاخبار تفصيل الاحوال فنقول لسنا نقول التجارة
افضل مطلقا من كل شيء ولكن التجارة اما ان تطلب بها الكفاية
او الثروة والزيادة على الكفاية فان طلب منها الزيادة
على الكفاية لاستكثار المال وادخاره لا للصرف الى الخيرات
والصدقات فهي مذمومة لانه اقبال على الدنيا التي حبها راس
كل خطيئة فان كان مع ذلك خائنا فهو ظلم وفسوق وهذا ما اراد
سلمان فالتجارة تعففا عن السؤال افضل وان كان لا يحتاج
الى السؤال وكان يعطى من غير سؤال فالكسب افضل لانما يعطى لانه
سائل بلسان حاله ومناد بين الناس بفقره فالتعفف والستر
اولى من البطالة بل من الاشتغال بالاعمال البدنية ترك
الكسب افضل لاربعة عابد بالعبادات البدنية او رجل له سير

سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الاحوال والمكاشفات
او عالم مشتغل بتدبير علم الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي
والمفسر والمحدث وامثالهم او رجل مشتغل بمصالح المسلمين
وقد تكفل امورهم كالسلطان والقاضي والشاهد فهؤلاء
اذا كانوا ياكلون من الاموال المرصدة للمصالح والاوقاف
المسبلة على الفقراء والعلماء وامثالهم على ما هم عليه افضل من الاشتغال
بالكسب ولهذا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه ان سبح
بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح اليه ان يكون من التاجرين
لانه كان جامعا لهذه المعاني الاربعة الى زيادات لا يحيط
بها الوصف ولهذا اشار الصحابة الى ابي بكر رضوان الله
عليهم اجمعين بترك التجارة لما ولي الخلافة اذ كان ذلك
يشغله عن المصالح وكان ياخذ كفايته من مال المصالح وراى ذلك
اولى انتهى وذكر في الاختيار ان الرسل عليهم السلام كانوا يكتسبون
ويأكلون من كسبهم فآدم النبي عليه السلام زرع الحنطة وسقاها
وحصدها وداسها وطحنها وخبزها واكلها ونوح النبي عليه السلام
كان نجارا وابراهيم النبي عليه السلام كان بزازا وداود النبي
عليه السلام كان يصنع الدرع وسليمان النبي عليه السلام كان
يعمل المكتل الى غير ذلك اذا عرفت هذا لزمك ان تعرف العدل
واجتناب الظلم في معاملتك **فصل في الظلم في المعاملة** اعلم
ان الظلم في المعاملة ما يستضر به الغير سواء كان عاما يعم ضرره او خاصا
يخص وهو انواع الاول الاحتكار فبايع الطعام يدخر الطعام
ينتظر به غلاء الاسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم في الشرع
وقد يكون الاحتكار محمودا فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكانما تصدق به وفي
لفظ آخر فكانما اعتق رقبة وقيل في قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد
بظلم نذقه من عذاب اليم ان الاحتكار من الظلم وداخل تحت
الوعيد النوع الثاني ترويج الزيف من الدراهم في ابتداء النقد
فهو ظلم اذ يستضر به المعامل ان لم يعرف وان عرف فيروجه
على غيره وكذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد في الايدي
ويعم الضرر ويشيع الفساد ويكون وزر الكل ووباله راجعا
اليه فانه الذي فتح ذلك الباب قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه
وزرها بعد موته الى مائة سنة او الى مائتين او الى اكثر وهذا الى ان يفنى
ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد ونقص من اموال الناس بسببه
وانه كان ترويج الزيف مما يخصه ضرر الظلم في المعاملة بالمعامل
فكل ما يستضر به المعامل فهو ظلم وانما العدل انه لا يضر باخيه
المسلم ويستوي عنده درهمه ودرهم غيره ولا يحب له الا ما
يحب لنفسه فلا يثني على السلعة بما ليس فيها وانه لا يكتم
من عيوبها وخفايا صفاتها شيئا اصلا وان لا يكتم في وزنها
ومقدارها شيئا وانه لا يكتم من سعرها ما لو عرفه المعامل لامتنع عنه
فانه وصف السلعة بما ليس فيها فهو كذب فانه قبل فهو
تلبيس وظلم واما اظهار جميع عيوب المبيع خفيها وجليها
فواجب فانه اخفاه كان ظالما غاشا والغش حرام ويدل
على تحريم الغش ما روي انه صلى الله عليه وسلم مر برجل يبيع طعاما فاعجبه
فادخل يده فراه بللا فقال صلى الله عليه وسلم ما هذا فقال اصابته
السماء فقال صلى الله عليه وسلم هلا جعلته فوق الطعام حتى يراه

يراه الناس من غشنا فليس منا وكان تاركا للنصح في المعاملة
والنصح واجب ويدل على وجوب النصح باظهار العيوب
ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الاسلام ذهب
لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم فكان جرير
اذا قام الى السلعة يبصر عيوبها ثم خيره وقال ان شئت فخذ وان
شئت فاترك فقيل له انك اذا فعلت هكذا لم ينفذ لك بيع
قال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل
مسلم وقد سبق حكاية جرير رضي الله عنه وكان واثلة
ابن الاسقع واقفا فباع رجل ناقة بثلثمائة درهم فغفل واثلة
وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح به وقال
يا هذا اشتريتها للحم او للظهر فقال بل للظهر فقال ان بخفها
نقبا قد رأيته وانها لا تتابع السير فعاد فردها فنقصها
البايع مائة درهم وقال لواثلة رحمك الله افسدت علي بيعي
فقال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم
وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لاحد
يبيع بيعا الا يبين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا يبينه فقد فهموا
من النصح انه لا يرضى لاخيه الا ما يرضاه لنفسه ولم يعتقدوا
ان ذلك من الفضائل وزيادة المعاملات بل اعتقدوا
انها من شروط الاسلام الداخلة تحت بيعته فالنصح والصدق
لازم على المتبايعين وقد ورد في الحديث يد الله تعالى
على الشريكين ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما فاذا لا يزيد
مال من خيانته كما لا ينقص من صدقة ومن يعرف الزيادة والنقصان
بالميزان لم يصدق بهذا الحديث ومن عرف ان الدرهم الواحد

يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان في الدين والدنيا
والآلاف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى يكون سببا
لهلاك مالكه فيعرف معنى ان الخيانة لا تزيد في المال والصدقة
لا ينقص منه على انه كل مؤمن يعتقد ويعلم ان ربح الآخرة
خير من ربح الدنيا وان فوائد اموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر
وتبقى مظالمها واوزارها فكيف يستجيز العاقل ان يستبدل الذي
هو ادنى بالذي هو خير والخير كله في سلامة الدين قيل في تفسير اخلاص
كلمة لا اله الا الله في قوله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله
مخلصا دخل الجنة حين سئل ما اخلاصها قال تحرزه عما حرم
الله فينبغي لصاحب الصنعة ان يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين
عيبها ان كان فيها عيب وانه يكيل كما يكتال قال الله
تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون
واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون وكان بعضهم يقول لا اشتري
الويل من الله بحبة فكان اذا اخذ نقص نصف حبة واذا اعطى
زاد حبة وكان يقول الويل لمن باع بحبة جنة عرضها السموات
والارض وما اخسر من باع طوبى بويل وانما بالغوا في الاحتراز
عنه لانها مظالم لا يمكن التوبة منها اذ لا يعرف اصحاب
الحبات حتى يجتمع ويؤدي حقوقهم وينبغي ان يحترز عن الكذب
كل الاحتراز وانه يصدق في سعر الوقت ولا يخفي منه شيئا
فعليك الاحتراز ان يغتنم فرصته وينتهز غفلة صاحب المتاع
ويخفي من البايع غلاء ومن المشتري تراجع الاسعار

فصل

في الاحسان في المعاملة اعلم ان الاحسان يجري من التجارة
مجرى الربح كما ان عدم الظلم وهو العدل يجري من التجارة مجرى
سلامة راس المال وقد امر الله تعالى بالعدل والاحسان
جميعا فلا يغش من هو عاقل قانع في معاملات الدنيا براس ماله
فكذا معاملات الآخرة فلا يقتصر المتدين في الاستمار باحد
الامرين فيعامل بالعدل ويدع ابواب الاحسان
قال الله تعالى واحسن كما احسن الله اليك وقال تعالى ان
الله يامر بالعدل والاحسان وقال تعالى ان رحمة الله
قريب من المحسنين والمراد ههنا من الاحسان فعل ما ينتفع به
المعامل وهو غير واجب عليه بل هو تفضل منه فان الواجب
يدخل في باب العدل وترك الظلم فمن اراد ان ينال رتبة
الاحسان فعليه بواحد من ستة امور الاول في المغابنة فينبغي
انه لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به في العادات فان اصل
المغابنة ماذون فيه لان البيع للربح ولا يمكن ذلك الا بغبن ما
ولكن يراعى فيه التقريب فانه بذل المشتري بزيادة على الربح
المعتاد اما لشدة رغبته او لشدة حاجته في الحال فينبغي
انه يمتنع من قبوله وذلك من الاحسان ومهما لم يكن تلبيس لم يكن
اخذ الزيادة ظلما والثاني في احتمال الغبن فيتساهل ويكون
به محسنا فاما اذا اشترى من غني تاجر يطلب الربح زيادة
على حاجته فاحتمال الغبن منه ليس محمودا بل هو تضييع مال
من غير اجر ولا حمد والثالث في استيفاء الثمن وساير الديون
والاحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالامهال او مرة
بالمساهلة في طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب اليه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمح يسمح لك وذكر صلى
الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له

حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا اني كنت رجلا
اداين الناس فاقول لفتياني سامحوا الموسر وانظروا المعسر وفي لفظ
اخر وتجاوزوا عن المعسر فقال الله تعالى نحن احق بذلك
منك فتجاوز الله عنه وغفر له والرابع توفية الدين قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم احسنكم قضاء ومهما قدر
على قضاء الدين فليبادر اليه ولو قبل وقته وليسلم اجود
مما شرط عليه واحسن وان عجز فلينو قضاءه مهما قدر قال
صلى الله عليه وسلم من ادان دينا وهو ينوي قضاءه وكل به ملائكة
يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه وكان جماعة من السلف
يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما كلمه صاحب الحق بكلام
خشن فليحتمله وليقابله باللطف اقتداء برسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ جاءه صاحب الدين عند حلول الاجل ولم يكن
ما قد اتفق قضاؤه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهم به اصحابه فقال صلى الله عليه وسلم دعوه
فان لصاحب الحق مقالا ومهما دار الكلام بين المستقرض
والمقرض فالاحسان ان يكون الميل اكثر من المتوسط الى من عليه الدين
فان المقرض يقرض عن غنى والمستقرض يستقرض عن حاجة والخامس
ان يقيل من يستقيله فانه لا يستقيل الا متندم مستضر بالبيع فلا ينبغي
ان يرضى لنفسه ان يكون سبب استضرار اخيه المسلم قال صلى
الله عليه وسلم من اقال نادما صفقته اقال الله عثرته يوم القيمة
والسادس ان يقصد في معاملته من الفقراء بالنسيئة وهو في الحال
على انه لا يطالبهم ان لم يظهر لهم ميسرة فقد كان في صالحي السلف
من يقول لمن يعرف من الضعفاء والفقراء خذ ما تريد فان يسر لك

لك فاقض والا انت في حل منه وسعة فاجهد ان يكون قائما
لذلك محييا لهذه السنة يوسع الله عليك فبالتجارة يمتحن
الرجال دينها وورعها ولذلك قيل اذا اثنى على رجل جيرانه
في الحضر واصحابه في السفر ومعاملوه في الاسواق فلا تشكوا
في صلاحه وشهد عند عمر رضي الله عنه شاهد فقال ائتني بمن
يعرفك فاتاه برجل فاثنى عليه خيرا فقال له عمر انت جاره
الادنى الذي يعرف مدخله ومخرجه فقال لا فقال كنت رفيقه
في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال
عاملته بالدرهم والدينار الذي به يستبين ورع الرجل فقال لا
فقال اظنك رأيته قائما في المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طورا
ويرفعه اخرى قال نعم قال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل
اذهب فائتني بمن يعرفك **فصل** في شفقة التاجر على دينه
قال بعض السلف اولى الاشياء بالعاقل احوجها اليه في العاجل واحوج
شيء اليه في العاجل احمد عاقبة في الاجل وقال الله تعالى ولا تنس
نصيبك من الدنيا اي لا تنس في الدنيا نصيبك منها للآخرة
فانها مزرعة الآخرة وفيها تكتسب الحسنات **اعلم** وفقك الله
ان شفقة التاجر لا تتم الا بمراعاة سبعة امور الاول حسن النية
والعقيدة في ابتداء التجارة فلينو بها الاستعفاف عن السؤال
وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم واستعانة بما
يكتسبه على الدين وقياما بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين
به ولينو النصح للمسلمين وان يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه ولينو
طريق العدل والاحسان في معاملته ولينو الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر في كل ما يراه في السوق فاذا اضمر هذه النيات كان عاملا في طر

الآخرة فربح في الدنيا والآخرة والثاني انه يقصد القيام في صنعته
او تجارته بفرض من فروض الكفايات اذ الصناعات والتجارات
لو تركت بطلت المعايش وليس انتظام امر الكل ويكفل كل [انتظام امر الكل]
فريق بعمل وعلى هذا حمل بعض الناس قوله صلى الله عليه وسلم اختلاف
امتي رحمة اي اختلاف هممهم في الصناعات والحرف اللازمة واما الحرف
الغير اللازمة فلا يدخل فيها كتصوير الحيوانات مثلا وفي صحيح
البخاري عن عبد الله رضي الله عنه مرفوعا قال سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول ان اشد الناس عذابا عند الله عز وجل
المصورون وفي رواية ابن عمر رضي الله عنهما ان الذين يصنعون
هذه الصور يعذبون يوم القيمة يقال لهم احيوا ما خلقتم وروي
هذا الحديث في صحيح المسلم ان من اشد الناس عذابا يوم القيمة
المصورون حتى وجه البعض بان الاصل انه اي الشان وقال
ابن مالك وجهه الكسائي بزيادة من في اسم ان ورده صاحب
المغني بان الكلام موجب والمجرور معرفة وبان المعنى يأباه لانهم
ليسوا اشد عذابا يوم القيمة من سائر الناس واجيب بانه
اختلف نسخ صحيح مسلم ففي بعضها المصورين وهي الاكثر وفي بعضها
المصورون وان معنى الحديث على سبيل المبالغة والرد عليهم
وقيل المراد ههنا من يصور ما يعبد من دون الله وهو عارف
بذلك قاصدا له فانه يكفر بذلك بقي فيه احتمال ان يكون
من للتبعيض كما قالوا في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله
انه مبتدأ اي وبعض الناس من يقول آمنا بالله والثالث ان لا يمنع
صنعته وتجارته عن ذكر الله وعن المساجد وعن الزكوة قال
الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة

الصلوة وايتاء الزكوة الآية فيلازم المسجد ويواظب على ذكر
الله تعالى وكان عمر رضي الله عنه يقول للتجار اجعلوا اول نهاركم
لآخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحو السلف يجعلون اول
النهار وآخره للمعاد والوسط للمعاش والرابع انه لا يقتصر بل
يلازم ذكر الله تعالى في اكثر الاوقات بل في السوق فذاكر الله تعالى
في السوق كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كالشجرة الخضراء بين
الهشيم وكان عمر رضي الله عنه يقول اذا دخل السوق اللهم
اني اعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما احاطت به السوق
اللهم اني اعوذ بك من عين فاجرة وصفقة خاسرة وقال صلى الله
عليه وسلم من دخل السوق وقال لا اله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير
وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنة والخامس ان لا يكون
شديد الحرص على السوق والتجارة وذلك بان يكون
اول داخل وآخر خارج والسادس انه لا يقتصر على اجتناب
الحرام بل يتقي مواضع الشبهة ومظان الريب قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى امر المؤمنين بما امر به
المرسلين فقال تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا
صالحا فالله سبحانه وتعالى امر بالاكل من الطيبات قبل العمل
قيل المراد بالطيب الحلال وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا كلوا
من طيبات ما رزقناكم والسابع ينبغي ان يراقب جميع مجاري
معاملته مع كل واحد من معامليه ولا يذهب الى الباطل قال
الله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الآية وقال تعالى ان
الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا

وسيصلون سعيرا وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين وقال تعالى فان لم تفعلوا
فأذنوا بحرب من الله ورسوله ثم قال وان تبتم فلكم رؤس اموالكم
ثم قال عز وجل ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
جعل آكل الربوا في اول الامر مؤذنا بمحاربة الله عز وجل وفي آخره
متعرضا للنار وقال صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من الحرام فالنار
اولى به وقال صلى الله عليه وسلم من لم يبال من اين اكتسب المال
لم يبال الله عز وجل من اين ادخله النار وقال صلى الله عليه وسلم
خير دينكم الورع ويروى ان الله تعالى قال في بعض كتبه واما
الورعون فاني استحيي ان احاسبهم وفي حديث ابي هريرة رضي
الله عنه المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا
صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا سقمت صدرت
بالسقم ومثل الطعمة في الدين مثل الاساس من البنيان فاذا
ثبت الاساس وقوي استقام البناء وارتفع واذا ضعف
الاساس واعوج انهار البنيان ووقع وقد قال الله تعالى
افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان الآية وروي
ان الصديق رضي الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل
عبده فقال تكهنت لقوم فاعطوني فادخل اصبعه في فيه
وجعل يقيء حتى ظننت ان نفسه ستخرج ثم قال اللهم
اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما اخبر بذلك قال اوما علمتم ان
الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا ويقال من اكل الشبهة اربعين
يوما اظلم قلبه وهو تأويل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا

ما كانوا يكسبون فينبغي ان تحترز على كل حال لانك بهذه الامة
خير الامم فانت من هذه الامة والخيرية صفتك قال صلى الله
عليه وسلم مثل امتي كمثل المطر لا يدرى اوله خير ام آخره واما
التوفيق بين قوله هذا وبين قوله خير القرون من انا فيهم ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب فلعل المراد في الحديث
الثاني من حيث حصولها بمشاهدة نور النبوة ومجاورته الذي
هو كالايمان بالشهادة او قريب منها وفي الحديث الاول
من حيث حصولها بقوة العقيدة من جهة انه الايمان بالغيب
اعلم ان تفصيل اصناف الحلال والحرام مبين في كتب الفقه
ويعلم منه مراتب الشبهات ومنازلها وتمييزها عن الحلال
والحرام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام
بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى
الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات
وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه فاذا
عرفت هذا تعرف ان المجهول الذي لا يدرى حاله لا يقول
انه مشكوك فيه لان الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين
لهما سببان متقابلان والفرق بين ما لا يدرى وبين ما يشك فيه
ظاهر والورع ترك ما لا يدرى قال في احياء العلوم تكلم جماعة
في اشد الاعمال فقالوا هو الورع فقال لهم حسان بن ابي سنان ما شيء
عندي اسهل من الورع اذا حاك في صدري شيء تركته فهذا
شرط الورع وانما نذكر الآن حكم الظاهر فنقول حكم الشرع ان
المجهول ان قدم اليك طعاما او حمل اليك هدية او اردت
ان تشتري من دكانه شيئا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما

ولالتانه كافيتان في الهجوم على اخذه وليس لك ان تقول
الفساد والظلم غالب على الناس فهذا وسوسة وسوء ظن بهذا
المسلم بعينه وان بعض الظن اثم وهذا المسكين يستحق باسلامه
عليك ان لا تسيء الظن به فانه اساءة الظن في عينه لانك
رايت فسادا من غيره فقد جنيت عليه واثمت به في الحال
من غير شك ويدل عليه انا نعلم ان الصحابة في غزواتهم واسفارهم
كانوا ينزلون في القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد
ولا يحترزون من الاسواق وكان الحرام ايضا موجودا في زمانهم
وما نقل عنهم سوال الا عن ريبة اذ كان النبي صلى الله عليه وسلم
لا يسال عن كل ما يحمل اليه بل سال في اول قدومه الى المدينة عما يحمل اليه
اصدقة او هدية لان قرينة الحال وهو دخول المهاجرين الى المدينة
وهم فقراء يغلب على الظن انه ما يحمل اليهم بطريق الصدقة ثم اسلام
المعطي ويده لا يدل على انه ليس بصدقة وكان يدعى الى
الضيافات فيجيب ولا يسال اصدقة ام لا اذ العادة ما جرت
بالتصدق بالضيافة ولذلك دعته ام سليم فيما رواه انس
ابن مالك وقدم اليه طعام فيه قرع فاذا عرفت هذا فاعلم ان
كل مومن اخوة فمقتضى الاخوة ان يكون المعاملة مطابقة للشرع
في جميع الاحوال فحق الاخوة بين المومنين ثابت قال الله تعالى
انما المومنون اخوة الاية فارشدهم لمصالحهم في اوليهم واخريهم
انما يكون بمراعاة حقها فالله سبحانه وتعالى يوفقنا لما يحب ويرضى
وهو يهدي السبيل

الباب الثاني في كف الاذى عنهم

اعلم وفقك
الله تعالى انه كف الاذى كما علم في المقصد الاول من شعب الايمان
حتى ان اماطة الاذى عن الطريق منه وذلك لان كل

مومن اخوة والرابطة هي الدين والتقوى ومقتضى الاخوة في الدين
انه يحب كل مومن لكل مومن ما يحبه لنفسه ويكره ويترك له ما
يكرهه ويتركه لنفسه قال الله تعالى انما المومنون اخوة وقال
تعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا وقال عليه الصلوة والسلام في الثناء
على الاخوة في الدين من اراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا
ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وقال صلى الله عليه وسلم مثل
الاخوين اذا التقيا مثل اليدين يغسل احديهما الاخرى
وما التقى المومنان قط الا افاد الله احدهما من صاحبه خيرا
وقال ابو ادريس الخولاني لمعاذ اني احبك في الله فقال
له ابشر فاني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطائفة
من الناس كراسي حول العرش يوم القيمة وجوههم كالقمر ليلة
البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون
وهم اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هولاء
يا رسول الله فقال هم المتحابون في الله عز وجل اعلم ان تمييز
معنى الاخوة في الله عز وجل عن الاخوة في الدنيا يحتاج الى البصيرة
يروى ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام هل عملت لي
عملا قط فقال الهي صليت لك وصمت وتصدقت فقال
انه لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والذكر نور
فاي عمل عملت لي قال موسى الهي دلني على عمل هو لك قال
يا موسى هل واليت في وليا وهل عاديت في عدوا فعلم
موسى انه افضل الاعمال الحب في الله والبغض في الله وقال
ابن مسعود رضي الله عنه لو ان رجلا قام بين الركن والمقام
يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيمة مع من يحب وحاصل

على داود الطائي روح الله روحه فقال له ما حاجتك فقال
زيارتك فقال اما انت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن
انظر لما ذا اذا قيل لي من انت امن الزهاد انت لا والله امن
العباد انت لا والله امن الصالحين انت لا والله ثم اقبل
يوبخ نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقا فلما شخت صرت
مرائيا والله المرائي شر من الفاسق وقال الفضيل نظر الرجل الى وجه
اخيه على المودة والرحمة عبادة قال في احياء العلوم اعلم ان
الحب في الله والبغض في الله غامض وينكشف الغطاء
عنه بما نذكره وهو ان الصحبة تنقسم الى ما يقع بالاتفاق
كالصحبة بسبب الجوار او بسبب الاجتماع في المكتب او في المدرسة
او في السوق او على باب السلطان او في الاسفار او الى ما
ينشأ باختيار او بقصد وهو الذي نريد بيانه اذ الاخوة
في الدين واقعة في هذا القسم لا محالة اذ لا ثواب الا على الافعال
الاختيارية ولا ترغيب الا فيها والصحبة عبارة عن المجالسة
والمخالطة والمجاورة وهذه الامور لا يقصد الانسان بها غيره
الا اذا احبه فان غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا يقصد
مخالطته والذي يحب فاما ان يحب لذاته لا ليتوصل به
الى محبوب ومقصود وراءه واما ان يحب للتوصل به الى
مقصود وذلك المقصود اما ان يكون مقصورا على الدنيا
وحظوظها واما ان يكون متعلقا بالله تعالى فهذه اربعة اقسام
اما القسم الاول وهو حبك الانسان لذاته فذلك ممكن وهو
انه يكون في ذاته محبوبا عندك على معنى انك تلتذ برؤيته ومعرفته و
مشاهدة اخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذيذ في حق

في حق من ادرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان
والاستحسان يتبع المناسبة والملاءمة والموافقة بين الطباع
ثم ذلك المستحسن اما ان يكون هو الصورة الظاهرة اعني حسن الخلقة
واما ان يكون هي الصورة الباطنة اعني كمال العقل وحسن الخلق
ويتبع حسن الاخلاق حسن الافعال لا محالة ويتبع كمال العقل
غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم
وكل ذلك مستحسن مستلذ به ومحبوب بل في ائتلاف القلوب

اي مما ذكر من الاقسام الاربعة اعني
حبك الانسان لذاته او للتوصل به
الى مقصود وذلك المقصود اما ان يكون
مقصورا على الدنيا وحظوظها
واما ان يكون متعلقا
بالله تعالى
منه

امر اغمض من هذا فانه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحظة
صورته وحسن في خلق وخلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة
والموافقة فان شبه الشيء ينجذب اليه بالطبع والاشباه الباطنة
خفية ولها اسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع
عليها انتهى فاذا عرفت هذا عرفت انه من يحب في الله يحب
لانه مطيع لله تعالى ومحبوب عند الله تعالى فمن احب بسبب فبالضرورة
يبغض لضده اذ المتلازمان لا ينفصل احدهما عن الآخر
واما اذا اختلطت الطاعات بالمعاصي فانك تقول كيف اجمع بين
البغض والمحبة وهما متناقضان وتتناقض ثمرتهما من الموافقة
والمخالفة والموالاة والمعاداة فاجاب صاحب احياء العلوم ان
ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما لا يتناقض في الحظوظ البشرية
فانه مهما اجتمع في شخص واحد خصال تحب بعضها وتكره بعضها
فانك تبغضه من وجه وتحبه من وجه فمن له ولد ذكي خدوم
ولكنه فاسق فانه يحبه من وجه ويبغضه من وجه فيكون معه
على حالة بين حالتين اذ لو فرض له ثلثة اولاد احدهم ذكي
بار والآخر بليد عاق والآخر بليد بار او ذكي عاق فانه يصادف

نفسه معهم على ثلثة احوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم
وكذلك ينبغي ان يكون حالك بالاضافة الى من غلب عليه الفجور
ومن غلب عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلث
مراتب وذلك بان تعطي كل صفة حظها من البغض والحب
والاعراض والاقبال والصحبة والقطيعة وسائر الافعال
الصادرة عليه منه وروي في غريب التفسير في قوله تعالى
ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله
قال يشفعهم في اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ويقال اذا غفر
للعبد شفع في اخوانه ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة
والالفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد فهذه فوائد
تستدعي كل فائدة شروطا لا تحصل الا بها ولا يخفى تفصيلها
اما على الجملة فينبغي ان يكون فيمن يؤثر صحبته خمس خصال بان يكون
عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا
اما العقل فهو رأس المال وهو الاصل فلا خير في صحبة الاحمق
اذ الى القطيعة والوحشة ترجع عاقبتها وان طالت كيف والاحمق
قد يضرك وهو يريد نفعك واعانتك من حيث لا يدري
ولذلك قيل مقاطعة الاحمق قربان الى الله تعالى وقال بعض العلماء
لا تصحب الا احد رجلين رجل تتعلم منه شيئا من امر دينك فينفعك
ورجل تعلمه شيئا من امر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه
وقال بعضهم الناس اربعة فواحد حلو كله فلا تشبع منه وآخر
مر كله فلا تاكل منه وآخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل ان يأخذ منك
وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق
رضي الله عنه لا تصحب خمسة الكذاب فانك منه على غرور

وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب
والاحمق فانك لست منه على شيء يريد ان ينفعك فيضرك
والبخيل فانه يقطع بك احوج ما تكون اليه والجبان فانه يسلمك
ويسلم نفسه عند الشدة والفاسق فانه يبيعك باكلة او اقل منها
وقال الجنيد روح الله روحه لان يصحبني فاسق حسن الخلق احب
الي من ان يصحبني قارئ سيء الخلق وقال سهل بن عبد الله
اجتنب صحبة ثلثة من اصناف الناس الجبابرة الغافلين والقراء
المداهنين والمتصوفة الجاهلين وقال بشر الحافي روح
الله روحه الاخوة ثلث اخ لآخرتك واخ لدنياك واخ
لتأنس به وقل ما تجتمع هذه المقاصد في واحد بل تتفرق على جمع
فتتفرق الشروط فيهم لا محالة وقد قال المأمون الاخوان
ثلثة احدهم مثله مثل الغذاء لا تستغني عنه والآخر مثله مثل الدواء
يحتاج اليه في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج
اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذي لا انس فيه ولا نفع وقد
قيل مثل جملة الناس مثل الشجر والنبات فمنها ما له ظل وليس له ثمر
وهو مثل الذي ينتفع به في الدنيا دون الآخرة فان نفع الدنيا
كالظل السريع الزوال ومنها ما له ثمر وليس له ظل وهو مثل الذي
يصلح للآخرة دون الدنيا ومنها ما له ثمر وظل جميعا وهو مثل الذي
يصلح للدنيا والآخرة ومنها ما ليس له واحد منهما كام غيلان
تمزق الثياب لا طعم فيه ولا شراب ومثاله من الحيوانات الفارة
والعقرب كما قال تعالى يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى
ولبئس العشير فمن لم يجد رفيقا يؤاخيه ويستفيد به احدى هذه المقاصد
فالوحدة اولى به قال ابو ذر رضي الله عنه الوحدة خير من جليس السوء

والجليس الصالح خير من الوحدة واما الديانة وعدم الفسق فقد
قال تعالى واتبع سبيل من اناب الي قيل لا تنظر والى الظلمة
فتحبط اعمالكم الصالحة بل هولاء لا سلامة في مخالطتهم وانما السلامة
بحسن العاقبة في الانقطاع عنهم على حسب ما هم عليه قال الله
تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي سلامة ومعناه انا سلمنا
من اثمكم وانتم سلمتم من شرنا نعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات
اعمالنا فصل اعلم ان مقتضى الاخوة حقوق فاذا رمت الوفاء بها
حقا في المال وفي النفس وفي اللسان وفي القلب بالعفو والدعاء
والاخلاص والوفاء وترك التكلف والتكليف اما الاول
ففي المال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الاخوين اذا
التقيا مثل اليدين يغسل احديهما الاخرى وانما شبههما باليدين
لا باليد والرجل لانهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الاخوان
انما تتم اخوتهما اذا ترافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد
وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء وجاء رجل الى ابي هريرة
رضي الله عنه فقال اني اريد ان اواخيك في الله تعالى فقال اتدري
ما حق الاخاء قال عرفني قال انه لا تكون احق بدينارك ودرهمك
مني فقال لم ابلغ هذه المرتبة بعد قال فاذهب عني وروي ان
مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن رحم
الله ارواحهم وكان غائبا فاخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام
من تحت سرير الحسن فجعل ياكل فقال له مالك كف يدك
حتى يجي صاحب البيت فلم يلتفت محمد الى قوله واقبل على الاكل
وكان ابسط منه واحسن خلقا فدخل الحسن فقال يا مالك هكذا
كنا لا نحتشم بعضنا من بعض حتى ظهرت انت واصحابك واشار

واشار بهذا الى ان الانبساط في بيوت الاخوان من الصفاء في
الاخوة واما الثاني ففي الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام
بها قبل السوال وتقديمها على الحاجات الخاصة وفي الاثر ما زار
رجل اخا في الله شوقا الى لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت
وطابت لك الجنة وقال عطاء تفقدوا اخوانكم بعد ثلاث
فان كانوا مرضى فعودوهم او مشاغيل فاعينوهم او كانوا نسوا
فذكروهم قيل لجليسي علي ثلاث اذا دنا رحبت به واذا حدث
اقبلت عليه واذا جلس اوسعت له وقد قال تعالى رحماء بينهم
اشارة الى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة ان لا ينفرد بطعام
واما الثالث ففي اللسان بالسكوت مرة والنطق اخرى
اما السكوت فهو ان يسكت عن ذكر عيوبه في حضرته وغيبته
بل يتغافل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به فلا يماريه
ولا يناقشه ثم ان الغيبة ثلثة اضرب الاول ان يغتاب ويقول
لست اغتاب لاني اذكر ما فيه فهذا ان استحل الحرام القطعي
لقوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا فقد كفر وان اراد انه ذكر
الفاجر بما فيه فلا والواجب ان لا يقوله لان بعض الفقهاء حكم
بالكفر على ظاهره والثاني ان يغتاب ويبلغ غيبته المغتاب
فهذه معصية فيها حق العبد فلا بد مع التوبة من الاستحلال
من المغتاب والثالث ان يغتاب ولم تبلغه فيكفيه التوبة
والاستغفار وان يسكت عن التجسس والسوال عن احواله
واذا راه في طريق او في حاجة ولم يفاتحه بذكر غرضه ومصدره
ومورده فلا يسأله عنه فربما يثقل عليه ذكره او يحتاج
الى ان يكذب فيه وان يسكت عن اسراره التي بثها اليه فلا

الى غيره البتة ولا الى اخص اصدقائه ولا يكشف شيئا منه
ولو بعد القطيعة والوحشة فان ذلك من لؤم الطبع وخبث
الباطن وان يسكت عن القدح في احبابه واهله وولده
وانه يسكت عن حكاية قدح غيره فيه فان الذي سبك من بلغك
قال انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجه
احدا بشئ يكرهه والتاذي اولا من المبلغ ثم من القائل نعم
لا ينبغي ان لا يخفي ما يسمع من الثناء عليه فان السرور به اولا
من مبلغ المدح ثم من القائل واخفاء ذلك من الحسد وبالجملة
فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا الا اذا وجب
عليه النطق في امر بمعروف او نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت
فان ذلك لا يبالي بكراهيته لان ذلك نظر له واحسان
اليه في التحقيق وانه كان يظن انها اساءة في الظاهر اما
ذكر مساويه وعيوبه ومساوي اهله فهو من الغيبة وذلك
حرام في حق كل مسلم وقال صلى الله عليه وسلم المجالس بالامانة
الا ثلثة مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه
فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال حرام او من غير حله واما الرابع
فعلى اللسان النطق فان الاخوة كما تقتضي السكوت عن المكاره
يقتضي ايضا النطق بالمحاب بل هو اخص بالاخوة والسكوت
معناه كف الاذى فعليه ان يتودد بلسانه ويتفقد احواله
التي يحب ان يتفقدها فانه اخبار المحبة قال صلى الله عليه وسلم
اذا احب احدكم اخاه فليخبره وانما امر بالاخبار لان ذلك
يوجب زيادة حب فانه عرف انك تحبه احبك بالطبع فاذا
عرفت انه يحبك زاد حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين

من الجانبين والتحابب بين المؤمنين محبوب في الدين وقال
عليه السلام تهادوا وتحابوا واما الخامس فالعفو بالقلب
عن الزلات والهفوات وهفوة الصديق لا تخلو اما ان تكون
في دينه بارتكاب معصية او في حقك بتقصير في الاخوة اما
ما يكون في الدين بارتكاب معصية واصرار عليها فعليك
التلطف في نصحه بما يجمع شمله ويعيد الى الصلاح حاله فان لم يقدر
وبقي مصرا فقد اختلف طرق الصحابة والتابعين في ادامة حق
مودته او مقاطعته فذهب ابو ذر رضي الله عنه الى الانقطاع
وقال اذا انقلب اخوك عما كان عليه فابغضه من حيث
احببته وراى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في الله
واما ابو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا الى خلافه فقال
ابو الدرداء رضي الله عنه اذا تغير اخوك وحال عما كان
عليه فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم
اخرى وقال النخعي لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب
بذنبه فانه يركبه اليوم ويتركه غدا وقال ايضا لا تحدثوا
الناس بزلة العالم فان العالم يزل الزلة ثم يتركها وفي الخبر
اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئه وفي حديث
عمر رضي الله عنه وقد سئل عن اخ كان اخاه فخرج الى الشام
فسال عنه بعض من قدم عليه وقال ما فعل اخي فقال ذاك
اخو الشيطان فقال مه قال انه قارف الكبائر حتى وقع
في الخمر فقال اذا اردت الخروج فآذني فكتب عند خروجه
اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم
غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول

لا اله الا هو اليه المصير ثم عاتبه بنحو ذلك وعذر له فلما قرا الكتاب
بكى وقال صدق الله ونصح لي عمر وتاب ورجع وقال ابو سليمان
الداراني لاحمد بن ابي الحواري اذا احببت اخا في هذا الزمان فلا تعاتبه
على ما يكرهه فانك لا تامن ان ترى في جوابك ما هو شر من الاول
قال فجربته فوجدته كذلك وقال بعضهم الصبر على مضض الاخ
خير من معاتبته والمعاتبة خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة
وينبغي ان لا يبالغ في البغض عند الوقيعة قال الله تعالى عسى الله
ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة وروي انه قال
صلى الله عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك
يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقال
عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا واما السادس
فالدعاء للاخ في حيوته وبعده بكل ما يحبه لنفسه ولاهله وكل متعلق
به فتدعو له كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك ونفسه فان
دعاءك له دعاء لنفسك فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا
دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك
واما السابع فالوفاء والاخلاص ومعنى الوفاء الثبات على الحب
وادامته قال صلى الله عليه وسلم في السبعة الذين يظلهم
الله تحت ظل عرشه اخوين تحابا في الله اجتمعا على ذلك
وتفرقا وروي انه صلى الله عليه وسلم اكرم عجوزا دخلت عليه
فقيل له في ذلك فقال صلى الله عليه وسلم انها كانت تاتينا
ايام خديجة وان كرم العهد من الايمان وفي لفظ آخر حسن العهد من الايمان
فمن الوفاء مراعاة جميع اصدقائه واقاربه والمتعلقين به فيدل
على قوة الشفقة والحب تعديهما من المحبوب الى كل من يتعلق به

يتعلق به واما الثامن فالتخفيف وترك التكلف والتكليف
وذلك بان لا يكلف اخاه ما يشق عليه قيل من جعل نفسه عند
الاخوان فوق قدره اثم واثموا ومن جعل نفسه في قدره تعب
واتعبهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا وتمام التخفيف
بطي بساط التكليف حتى لا يستحيي منه فيما لا يستحيي من نفسه
وقال الجنيد روح الله روحه ما تواخى اثنان في الله عز وجل فاستوحش
احدهما من صاحبه او احتشمه الا لعلة في احدهما وقال علي رضي
شر الاصدقاء من تكلف لك ومن احوجك الى مداراة
والجاك الى اعتذار واعلم ان الناس ثلثة رجل تنتفع بصحبته
ورجل تقدر على ان تنفعه ولا تتضرر به ولكن لا تنتفع به
ورجل لا تقدر ايضا على ان تنفعه وهو الاحمق او السيء الخلق
فهذا الثالث ينبغي ان تجتنب فاما الثاني فلا تجتنب لانك
تنتفع بشفاعته وبدعائه وبثوابك على القيام به وقد
اوحى الله تعالى الى موسى ان اطعتني فما اكثر اخوانك اي ان واسيتهم
واحتملت منهم وقال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع
بيني وبينهم خلاف لاني كنت معهم على نفسي ومن هذه سمته
كثر اخوانه وقد قيل من سقطت كلفته دامت الفته ومن خفت
مؤنته دامت مودته وقال صلى الله عليه وسلم انا والاتقياء من
امتي برآء من التكلف وقال ابو معاوية الاسود اخواني كلهم خير مني
قيل وكيف قال كلهم يرى ان لي الفضل على نفسه ومن فضلني
على نفسه فهو خير مني وقد قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله
ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له فاذا عرفت هذا
فعليك بحسن الخلق فمن كان نظره الى صحبة الخلق فتارة يعوج

وتارة يستقيم ومن كان نظره الى الحق لزم الاستقامة في كل
حال وزين باطنه بالحب لله وللخلقه وزين ظاهره بالعبادة
لله والخدمة لعباده فانهما اعلى انواع الخدمة اذ لا وصول
اليها الا بحسن الخلق ويدرك العبد بحسن خلقه درجة القائم الصائم
وبه كف الاذى عن العباد والله تعالى ولي التوفيق والارشاد

الباب الثالث في تعليم ما جهلوا اعلم ايدك الله بفضل منه انه

لا انه ان يحتاج في تعيشه الى مخالطة من هو من جنسه ولا يتم
امر المخالطة الا بعد تعلم ادب المخالطة وكل مخالط ففي مخالطته ادب
والادب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته التي بها وقعت
المخالطة والرابطة اما القرابة وهي اخصها او اخوة الاسلام
وهي اعمها واما الجوار واما صحبة السفر واما الصحبة في شركة التعلم
فلكل واحد من الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق
الرحم المحرم اكد وللرحم المحرم حق ولكن حق الوالدين اكد
وكذلك حق الجار يختلف بحسب قربه من الدار وبعده ويظهر
التفاوت عند النسبة وكذلك حق المسلم يتاكد بتاكد المعرفة
وللمعارف درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي
عرف بالسماع والمعرفة بعد وقوعها تتاكد بالاختلاط وكذلك
الصحبة تتفاوت درجاتها فحق الصحبة في شركة التعلم اكد من حق
صحبة السفر وكذلك الصداقة تتفاوت فانها اذا قويت
صارت اخوة فان ازدادت صارت محبة ثم خلة والمحبة
ما يتمكن من حبة القلب والخلة ما يتخلل نفس القلب فمعنى كون
الخلة فوق الاخوة ان لفظ الخلة عبارة عن حالة هي اتم من
الاخوة قال عليه الصلوة والسلام لو كنت متخذا خليلا لاتخذت

لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله اذ الخليل هو
الذي يتخلل الحب جميع اجزاء قلبه ظاهرا وباطنا ويستوعبه ولم
يستوعب قلبه صلى الله عليه وسلم سوى حب الله تعالى وقد
منعته الخلة عن الاشتراك فيه مع انه اتخذ عليا رضي الله عنه اخا
وكان صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليله وروي انه صعد المنبر
يوما مستبشرا فرحا فقال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابرهيم
خليلا فانا حبيب الله وانا خليل الله فاذا ليس قبل المعرفة رابطة
ولا بعد الخلة درجة وبالجملة فحقوق الاسلام كثيرة ومن جملتها حق
اخوة الاسلام وحق الرحم وحق الوالدين وحق ملك النكاح وملك
اليمين وحق الجار قال في فتاوى قاضيخان رجل اتخذ بستانا
وغرس فيها اشجارا بجنب دار جاره قال ابو القاسم
رحمه الله ليس في هذا تقدير ويجب ان يتباعد من جاره قدر ما
لا يضر بدار جاره انتهى فيسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه ويعوده
اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات ويبر قسمه اذا اقسم عليه وينصح له
اذا استنصحه ويحفظه بظهر الغيب اذا غاب ويحب له ما يحب لنفسه
ويكره له ما يكره لنفسه وقال معاذ رضي الله عنه قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث
ووفاء العهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة
اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح وروى انس رضي
عن رسول صلى الله عليه وسلم انه قال اربع من حق المسلمين
عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم
وان تحب تائبهم وقال ابن عباس في معنى قوله تعالى رحماء
بينهم قال يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم اذا نظر الطالح

الى الصالح من امة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك
له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر
الصالح الى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له ومن الحقوق
ان تحب للكافة من المومنين ما تحب لنفسه وتكره لهم ما يكره
لنفسه قال عليه السلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقيل
الناس رجلان مومن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله ومن الحقوق
انه يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله لا يحب كل مختال
فخور ومن الحقوق ان لا يزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلثة ايام مهما
غضب عليه روى مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال يفتح ابواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد
لا يشرك بالله شيئا الا رجل كانت بينه وبين اخيه شحناء
فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا يعني يقول الله تعالى للملئكة الذين
يهدايا المغفرة امهلوا ولا تعطوا منها انصبا الرجلين الذين بينهما
عداوة حتى ترتفع ويقع بينهما الصلح وقال ابو ايوب الانصاري
قال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلث فيلتقيان
فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدا بالسلام وقال عكرمة
قال الله تعالى ليوسف عليه السلام بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك
في الذاكرين ومن الحقوق انه يحسن الى كل من قدر منهم ما استطاع
لا يميز بين الاهل وغير الاهل روى علي بن الحسين عن ابيه عن جده
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى اهله والى غير اهله
فانه لم تصب اهله فانت اهله وباسناده قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم راس العقل بعد الايمان التودد الى الناس
واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر ومن الحقوق انه لا يدخل

قيل فتح ابواب الجنة مجاز عن كثرة الغفران
واعلى المنازل وقال القاضي يجوز ان يكون
على ظاهره لان الجنة مخلوقة وفتح
ابوابها يكون علامة
لذلك
منه

انه لا يدخل على احد منهم الا باذنه فان لم يوذن له انصرف
قال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاستيذان ثلث فالاولى يستنصتون والثانية يستصلحون
والثالثة ياذنون او يردون ومن الحقوق المعاملة بحسن الخلق
ومن الحقوق ان يوقر المشايخ ويرحم الصبيان قال جابر رض
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يوقر كبيرنا
ولم يرحم صغيرنا والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال عليه السلام من اجلال الله تعالى اكرام
ذي الشيبة المسلم ومن تمام توقير المشايخ انه لا يتكلم بين ايديهم الا
باذنهم وفي الخبر ما وقر شاب شيخا لسنه الا قيض الله له في سنه
من يوقره وهذه اشارة بدوام الحيوة قال الغزالي رحمه الله فليتنبه
له فلا يوفق ليوقر الشيوخ الا من قضى الله له بطول العمر ومن الحقوق
انه يكون مع كافة الخلق مستبشر الطلق الوجه قال صلى الله عليه وسلم
اتدرون على من حرمت النار فقالوا الله ورسوله اعلم قال على
اللين الهين السهل القريب وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه
قال ان في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها
فقال اعرابي لمن هي يا رسول الله فقال لمن طيب الكلام
واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال انس رضي الله
عنه عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم امراة وقالت
لي معك حاجة وكان معه ناس فقال صلى الله عليه وسلم اجلسي
في اي نواحي السكك شئت اجلس اليك ففعلت فجلس اليها حتى
قضت حاجتها ومن الحقوق انه لا يعد مسلما بوعد الا ويوفي به
قال صلى الله عليه وسلم العدة دين وقال صلى الله عليه وسلم ثلث

في المنافق اذا حدث كذب واذا وعد خلف واذا ائتمن خان
ومن الحقوق ان ينصف الناس من نفسه ولا يأتي اليهم الا بما يحب ان يؤتى
اليه قال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون
فيه ثلث خصال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل
السلام ومن الحقوق ان يزيد في توقير من يدل هيأته وثيابه على علو
منزلته فينزل الناس منازلهم قال في فتاوى قاضيخان قوم يقرؤن
القرآن من المصاحف او يقرأ رجل واحد فدخل عليهم واحد من الاجلة
والاشراف فقام القارئ لاجله قالوا ان دخل عليه عالم او ابوه
او استاذه الذي علمه العلم جاز له ان يقوم لاجله وما سوى ذلك
لا يجوز انتهى فانظر كيف جوز الفقهاء رحمهم الله تعظيم الاجلة والاشراف
للقارئ وروى ان عائشة رضي الله عنها كانت في سفر فنزلت
منزلا فوضعت طعامها فجاء سائل فقالت عائشة ناولوا
هذا المسكين قرصا ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه الى الطعام
فقيل لها تعطين المسكين قرصا وتدعين الغني الى الطعام فقالت
ان الله تعالى قد انزل الناس منازل لا بد لنا ان ننزلهم تلك
المنازل هذا المسكين يرضى بقرص وقبيح بنا ان نعطي هذا الغني
على هذه الهيئة قرصا وروى انه صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوته
فدخل عليه اصحابه حتى امتلأ المجلس فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد
مكانا فقعد على الباب فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه
فالقاه اليه وقال له اجلس على هذا فاخذه جرير ووضعه على وجهه
وجعل يقبله ويبكي ثم لفه ورمى به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال
ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك الله عز وجل كما اكرمتني فنظر
النبي صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا ثم قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه

فاكرموه وكذلك كل مؤمن له حق قديم فليكرمه ومن الحقوق ان يصلح
ذات البين من المسلمين مهما وجد اليه سبيلا قال صلى الله عليه وسلم
الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلوة والصدقة قالوا
بلى قال اصلاح ذات البين ومن الحقوق ان يستر عورات
المسلمين كلهم قال صلى الله عليه وسلم من ستر على مسلم ستره الله
في الدنيا والآخرة قال الغزالي رحمه الله وهذا من اعظم الادلة
على طلب الشرع لستر الفواحش فانه افحشها الزنا وقد نيط باربع
من العدول يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالميل
في المكحلة وهذا قط لا يتفق وان علمه القاضي تحقيقا لم يكن له
ان يكشف فانظر الى الحكمة في حسم باب الفاحشة بايجاب الرجم
الذي هو اعظم العقوبات ثم انظر الى كيفية ستر الله تعالى كيف اسبله
على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه فنرجو ان لا يحرم
هذا الكرم يوم تبلى السرائر ان شاء الله تعالى وعن عبد الرحمن بن
عوف قال حرست مع عمر ليلة بالمدينة فبينا نحن نمشي اذ ظهر
لنا سراج فانطلقنا فلما دنونا منه اذا باب مغلق على قوم لهم
لغط واصوات فاخذ عمر بيدي وقال اتدري بيت من هذا قلت
لا قال هذا بيت ربيعة بن امية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى
قلت ارى انا اتينا ما نهى الله عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فرجع عمر
وتركهم وهذا يدل على وجوب الستر وترك التتبع ومن الحقوق
ان يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولالسنتهم
عن الغيبة فانهم اذا عصوا الله تعالى بذكره وكان هو السبب فيه كان
شريكا قال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله
عدوا بغير علم وقال صلى الله عليه وسلم كيف ترون من يسب ابويه

فقالوا فهل من احد يسب ابويه فقال نعم يسب ابوا غيره فيسب
ابويه ومن الحقوق انه يشفع لكل من له حاجة من المسلمين الى من له
عنده منزلة ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ما من صدقة افضل من صدقة اللسان
قيل وكيف قال الشفاعة يحقن بها الدم ويجر بها المنفعة الى اخر
ويدفع بها المكروه عن اخر ومن الحقوق انه يبدأ كل مسلم بالسلام
قبل الكلام ولا ينبغي ان يسلم على القارئ كيلا يشغله عن القراءة
فان سلم عليه قال بعضهم لا يجوز رد السلام على القارئ
وقال بعضهم يجب وهو اختيار الفقيه ابي الليث ولا يسلم على احد
وقت الخطبة كما لا يشمت العاطس واذا سلم وقت الخطبة لا يجب
على السامع رد السلام وكذا السائل اذا اتى باب دار انسان
فقال السلام عليكم لا يجب رد السلام عليه وكذا اذا سلم على القاضي
في المحكمة كذا في فتاوى قاضيخان والانحناء عند السلام منهي عنه
قال انس رضي الله عنه اينحني بعضنا لبعض قال صلى الله عليه وسلم
لا قال فيقبل بعضنا بعضا قال لا قال فيصافح بعضنا بعضا قال
نعم والالتزام والتقبيل قد ورد عند القدوم من السفر وقال
ابو ذر ما لقيته صلى الله عليه وسلم الا صافحني وطلبني يوما فلم اكن
في البيت فلما اخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني وسنة المصافحة
عند السلام قال صلى الله عليه وسلم من بدأ بالكلام قبل السلام
فلا تجيبه حتى يبدأ بالسلام والمصافحة ايضا سنة مع السلام وفي
فتاوى قاضيخان ولا بأس للرجل مصافحة العجوز التي لا تشتهى وان
تغمز رجله وكذا لو كان الرجل شيخا يأمن على نفسه وعليها فلا بأس
بان يصافحها وان كان لا يأمن لا يحل انتهى والاخذ بالركاب

بالركاب في توقير العلماء ورد به الاثر فعل ابن عباس رضي الله
عنه ذلك بركاب زيد بن ثابت واخذ عمر رضي الله عنه بعضد
زيد حتى رفعه وقال هكذا فافعلوا بزيد وباصحاب زيد وجاء
رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلام عليكم
فقال صلى الله عليه وسلم عشر حسنات فجاء آخر فقال السلام
عليكم ورحمة الله فقال عشرون فجاء آخر فقال سلام عليكم ورحمة الله
وبركاته فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثون وكان انس رضي الله
عنه يمر على الصبيان فيسلم ويروى عنه عليه الصلوة والسلام انه
فعل ذلك ومن الحقوق تشميت العاطس كما روي عن ابن مسعود رضي الله
عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول اذا
عطس احدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فاذا قال ذلك فليقل
من عنده يرحمك الله فاذا قال ذلك فليقل يغفر الله لي ولكم
وشمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطسا ولم يشمت
آخر فسأله عن ذلك فقال انه حمد الله وانت سكت وقال
صلى الله عليه وسلم يشمت المسلم اذا عطس ثلثا فان زاد
فهو زكام وقال ابو هريرة رضي الله عنه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا عطس غض صوته واستتر بثوبه او يده
وقال ابو موسى رضي الله عنه كان اليهود يتعاطسون عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يقول يرحمكم الله فكان
يقول صلى الله عليه وسلم يهديكم الله وقال صلى الله عليه وسلم
من عطس عنده فسبق الى الحمد لم يشتك خاصرته ومن الحقوق
انه اذا ابلي بذي شر فينبغي ان يجامله ويتقيه وقال بعضهم خالص
المؤمن مخالصة وخالف الفاجر مخالفة فان الفاجر يرضى بالخلق

الحسن في الظاهر قال ابو الدرداء رضي الله عنه انا لنبش في وجوه
اقوام وانه قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة مع من يخاف شره
قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن قال ابن عباس في قوله تعالى
ويدرؤن بالحسنة السيئة اي الفحش والاذى بالسلام والمداراة
وقال في معنى قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الرغبة
والرهبة والحياء والمداراة وقالت عايشة رضي الله عنها
استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه
السلام ائذنوا فبئس رجل العشيرة فلما دخل ألان له القول
حتى ظننت ان له عنده منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت
الذي قلت والان النت له القول فقال يا عايشة ان شر
الناس منزلة عند الله تعالى يوم القيمة من تركه الناس اتقاء فحشه
وفي الخبر ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة وفي الاثر خالطوا الناس
باعمالهم وزايلوهم بالقلوب ومن الحقوق انه يكون اكثر مخالطته
بالمساكين وانه يحن الى الايتام قال عبادة بن الصامت
رضي الله عنه ان للنار سبعة ابواب ثلثة للاغنياء وثلثة للنساء
وواحد للفقراء والمساكين وقال الفضيل بلغني ان نبيا من الانبياء
قال يا رب كيف لي ان اعلم رضاك عني قال كيف
رضي المساكين عنك واما اليتيم فقد قال صلى الله عليه وسلم
من ضم يتيما من ابوين مسلمين حتى يستغني فقد وجبت له
الجنة البتة وقال صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة
كهاتين وهو يشير باصبعيه ومن الحقوق النصيحة لكل مسلم
والجهد في ادخال السرور في قلبه قال صلى الله عليه وسلم ان
احدكم مرآة اخيه فاذا راى شيئا فليمطه عنه وقال صلى الله عليه

عليه وسلم من اقر عين مؤمن اقر الله عينه يوم القيمة وقال عليه
السلام انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ينصره ظالما
فقال يمنعه من الظلم وفيه معنى لطيف وهو ان نصرة الظالم
من حيث هو مظلوم فان الشيطان ظلمه بما وسوس اليه في صدره
من ظلمه غيره فنصره بان تعينه على دفع ما القى الشيطان عنده
من تزيينه ظلم الغير فما نصرته الا لكونه مظلوما ممن وسوس في صدره
وحال بينه وبين الهدى الذي هو له ملك فابتاعه منه
الشيطان بالضلالة واشترى الضلالة بالهدى فسمي ظالما
واذا بينت له نصحك وافتيته ان هذا البيع مفسوخ لا ينعقد
شرعا وانه صفقة خاسرة فقد نصرته مع كونه ظالما
فرجع عن ظلمه وتاب وذلك هو فسخ البيع اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين
وقال النبي صلى الله عليه وسلم خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر
الشرك بالله والضير لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء
من البر الايمان بالله والنفع لعباد الله ومن الحقوق ان يعود
مرضاهم والمعرفة والاسلام كاف في اثبات هذا الحق
ونيل فضله وآداب العايد خفة الجلسة وقلة السؤال واظهار
الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وقال
صلى الله عليه وسلم تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده
على جبهته او على يده ويسأله كيف هو وتمام تحياتكم المصافحة
وقال عثمان رضي الله عنه مرضت فعادني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم اعيذك بالله الاحد
الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد من شر ما تجد قالها مرارا

ودخل صلى الله عليه وسلم على علي رضي الله عنه وهو مريض يعوده
فقال له قل اللهم اني اسألك تعجيل عافيتك او صبرا على بليتك
او خروجا من الدنيا الى رحمتك فانك ستعطى احديهن وتستحب
للعليل انه يقول اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد
وقال علي رضي الله عنه اذا اشتكى احدكم بطنه فليسأل امرأته
شيئا من صداقها فليشتر به عسلا ويشربه بماء السماء فيجتمع
له الهنيء والمريء والشفاء والمبارك وجملة آداب المريض
حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر والفزع الى الله والتوكل بعد الدوا
على خالق الدوا ومن الحقوق ان يشيع جنائزهم قال صلى
الله عليه وسلم من شيع جنازة فله قيراط من الاجر فان وقف
حتى يدفن فله قيراطان وقال صلى الله عليه وسلم يتبع الميت
ثلثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه ماله واهله وعمله فيرجع
اهله وماله ويبقى عمله ومن الحقوق ان يزور قبورهم والمقصود
من ذلك الدعا والاعتبار وترقيق القلب قال صلى الله
عليه وسلم ما رأيت منظرا الا والقبر افظع منه والحاصل
انه هذه جمل تعلمك وتنبهك على آداب المعاشرة مع
عموم الخلق والجملة الجامعة انه لا تستصغر منهم احدا حيا كان
او ميتا الا اذا رأيت منكرا في الدين فتعادي افعالهم القبيحة
وتنظر اليهم بعين الرحمة لهم واذا سألت اخا منهم حاجة فقضاها
فهو اخ مستفاد فان لم يقضها فلا تعاتبه فيصير عدوا
يطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى
فيه مخائل القبول ولا يسمع منك ويعاديك وليكن وعظك
ارسالا من غير تنصيص على شخص ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر

فاشكر الله الذي سخرهم لك واستعذ بالله ان يكلك
اليهم واذا بلغك منهم غيبة كانت ما كانت فكل امرهم الى الله
واستعذ بالله من شرهم وكن فيهم سميعا لحقهم اصم عن باطلهم
ناطقا لحقهم صامتا عن باطلهم ولا تعول على مودة من لم تخبره
حق الخبرة بان تصحبه مدة فتجربه في عزله وولايته وغناه
وفقره او تسافر معه او تعامله في الدينار والدرهم او تقع
في شدة فتحتاج اليه فانه رضيته في هذه الاحوال فاتخذه
ابا لك ان كان كبيرا او ابنا ان كان صغيرا او اخا ان كان
مثلا لك لكن الجوار يقتضي حقا وراء ما يقتضيه اخوة الاسلام
فيستحق الجار ما يستحقه كل مسلم وزيادة اذ قال صلى الله
عليه وسلم الجيران ثلثة جار له حق واحد وجار له حقان
وجار له ثلثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق
الاسلام وحق الرحم واما الذي له حقان فالجار المسلم له حق
الجوار وحق الاسلام واما الذي له حق واحد فالجار المشرك
فانظر كيف اثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار وقال صلى الله
عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه وقيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم
الليل وتؤذي جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم هي في النار
وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره
فقال له صلى الله عليه وسلم اصبر ثم قال له في الثالثة او الرابعة
اطرح متاعك على الطريق فجعل الناس يمرون به فيقولون
ما لك فيقال اذاه جاره فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه
جاره فقال له رد متاعك فوالله لا اعود وقال [illegible]

كنت عند عبد الله بن عمر رضي الله عنه وغلام له يسلخ له
شاة فقال يا غلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي قال
ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى ظننا انه سيورثه وقال
هشام كان الحسن رضي الله عنه لا يرى باسا ان يطعم اليهودي
والنصراني من اضحيته وقال عبد الله قال رجل يا رسول الله
كيف لي ان اعلم اذا احسنت او اسأت قال عليه السلام اذا
سمعت جيرانك يقولون قد احسنت فقد احسنت واذا
سمعتهم يقولون قد اسأت فقد اسأت وقال صلى الله
عليه وسلم ان من شعار المرء المسلم المسكن الواسع والجار
الصالح والمركب الهني وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه من ياخذ هذه الكلمات
فيعمل بهن او يعلم من يعمل بهن قال ابو هريرة رضي الله عنه
انا يا رسول الله فاخذ بيدي فعد خمسا فقال اتق المحارم
تكن اعبد الناس وارض بما قسم الله تعالى لك تكن اغنى الناس
واحسن الى جارك تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب لنفسك
تكن مسلما فعلم من هذا ان الجار يستحق ما يستحقه كل مسلم وزيادة
فلهذا كررنا ذكره وبالجملة ان الاخبار والاثار في الجار كثيرة
لا تحصى فصل في بيان حقوق الاقارب اجمالا قال صلى الله
عليه وسلم يقول الله تعالى انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما
من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وروي ان عمر رضي الله
عنه كتب الى عماله مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا
وانما قال ذلك لان التجاور يوجب التزاحم على الحقوق وربما

يورث الوحشة وقطيعة الرحم اعلم ان حق الوالدين والولد
آكد فانه اذا تأكد حق القرابة والرحم فاخص الارحام وامسها
الولادة لتتضاعف تأكد الحق قال صلى الله عليه وسلم لن يجزي
ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقال صلى الله
عليه وسلم بر الوالدين افضل من الصلوة والصوم والحج والعمرة
والجهاد في سبيل الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح
مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة وان امسى مثل
ذلك وان كان واحدا فواحد ومن اصبح مسخطا لابويه اصبح
له بابان مفتوحان الى النار وان امسى مثل ذلك وان كان
واحدا فواحد وان ظلما وان ظلما وان ظلما قالها ثلثا وقال
صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه وقال
صلى الله عليه وسلم الوالدة اسرع اجابة قيل يا رسول الله
ولم ذاك قال هي ارحم من الاب ودعوة الرحم لا تسقط وسأله
رجل فقال يا رسول الله من ابر قال بر والديك فقال
ليس لي والدان فقال بر ولدك فكما ان لوالديك عليك حقا
كذلك لولدك عليك حق وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله
والدا اعان ولده على بره اي لم يحمله على العقوق بسوء عمله وقال
انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلام
يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست
سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلثة عشر ضرب على الصلوة
والصوم فاذا بلغ ستة عشر زوجه ابوه ثم اخذه بيده وقال
ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك في الدنيا
وعذابك في الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حق الولد على الوالد

ان يحسن ادبه ويحسن اسمه وقال عليه السلام كل غلام رهين
او رهينة بعقيقة تذبح عنه يوم السابع ويحلق راسه وجاء رجل
الى عبد الله بن المبارك فشكى اليه بعض ولده فقال هل دعوت
عليه قال نعم قال انت افسدته ويستحب الرفق بالولد ورأى
الاقرع ابن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده
الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال
صلى الله عليه وسلم ان من لا يرحم لا يرحم فهذه الاخبار دالة
على تاكد حق الوالدين لكون الرابطة اكد من الغير حتى ان اكثر العلماء
انه طاعة الابوين واجب في الشبهات فليس لك ان تسافر في
مباح او نافلة الا باذنهما فلا تخرج الى طلب العلم الا اذا كان
خروجك لطلب علم الفرض من الصلوة والصوم ولم يكن في بلدك
من يعلمك قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه هاجر رجل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن واراد الجهاد فقال
عليه السلام هل باليمن ابواك قال نعم قال هل اذنا لك
فقال لا فقال عليه السلام ارجع الى ابويك فاستأذنهما فان
فعلا فجاهد والا فبرهما ما استطعت فانه ذلك خير مما تلقى الله به
بعد التوحيد واما حقوق ملك النكاح فالعلم بها بالعلم بآداب
المعاشرة وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما
على الزوجة اما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والادب في الوليمة
والمعاشرة والدعابة والسياسة والغيرة والنفقة والتعليم
والقسم والتاديب بالنشوز والوقاع وغيرها واما الوليمة فهي
مستحبة قال انس رضي الله عنه رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم على عبد الرحمن بن عوف اثر الصفرة فقال ما هذا قال تزوجت

امراة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله
لك اولم ولو بشاة واولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية
بسويق وتمر واما المعاشرة فبحسن الخلق معهن واحتمال الاذى
منهن ترحما عليهن لقصور عقلهن قال الله تعالى وعاشروهن
بالمعروف وقال صلى الله عليه وسلم من صبر على سوء خلق امراته
اعطاه الله من الاجر مثل ما اعطى ايوب على بلائه ومن صبرت على سوء
خلق زوجها اعطاها الله مثل ثواب آسية امراة فرعون
واما الدعابة فهو انه يزيد على احتمال الاذى بالمزح والملاعبة
فهي التي تطيب قلوب النساء فقد كان صلى الله عليه وسلم يمزح معهن
وينزل الى درجات عقولهن في الاعمال والاخلاق حتى روي
انه صلى الله عليه وسلم يسابق عائشة رض في العدو فسبقته
يوما وسبقها في بعض الايام فقال صلى الله عليه وسلم هذه بتلك
وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت اصوات اناس من الحبشة
وغيرهم وهم يلعبون يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتحبين ان ترى لعبهم فقلت نعم فارسل اليهم فجاؤا
وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه
على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده وهم يلعبون
وانا انظر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك
واقول اسكت مرتين او ثلاثا ثم قال يا عائشة حسبك فقلت
نعم فاشار اليهم فانصرفوا واما السياسة فهو انه لا ينبسط
في الدعابة وحسن الموافقة باتباع هواها الى حد يفسد خلقها
ويسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعي الاعتدال في ذلك ولا يدع
الهيبة والانقباض مهما راى منكرا ولا يفتح باب المساعدة

على المنكرات البينة مهما راى ما يخالف الشرع تنمر واستنفر قال
صلى الله عليه وسلم تعس عبد الزوجة وانما قال ذلك لانه اذا اطاعها
في هواها فهو عبدها وقد تعس فان الله تعالى ملكه المراة فملكها نفسه
فقد قلب القضية وعكس الامر واطاع لما قال ولآمرنهم
فليغيرن خلق الله اذ حق الزوج ان يكون متبوعا لا تابعا
وسيدا وقواما قال تعالى والفيا سيدها لدى الباب الرجال
قوامون على النساء واما الغيرة فالمعتبر الاعتدال وهو ان
لا يتغافل عن مبادي الامور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في
اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن تتبع عورات النساء واما الغيرة التي
في محلها لا بد منها فهي محمودة قال صلى الله عليه وسلم اني
لغيور وما من امرء لا يغار الا منكوس القلب وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة رضي الله عنها اي شيء
خير للمراة فقالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه
وقال ذرية بعضها من بعض واستحسن قولها وكان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسدون الثقب والكوى في الحيطان لئلا تطلع
النساء الى الرجال واما النفقة فالاعتدال فيها فلا ينبغي ان يقتر
عليهن في الانفاق ولا ينبغي ان يسرف بل يقتصد قال تعالى
كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى
عنقك ولا تبسطها كل البسط الآية واما التعليم فهو تعليم ما لزم
ان تعلم الزوجة ويعلم زوجته احكام الصلوة واعتقاد اهل السنة
ويزيل عن قلبها بدعة ويخوفها بالله تعالى اذا تساهلت في امر
من امور الدين واما القسم فينبغي اذا كان له نسوة ان يعدل بينهن

بينهن ولا يميل الى بعضهن واما النشوز فينبغي ان يصلح بينهما
ان كان الخصام من جانبهما جميعا واما اذا كان من المراة خاصة
فالرجال قوامون على النساء فله ان يؤدبها ويحملها على الطاعة
بتدريج بالوعظ والتحذير ثم ضرب غير عنيف واما الوقاع
فيستحب ان يبتدا بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله
عليه وسلم لو ان احدكم اذا اتى اهله قال اللهم جنبني الشيطان
وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان كان بينهما ولد لم يضره
الشيطان هذا بعض آداب ملك النكاح فاما ملك اليمين
فهو ايضا يقتضي حقوقا مثله لا بد من مراعاتها فقد قال صلى
الله عليه وسلم اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تاكلون
واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما لا يطيقون فما احببتم فامسكوا
وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله تعالى فان الله ملككم ولو شاء
لملكهم اياكم وقال عليه السلام للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف
ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وروى فضالة بن عبيد رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلثة لا يسال عنهم
رجل فارق الجماعة او عصى امامه فمات عاصيا فلا يسال
عنه وامراة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا
فتبرجت بعده فلا يسال عنها وثلثة لا يسال الله عز وجل
عنهم ينازع الله رداءه ورداءه الكبرياء وازاره العزة ورجل
في شك من الله تعالى والقنوط من الرحمة نعوذ بالله منه وبالجملة
انه من تعلم ما شرع الله تعالى من آداب المخالطة وعمل بمقتضاه
فقد علم ما جهل اللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه الباب الرابع
في بيان اعانتهم على البر والتقوى وستر عوراتهم اعلم ايدك الله

اباهم

وايانا انه بهذا البيان انما يحصل بالاحتساب والاحتساب
انكاره عليه وتقديمه الخير واعتداده فيما يدخر عند الله تعالى
اذ الاحتساب هو الامر بالمعروف اذا ظهر تركه والنهي عن المنكر
اذا ظهر فعله فالحسبة امر لازم فلهذا قيل القضا باب من ابواب الحسبة
وجزء من اجزائها ودونوا فيها كتبا وكيف لا والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر من اعظم امور الدين وهو المهم الذي بعث الله له
الانبياء والمرسلين وفي اهمال علمه ومساهلة عمله تعطيل الديانة
وافشاء الضلالة فيستولي على القلوب مداهنة الخلق بحيث
ينمحي عنها الخوف عن الخالق فيدل على فضيلة الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر اشارات العقول السليمة اليهما واجماع الامة
عليهما مع ورود الآيات والاخبار والآثار فيهما اما الآيات
فقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر الآية ففي هذه الاية بيان انه فرض كفاية لا فرض
عين وانه اذا قام به امة سقط عن الباقين اذ قال عز من قائل و
لتكن منكم ولم يقل كونوا آمرين فمهما قام به واحد او جماعة سقط
عن الآخرين وان سكتوا كلهم عم الحرج كافة عليهم وقال الله
تعالى ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات
الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات
واولئك من الصالحين فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الايمان بالله
واليوم الآخر حتى اضاف اليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
والمسارعة في الخير وقال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الآية دل

وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود
وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه (يعتدون كانوا)
لبئس ما كانوا يفعلون فثبت والله النكير اذ علل استحقاقهم اللعنة
بتركهم النهي عن المنكر وقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر الآية وهذا يدل على فضيلة الامر
بالمعروف اذ بين انهم كانوا خير امة وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به
انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب
بئيس بما كانوا يفسقون فبين انهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء
وقال تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة
وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر الآية فقرن ذلك بالصلوة
والزكوة في نعت المؤمنين وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ومعنى التعاون الحث
عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبيل الشر والعدوان
بحسب الامكان وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار
عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون فبين
انهم اثموا بالترك وقال تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم
اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الاية فبين انه
اهلك جميعهم الا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد في الارض
وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله
ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين الآية وذلك هو الامر
بالمعروف للوالدين والاقربين والاقربون اولى بالمعروف
في حكم الشرع والاقربون على نوعين قرابة طينية وهي قرابة
النسب وقرابة دينية والمعتبر في الشرع القرابة الدينية والنبي

صلى الله عليه وسلم يقول لا يتوارث اهل ملتين فلولا الذين
ماورث قرابة الطين شيا وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم
الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل
ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما واما
الاخبار فمنها ما روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال في خطبته
ايها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتاركوها على خلاف تاويلها
يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم
عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر على ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك
ان يعمهم الله بعذاب من عنده وقال ابو ذر الغفاري رضي
الله عنه قال ابو بكر الصديق يا رسول الله هل من جهاد غير
قتال المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يا ابا بكر
ان لله تعالى مجاهدين في الارض افضل من الشهداء احياء مرزوقين
يمشون على الارض يباهي الله تعالى بهم ملائكة في السماء وتزين
لهم الجنة كما تزينت ام سلمة لرسول الله فقال ابو بكر يا رسول الله
ومن هم قال هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر
والمحبون في الله والمبغضون في الله قال والذي نفسي بيده ان
العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء
للغرفة منها ثلثماية الف باب باب منها الياقوت والزمرد الاخضر
على كل باب نور وان الرجل منهم ليزوج ثلثمائة الف حوراء
قاصرات الطرف عين كلما التفت الى واحدة منهن نظر اليها
تقول اتذكر يوم كذا وكذا امرت بالمعروف ونهيت عن المنكر
كلما التفت الى واحدة منهن ذكرت له كل مقام امر فيه بمعروف

بمعروف ونهى عن منكر وقالت عايشة رضي الله عنها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب اهل قرية فيها
ثمانية عشر الفا عملهم عمل الانبياء قالوا يا رسول الله كيف قال
لم يكونوا يغضبون لله ولا يامرون بالمعروف ولا ينهون
عن المنكر واخرج البخاري ومسلم عن اسامة بن زيد انه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل
يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور
الحمار في الرحى فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يا فلان ما لك
الم تكن تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر
بالمعروف ولا آتيه وانهى عن المنكر وآتيه وزاد في رواية
مسلم قال واني سمعته عليه السلام يقول مررت ليلة اسري
بي باقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبرئيل
قال خطباء امتك الذين يقولون ما لا يفعلون وعن ابي سعيد رض
انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتم علما ينفع الله
به في امر الناس في الدين الجم يوم القيمة بلجام من نار وعن انس رضي
الله عنه انه قال صلى الله عليه وسلم العلماء امناء الرسل
على العباد ما لم يخالطوا السلطان ويدخلوا في الدنيا فاذا دخلوا
في الدنيا وخالطوا السلطان فقد خانوا الرسل فاعتزلوهم
وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه انه قال تعرضت او تصديت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فقلت
له يا رسول الله اي الناس شر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم غفرا اسئل عن الخير ولا تسئل عن الشر شرار الناس
شرار العلماء وقال ابن عباس رضي الله عنه قيل يا رسول الله

اتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يا رسول الله
قال بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله تعالى وقال ابن مسعود
رضي الله عنه كان اهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم
اربعة نفر ينكرون ما يعملون فقام احدهم فقال انكم تعملون كذا
وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون فجعلوا يردون
عليه ولا يرجعون عن اعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزلهم
ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فعصوني وسببتهم فسبوني وقاتلتهم
فغلبوني ثم ذهب ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه
فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني
ولو قاتلتهم غلبوني ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل
عنهم ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم
غلبوني ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم اني لو نهيتهم عصوني ولو
سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم ذهب قال ابن مسعود
رضي الله عنه كان الرابع ادناهم منزلة وقليل فيكم مثله وقال
ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بعث الله عز وجل نبيا الا وله حواري فيمكث النبي بين اظهرهم
ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله تعالى وبامره حتى اذا قبض نبيه مكث
الحواريون يعملون بكتاب الله وبامره وسنة نبيهم فاذا انقرضوا
كان من بعدهم قوم يركبون رؤس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون
ما ينكرون فاذا رايتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ليس وراء ذلك اسلام وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر
او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم معناه

معناه يسقط مهابتهم عن اعين الشرار فلا يخافونهم وقال صلى
الله عليه وسلم ما اعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كرمية
في بحر لجي وما جميع اعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر الا كرمية في بحر لجي وقال صلى الله عليه وسلم ان الله
لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين اظهرهم وهم
قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه والاخبار الواردة في ذلك
كثيرة لا تحصى واما الآثار فقد قال ابو الدرداء رضي الله عنه
لتامرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر او ليسلطن الله عليكم
سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم
فلا يستجاب لهم وتنتصرون فلا تنصرون وتستغفرون
فلا يغفر لكم وسئل حذيفة رضي الله عنه عن ميت الاحياء
فقال الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وقال علي بن
ابي طالب رضي الله عنه اول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد
بايديكم ثم الجهاد بالسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فاذا لم تعرف القلوب
المعروف ولم تنكر المنكر انتكست وجعل اعلاها اسفلها وقال
سهل ايما عبد عمل في شيء من دينه بما امر به او نهي عنه وتعلق عند
فساد الامور وتنكرها وتشوش الزمان فهو ممن قد قام لله
تعالى في زمانه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر معناه انه اذا
لم يقدر الا على نفسه فقام بها وانكر احوال الغير بقلبه فقد جاء
بما هو الغاية في حقه وقيل للفضيل الا تنهى وتامر فقال ان قوما
امروا ونهوا فكفروا وذلك انهم لم يصبروا على ما اصيبوا وقيل
للثوري الا تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال اذا انبثق البحر
فمن يقدر يسكنه **فصل** في بيان مراتب الحسبة اعلم ان الحسبة لها مراتب

اوليها التعريف فانه المقدم على المنكر قد يقدم لجهله فاذا عرف
انه منكر تركه كالسوادي يصلي ويترك بعض الاركان
ولا يحسن الركوع والسجود فيتعلم انه ذلك لجهله بانه هذا ليس
بصلوة ولو رضي بانه لا يكون مصليا لترك اصل الصلوة
فيجب تعريفه باللطف من غير عنف وذلك لانه في ضمنه
نسبته الى الجهل والحمق والتجهيل ايذاء وقل ما رضي الانسان
بانه ينسب الى الجهل بالامور الدينية لا سيما بالشرع والنهي
الوعظ بالكلام اللين اللطيف اذ تاثيره اكثر من الكلام الشديد
العنيف فلهذا قيل اللين اقوى من الشدة فرب مستقيم لم
عوج يزال عوجه باللين اكثر مما يزال بالشدة تقصره فيكسر بها
واللين من مكارم الاخلاق قال صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى يحب مكارم الاخلاق ويبغض سفسافها وقال الله تعالى
فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
من حولك الاية ويدل على وجوب الرفق ما استدل به
المأمون اذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال يا رجل
ارفق فقد بعث الله من هو خير منك الى من هو شر مني وامره
بالرفق فقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى فليكن اقتداء
المحتسب في الرفق بالانبياء فقد روى ابو امامة ان شابا اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اتاذن لي في الزنا فصاح
الناس به فقال عليه السلام ادنوه فدنا حتى جلس بين يديه
فقال صلى الله عليه وسلم اتحبه لامك قال لا جعلني
الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم اتحبه
لابنتك قال لا جعلني الله فداك قال صلى الله عليه وسلم كذلك

الناس لا يحبونه لبناتهم اتحبه لاختك وزاد ابن عوف
انه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحدة لا جعلني الله فداك
وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس لا يحبونه وقالا
جميعا في حديثهما يعني ابن عوف والراوي الآخر فوضع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه
واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شيء ابغض اليه منه يعني من الزنا
ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل وعليه صفرة
فكرهه فلم يقل شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا
ان يدع هذه يعني الصفرة وقال صلى الله عليه وسلم في نهي الاعرابي
الذي بال في المسجد ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول
والخلاء فانظر كيف يرفق النبي صلى الله عليه وسلم والثالثة
الشدة بالكلام العنيف اذا اقتضاه ويقول يا احمق يا جاهل
الا تستحيي الا تخاف من الله وما جرى هذا المجرى والرابعة المنع
بالقهر بطريق المباشرة باختطاف الثوب الحرير من راسه او سلب
المنديل المغصوب من يده ورده الى صاحبه وكسر الملاهي واراقة
خمر المسلم لشاربها هذا اذا كان ماذونا من جهة الامام والوالي
واما اذا لم يكن فالاكتفاء بالثالثة والثانية اذ ربما يؤدي الى
الكبر والخامسة التخويف والتحذير والتهديد بالضرب من جهة
الحكام او مباشرة الضرب له حتى يمتنع عنه ان كان من جهتهما
ولا يشترط انه يكون متعاطي الاحتساب معصوما عن المعاصي
كلها فانه شرط ذلك فهو خرق للاجماع لكن ينبغي للمحتسب ان لا يكون
في جملة من قال الله فيهم اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم الآية
ولعدم كون العصمة شرطا في الحسبة قال سعيد بن جبير رضي الله عنه

انه لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الآخر لا يكون فيه شئ لم يأمر
احداً بشئ وقوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انكار من حيث
انهم نسوا انفسهم لا من حيث انهم امروا غيرهم ولكن ذكر امر الغير
استدلالا به على علمهم وتأكيداً للحجة عليهم وقوله تعالى لم تقولون
ما لا تفعلون المراد به الوعد الكاذب قال حجة الاسلام في الاحياء
فان زعموا ان ذلك لا يشترط عن الصغاير حتى يجوز للابس الحرير
ان يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول هل لشارب الخمر ان يغزو الكفار
ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر فان قالوا لا خرقوا الاجماع اذ
جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر والفاجر وشاربي الخمر
وظالمي الايتام ولم يمنعوا من الغزو لا في عصر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا بعده فان قالوا نعم فنقول شارب الخمر هل
له المنع من القتل ام لا فان قالوا لا قلنا فما الفرق بينه وبين
لابس الحرير اذ جاز له المنع من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة الى الشرب
كالشرب بالنسبة الى لبس الحرير فلا فرق فان قالوا نعم وفصلوا
الامر فيه بانه كل مقدم على شئ لا يمنع عن مثله ولا عما دونه وانما
يمنع عما فوقه فهذا الحكم فانه كما لا يبعد ان يمنع الشارب من الزنا
فمن اين يبعد ان يمنع الزاني من الشرب بل من اين يبعد ان يشرب
ويمنع غلمانه وخدمه من الشرب ويقول يجب علي الانتهاء والنهي
فمن اين يلزم من العصيان باحدهما ان اعصي الله تعالى بالثاني
وكان النهي وجب علي فمن اين سقط وجوبه باقدامي او يستحيل
انه يقال يجب النهي عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب فاذا شرب سقط عنه
النهي انتهى واعلم ان الحسبة على ما فيه الحسبة وهو ان يكون
منكراً موجوداً في الحال ظاهراً للمحتسب بغير تجسس معلوماً مع كونه

كونه منكراً بغير اجتهاد فالاول اعني كونه منكراً ان يكون محذوراً
الوقوع في الشرع اما لكون الشئ معروفاً فاظهر تركه واما لكونه منكراً
اظهر فعله والثاني اعني كونه موجوداً في الحال ان لا يكون مثلاً عن من
فرغ من شرب الخمر او سوف يشرب او سيشرب بقرينة حاله
انه عازم على الشرب في ليلته فلا حسبة على مثل هذا الا بالوعظ
فان انكر عزمه عليه لم يجز وعظه ايضاً فيه فانه فيه اساءة ظن بالمسلم
وربما صدق في قوله وربما لا يقدر على ما عزم عليه لعائق والثالث
اعني كونه ظاهراً للمحتسب بغير تجسس انه لا يجوز ان يتجسس عليه وقد نهى
الله تعالى وقد اوردنا فيما سبق القصة المشهورة وهي قصة عمر
وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وكذلك روي ان عمر
رضي الله عنه تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فانكر عليه فقال
الرجل يا امير المؤمنين ان عصيت الله من وجه فقد عصيته من ثلاثة
اوجه فقال ما هي فقال قد قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست
وقال تعالى وأتوا البيوت من ابوابها وقد تسورت من السطح وقال
تعالى لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها
الآية فتركه عمر رضي الله عنه وشرط عليه التوبة والرابع اعني كونه
معلوماً مع كونه منكراً بغير اجتهاد انه لا يجوز الحسبة فيما هو في محل
الاجتهاد فليس على الحنفي ان ينكر على الشافعي في اكله الضبع والضب
ومتروك التسمية ولا على الشافعي ان ينكر على الحنفي شربه
النبيذ ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي الارحام وجلوسه
في دار اخذها بشفعة الجوار الى غير ذلك من مجاري الاجتهاد
والحاصل ان ما يتصور من المسائل وهي احكام الافعال
في الحل والحرمة يقال فيه المجتهد قد يخطئ ويصيب وهو الذي

لا يعترض على المجتهدين فيه اذ لا يعلم خطاؤهم قطعا بل ظنا بخلاف
قول المعتزلي انه الله تعالى لا يرى وقوله ان الخير من الله وان
الشر ليس من الله وقوله كلام الله مخلوق وبخلاف الحشوي في قوله
انه الله جسم وله صورة وانه مستقر على العرش وبخلاف
الفلسفي في قوله الاجساد لا تبعث وانما تبعث النفوس فان
ما قالوه مما ذكر بدع لان هذه المسائل التي ذكرها مما لا يتصور
انه لا يكون المصيب فيه الا واحد كمسئلة الرؤية مثلا فهذه
مما يعلم خطاء المخطي فيه قطعا فينكر على المبتدعين بدعتهم وان اعتقدوا
انها الحق لانه خطاؤهم معلوم على القطع بخلاف الخطاء في مظنات
الاجتهاد واعلم ان البدعة التي ظهرت في بلدة انت فيها
فانه كانت البدعة غريبة والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة
عليه حسبما تيسر وان انقسم اهل البلدة الى اهل البدعة واهل
السنة وكان في الاعتراض تحريك الفتنة فليس للاحاد الحسبة
في مذاهب البدع الا بنصب السلطان وانه كان الحسبة
في البدع اهم من الحسبة في كل المنكرات وقد بين الفقهاء رحمهم الله
اهل السنة والجماعة قال في التاتارخانية نقلا عن المضمرات
روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال المؤمن اذا
احب اهل السنة والجماعة استجاب الله دعاءه وقضى حوائجه
وغفر له الذنوب وكتب له براءة من النار وبراءة من النفاق
وفي خبر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من كان يؤمن بالله ومن كان على السنة والجماعة
كتب الله له بكل خطوة يخطوها عشر حسنات ورفع له عشر
درجات فقيل يا رسول الله متى يعلم الرجل انه من اهل السنة والجماعة

والجماعة قال اذا وجد في نفسه عشرة اشياء فهو على السنة والجماعة
انه يصلي الصلوات الخمس بالجماعة ولا يذكر واحدا من الصحابة بسوء ومنقصة
ولا يخرج على السلطان بالسيف ولا يشك في ايمانه ويؤمن بالقدر
خيره وشره من الله تعالى ولا يجادل في دين الله تعالى ولا يكفر
احدا من اهل التوحيد بذنب ولا يدع الصلوة على من مات من اهل
القبلة ويرى المسح على الخفين جائزا في السفر والحضر ويصلي خلف كل بر
وفاجر انتهى وقال ايضا وسئل ابو بكر العياض عن الرجل هل يعلم
انه على مذهب اهل السنة والجماعة فقال اذا رجع الى كتاب الله
وسنة رسوله والى ما قاله السلف الصالح فهو على مذهب اهل السنة
والجماعة فاذا عرفت هذا فاعلم انه بين المحتسب المنصوب والمحتسب
المتطوع فرق من وجوه الاول انه اذا عجز المتطوع عن الاحتساب
فهو معذور واذا عجز المحتسب المنصوب فهو غير معذور لانه يمكنه
انه يستعين باعوانه فانه لم يكفه اعوانه فباعوان السلطان ثم واما
ثواب الاحتساب فلا يناله الا بفعل لانه الثواب والاجر جزاء
العمل وذلك بانكاره بلسانه او بقلبه فقط يقول انه هذا منكر لقول ابن
مسعود رضي الله عنه حسب امرئ منكم اذا راى منكم منكرا لا يستطيع
له تغييرا انه يعلم الله من قلبه انه كاره وعن بعض الصحابة انه قال اذا
راى منكرا لا يستطيع التنكير عليه فليقل ثلث مرات اللهم ان هذا منكر
اذا قال ذلك فله ثواب من امر بالمعروف ونهى عن المنكر والثاني
انه المحتسب المنصوب كفايته في بيت المال من الجزية والخراج
ونحوهما لانه عامل للمسلمين محبوس لهم فيكون كفايته لهم في مالهم
وصار كارزاق الولاة والقضاة والغزاة والمفتين والمعلمين كما
في الملتقط بخلاف المتطوع والثالث انه اذا راى المودع سارقا

يسرقه الوديعة فلم يمنعه وهو يقدر على منعه ضمنه لانه بترك المنع
ترك الحفظ الملتزم فيضمن اما المنصوب فلا ضمن فيما قصر فيه
لان التضمين لا يلحق الحاكم ونحوه والا لامتنع الناس عن التقلد
فيلزم الضرر العام ولو امتنع الناس عن الاستيداع يلزم الضرر
الخاص فافترقا والرابع ما ذكر في الفصل الرابع عشر من جنايات
الذخيرة حفر بئرا في الطريق العام ليستقي عنها المياه فوقع فيها
انسان ضمن وان كان ما اقام حسبة لانه جناية من حيث انه ابطل
حق المرور على الناس وابطل الرأي والتدبير على الامام ايضا لانه
فعله بغير اذنه وفعل ذلك منه جناية والامام لو فعل ذلك
لا يضمن لانه صاحب ولاية انتهى وقال حجة الاسلام في الاحياء
اعلم ان كل قاعد في بيته اين ما كان لا يكون خاليا في هذا
الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم
وحملهم على المعروف فاكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط
الصلوة في البلاد فكيف في القرى والبوادي ومنهم الاعراب
والاكراد والتركمانية وسائر اصناف الخلق والواجب ان يكون
في كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا في كل
قرية والواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية
ان يخرج الى من يجاور بلده من اهل السواد ومن العرب والاكراد
وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرايض شرعهم ويستصحب مع نفسه زادا ياكله
ولا ياكل من اطعمتهم فان اكثرها يكون شبهة فان قام به واحد
سقط الحرج عن الاخرين والا عم الحرج على الكافة اجمعين اما العالم
فلتقصيره في الخروج واما الجاهل فلتقصيره في ترك التعلم وكل
عالم عرف شروط الصلوة فعليه ان يعرف غيره والا فهو شريك

شريك في الاثم ومعلوم ان الانسان لا يولد عالما بالشرع وانما
يجب التبليغ على اهل العلم وكل من يعلم مسألة واحدة فهو من اهل العلم
بها انتهى فاذا عرفت هذا فاعلم انه عنوان آداب البواطن وآداب
الظواهر وحركات الجوارح ثمرات الخواطر فمن كان صدره مشكاة
انوار الاوامر الالهية فاض على ظاهره جمال الاداب النبوية
ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاصاغر
فكيف على الاكابر والله المستعان على كل الحال **الباب الخامس**
في الشفقة عليهم وانه يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير قال الله
سبحانه وتعالى انما المؤمنون اخوة فاذا ثبت الايمان كانت
الاخوة واذا كانت الاخوة كانت الشفقة والرحمة ولا معنى
للشفقة والرحمة الا ان تنقذ اخاك من النار الى الجنة وتنقله
من الجهل الى العلم ومن الذم الى الحمد ومن النقص الى الكمال فانه
لا يكمل عبد الايمان حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه على ما ذكره
مسلم في مسنده والمؤمنون يد واحدة على من سواهم والمؤمن
للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا اعلم وفقك الله وايانا
ان شفقة النفس وحب الخير لنفسه ولغيره مجتنبا عن الشر والضير
حال الكاملين الذين فازوا بالسعادة الابدية والكرامة
السرمدية واستكمال النفس الانسانية بالمعارف والعلوم
على قسمين احدهما انه يحاول تحصيلها بالفكر والنظر والاستدلال
والثاني انه تصل اليه محصولات المتقدمين الذين جمعوا بين العقائد
الصحيحة والاعمال الصالحة فتتكمل نفسه بانه يكون متقيا او
المتقي وانه كانت له ثلث مراتب الا انه عند الاطلاق في متعارف
الشرع هو المؤتمر بالمأمورات المجتنب عن المحظورات وكل من هو كذلك

فهو من الفائزين الكاملين ومن يطع الله ورسوله ويخش الله
ويتقه فاولئك هم الفائزون فالتقوى فضيلة جامعة بكل ما
وجب على المؤمنين من علم الحال الذي هو فرض عين على كافة
المسلمين وعلم الحال كما عرفت هو علم ما افترض من اعتقاد
وعمل وقد ورد ما يدل على فضيلة التقوى من الآيات القرآنية ومن
الاخبار النبوية اكثر من ان يحصى الآيات قال الله تعالى هدى
للمتقين يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين
من قبلكم لعلكم تتقون ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون
واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا واذكروا ما فيه لعلكم
تتقون ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا
يعلمون ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون
يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين
من قبلكم تتقون كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون لعلكم
واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا الله
واعلموا ان الله شديد العقاب وتزودوا فان خير الزاد التقوى
واتقون يا اولي الالباب واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون
زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين امنوا والذين
اتقوا فوقهم يوم القيمة واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين
واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم
للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون يا ايها الذين

امنوا اتقوا الله حق تقاته وان تصبروا وتتقوا لا يضركم
كيدهم شيئا ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم
تشكرون بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم
ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين واتقوا الله لعلكم تفلحون
واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات
والارض اعدت للمتقين واتقوا الله لعلكم تفلحون يا ايها الناس
اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث
منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام
فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا وان تحسنوا وتتقوا فان الله
كان بما تعملون خبيرا ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
واياكم ان اتقوا الله وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا
على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب واتقوا الله
ان الله سريع الحساب واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور
اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون واتقوا الله
وعلى الله فليتوكل المؤمنون انما يتقبل الله من المتقين يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة واتقوا الله ان كنتم مؤمنين
ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم
جنات النعيم واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون واتقوا الله واسمعوا
قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل
علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين وانذر به
الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع
لعلهم يتقون وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون وما على الذين

يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون وامرنا لنسلم
لرب العالمين وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون
ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون وهذا كتاب انزلناه مبارك
فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ولباس التقوى ذلك خير او عجبتم
ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون
افلا تتقون ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون ورحمتي
وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون واسالهم عن القرية التي
كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم
سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا
يفسقون واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم
او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون والدار
الآخرة خير للذين يتقون خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم
تتقون ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا
فاذا هم مبصرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم
ويغفر لكم ذنوبكم والله ذو الفضل العظيم واعلموا ان الله مع المتقين
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا
يتقون فاصبر ان العاقبة للمتقين فاتقوا الله ولاجر الآخرة خير
للذين آمنوا وكانوا يتقون وللدار الآخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون
مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار اكلها دائم وظلها
تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار واتقوا الله ينزل الملائكة
بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون

فاتقون وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين
احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين
وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون
ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون يا يحيى خذ الكتاب
بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكوة وكان
تقيا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا تلك الجنة
التي نورث من عبادنا من كان تقيا ثم ننجي الذين اتقوا فانما
يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وكذلك انزلناه قرآنا عربيا وصرفنا
فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا نحن نرزقك والعاقبة
للتقوى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين
يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ذلك ومن يعظم
شعائر الله فانها من تقوى القلوب ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون فارسلنا فيهم
رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون وان هذه
امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون سيقولون لله قل افلا تتقون
ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون
قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون واذ نادى ربك موسى
ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون وازلفت الجنة للمتقين
كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون اني لكم
رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كذبت عاد المرسلين
اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله
واطيعون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله واطيعون

ان يخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه
فيما بقي من عمره فاولئك هم الفائزون
وكيف يتصور الكمال فوق الفوز والفلاح
مسـ

الذی امدکم بما تعلمون امدکم بانعام وبنین کذبت ثمود المرسلین
اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون انی لکم رسول امین فاتقوا الله
واطیعون وتنحتون من الجبال بیوتا فارهین فاتقوا الله واطیعون
کذبت قوم لوط المرسلین اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون انی لکم
رسول امین فاتقوا الله واطیعون کذب اصحاب الایکة المرسلین
اذ قال لهم شعیب الا تتقون انی لکم رسول امین فاتقوا الله واطیعون
واتقوا الذی خلقکم والجبلة الاولین وانجینا الذین امنوا وکانوا یتقون
تلک الدار الاخرة نجعلها للذین لا یریدون علوا فی الارض ولا فسادا
والعاقبة للمتقین یا ایها الناس اتقوا ربکم واخشوا یوما لا یجزی
والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شیئا یا ایها الذین امنوا
اتقوا الله وقولوا قولا سدیدا واذا قیل لهم اتقوا ما بین ایدیکم
وما خلفکم لعلکم ترحمون ام نجعل المتقین کالفجار هذا ذکر وان للمتقین
لحسن ماب ذلک یخوف الله به عباده یا عباد فاتقون
قرانا عربیا غیر ذی عوج لعلهم یتقون والذی جاء بالصدق
وصدق به اولئک هم المتقون او تقول لو ان الله هدانی لکنت
من المتقین وینجی الله الذین اتقوا بمفازتهم لا یمسهم السوء ولا هم یحزنون
وسیق الذین اتقوا ربهم الی الجنة زمرا ونجینا الذین امنوا وکانوا
یتقون وان کل ذلک لما متاع الحیوة الدنیا والاخرة عند
ربک للمتقین فاتقوا الله واطیعون ان الله هو ربی وربکم
فاعبدوه هذا صراط مستقیم الاخلاء یومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقین
ان المتقین فی مقام امین والله ولی المتقین مثل الجنة التی وعد
المتقون وان تؤمنوا وتتقوا یؤتکم اجورکم ولا یسالکم اموالکم
والزمهم کلمة التقوی وکانوا احق بها واهلها واتقوا الله ان الله

ان الله سمیع علیم اولئک الذین امتحن الله قلوبهم للتقوی انما المؤمنون
اخوة فاصلحوا بین اخویکم واتقوا الله لعلکم ترحمون واتقوا الله ان الله
تواب رحیم ان اکرمکم عند الله اتقیکم وازلفت الجنة للمتقین غیر بعید
ان المتقین فی جنات وعیون ان المتقین فی جنات ونعیم ان المتقین
فی جنات ونهر فی مقعد صدق عند ملیک مقتدر یا ایها الذین
امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبیر بما
تعملون واتقوا الله الذی انتم به مؤمنون فاتقوا الله ما استطعتم ومن
یتق الله یجعل له مخرجا ویرزقه من حیث لا یحتسب ومن یتق الله
یکفر عنه سیاته ویعظم له اجرا فاتقوا الله یا اولی الالباب ان للمتقین
عند ربهم جنات النعیم قال یا قوم انی لکم نذیر مبین ان اعبدوا
الله واتقوه واطیعون وما یذکرون الا ان یشاء الله هو اهل
التقوی واهل المغفرة ان المتقین فی ظلال وعیون ان للمتقین مفازا
حدائق واعنابا وکواعب اترابا وکاسا دهاقا فالهمها فجورها
وتقویها قد افلح من زکیها فاما من اعطی واتقی وصدق بالحسنی
فسنیسره للیسری وسیجنبها الاتقی الذی یؤتی ماله یتزکی او امر
بالتقوی واما ما یدل علی فضیلة التقوی من الاحادیث النبویة
فقد روی عن ابن عباس رضی الله عنه انه قال اقبل رسول الله
صلی الله علیه وسلم من غزاة او سریة فدعا فاطمة رضی الله تعالی
عنها فقال یا فاطمة اشتری نفسک من الله فانی لا اغنی عنک
من الله شیئا وقال لنسوته مثل ذلک وقال مثل ذلک
لعترته ثم قال ما بنو هاشم باولی الناس بامتی ان اولی الناس بامتی
المتقون ولا قریش باولی الناس بامتی ان اولی الناس بامتی
المتقون ولا الانصار باولی الناس بامتی ان اولی الناس بامتی

المتقون انما انتم من رجل وامراة وانتم كجمام الصاع ليس لاحد
علے احد فضلٌ الا التقوى وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة امر الله
منادیا ينادى الا انى جعلت نسبا وجعلتم نسبا فجعلت اكرمكم
اتقاكم فابيتم الا ان تقولوا فلان بن فلان خير من فلان بن فلان
فاليوم ارفع نسبى واضع نسبكم اين المتقون وعن جابر رضى الله
عنه انه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وسط ايام التشريق
فقال يا ايها الناس ان ربكم واحد الا لا فضل لعربى على عجمى ولا
لعجمى علے عربى ولا احمر على اسود ولا اسود علے احمر وان اباكم
واحد الا بالتقوى ان اكرمكم عند الله اتقاكم الا هل بلغت قالوا بلى
يا رسول الله قال فليبلغ الشاهد الغائب فاذا عرفت هذا فاعلم
ان المتقى اسم فاعل من وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو
فى الشرع اسم لمن يقى نفسه عما يضره فى الآخرة وليس لكمال التقوى
حد يدرك مداه اذ بتقدير الله تعالى ومشيته يتفاوت درجاتها
والمعتبر فى ذلك ما لا يؤدى الى الحرج والمشقة وتضييع حدود
الشريعة وهو رجحان جهة الدين على الهوى والشهوة فاولى
الدرجات والمراتب التوقى من العذاب المخلد بالايمان المنجى
والتبرى عن الشرك قال الله تعالى والزمهم كلمة التقوى اى
التوحيد وعن ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى هدى للمتقين
هدى قال نور للمتقين قال هم المؤمنون والثانية وهى المتعارفة
التجنب عن كل ما يجعل العبد اثيما من ترك الامر والدرجة
العليا من التقوى التنزه عما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه
بشراشره وهو التقوى الحقيقى المطلوب بقول الله تعالى واتقوا الله

وجام القدح والصاع بلؤه بغير راس
شئت الجيم قال ابن السكيت وانما
يقال جمام فى الدقيق واشباهه
كذا فى المصباح
المنير

قال فى تفسير الدر المصون ولباب الافتعال
اثنى عشر معنى منها الايجاد ونحو اتقى ومنها
المطاوعة لافعل وفعل الى غير ذلك
ثم انه اعتبر المحقق البيضاوى فى الاتقاء
فرط الصيانة وكانه اخذه
من التكثير والمبالغة
وفيه تامل
منه

واتقوا الله حق تقاته والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك
هم المتقون الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
الذين آمنوا وكانوا يتقون ولا يخفى ان تنزه السر عما يشغله عن
الحق المبين لا يجب شرعا يكون تاركه آثما وانما هو شان الكمل
نفعنا الله ببركاتهم فاجتناب الكبائر لازم فيه بالاتفاق
حتى الصغاير عند قوم لان فرط الصيانة يقتضى ذلك يؤيده
قوله عليه الصلوة والسلام لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى
يدع ما لا باس به حذرا عما به باس وقال بعض المفسرين المختار
انه الاجتناب عن الصغاير لا يعتبر فى مفهوم المتقى فانها لا تنافى
التقوى ومرتكبها لا يخرج عن زمرة المتقين لانها تقع مكفرة
باجتناب الكبائر كما هو راى المعتزلة فانه امر الكبائر والصغائر
عندنا موكول الى الله تعالى ان شاء عذب وان شاء عفا فلا نزاع
فى وجوب التوبة عن الكل وعدم ايجاب اجتناب الكبيرة تكفير
الصغيرة لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره لانا نقول معناه اذا لم يجتنب الكبائر لانه
تقييد بلا دليل وترجيح جانب التناول بانه الاصرار على الصغيرة
يسلب العدالة فكيف بالتقوى غير مفيد لانه الاصرار على الصغيرة
كبيرة فكانه مخرجا عن التقوى ايضا وحد الاصرار على الصغيرة
ان تتكرر منه تكرارا يشعر بقلة المبالاة بدينه اشعار ارتكاب الكبيرة
بذلك واختلف فى الكبائر فروى عن عمر رضى الله عنه عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال الكبائر تسع الاشراك بالله وقتل النفس
المؤمنة وقذف المحصنة واليمين الغموس والفرار عن الزحف
والسحر واكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين والالحاد فى الظلم

قال صاحب الكشاف واختلف فى الصغائر
قيل الصحيح انه لا يتيقنا ولنهائها تقع مكفرة عن مجتنب
الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المومن بظاهر
الحال والمتقى لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز
العدل الا على المختبر
منه

في الحرم وروى ابو هريرة رضي الله عنه مع ذلك اكل الربوا واضاف
الى ذلك على كرم الله وجهه السرقة وشرب الخمر وقيل ما علم حرمته
بقاطع فهو كبيرة كذا في التقرير وقال ابن مسعود لما سئل عنها اقرؤا
من اول سورة النساء الى راس ثلثين آية منها عند قوله ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فكل ما نهى الله في هذه السورة
الى ههنا فهو كبيرة وقال بعض المحققين الكبائر سبع عشرة جمعتها
من جملة الاخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود
وابن عمر وغيرهم اربعة في القلب الشرك بالله تعالى والاصرار
على معصيته والقنوط من رحمته والامن من مكره واربع في اللسان
وهي شهادة الزور وقذف المحصن واليمين الغموس وهي التي يحق
بها باطلا او يبطل بها حقا وقيل هي التي يقتطع بها مال مسلم باطلا
ولو سواك من اراك وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها في النار
والسحر وهو كل كلام يغير الانسان وسائر الاجسام عن موضوعات
الخلقة وثلاث في البطن وهو شرب الخمر والمسكر من كل شراب
واكل مال اليتيم ظلما واكل الربوا وهو يعلم واثنتان في الفرج وهو
الزنا واللواطة واثنتان في اليدين وهو القتل والسرقة وواحدة
في الرجلين وهو الفرار عن الزحف الواحد من الاثنين والعشرة
من عشرين وواحدة في جميع الجسد وهو عقوق الوالدين وقال
في تحقيق التفسير في تكثير التنوير معظم اصحاب الشافعي رحمه الله ان
الكبيرة موجب الحد وقيل اتصاف الذنوب بالصغر والكبر
بالنسبة الى ما فوقها وتحتها او بالاضافة الى طاعة او ثواب
او الاشخاص لانه تعالى عاتب نبيه عليه السلام بالخطوات وفي
انوار التنزيل فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس

النفس وبينهما وسايط يصدق عليهما الامران فمن عن له
امران منهما ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك وكفها
عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب
الاكبر وقال في قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرها
وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنب
الكبائر وفي سبب النزول انه رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اني اصبت من امراة غير اني لم آتها فنزلت انتهى وقيل سبع
يقول النبي صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات الشرك
بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربوا
واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات
الغافلات وروى عن ابن عباس انها الى سبع مائة اقرب
من سبع لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار
وروى عنه الى سبعين ولا منافاة له مع الخبر لان التخصيص
بالعدد لا يدل على الزائد والناقص واما التحقيق في دفع ما يقال
من انه كيف يشمل تعريف المتقي جميع افراده وفي افراده من لم يتصور
منه فرط الصيانة فهو ان اهل الشرع يعتبرون المعاني اللغوية
في الحقايق الشرعية اما مع الزيادة عليه بقيد من القيود كالصلوة
والزكوة والبيع والربوا ونحوها واما بالنقصان عنه كالايمان
والكفر فانهما في اللغة لمطلق التصديق والستر اعم مما يكون في الشرع
ولذا لم يطلقوا الجسب الشرع على ساتر الحق كافرا والحاصل انهم
يراعون اللغة بوجه لا يكون مخالفا من جميع الوجوه لا انهم يراعون
جميع ما في اللغة والمتقي من جملته ولو سلم فما المانع في القول بانه فرط
الصيانة عن الكفر كما ان ما عداه فرط الصيانة عن الاثم هذا والله اعلم

ان المتقي في الحقيقة من يخشى الله وارتكاب الكبيرة يؤذن بعدم
الخشية فلا بد للمتقي من الخشية اذ امر التقوى عظيم قال في التفسير الكبير
واعلم ان التقوى هي الخشية قال تعالى في اول النساء يا ايها الناس
اتقوا ربكم ومثله في اول الحج والشعراء اذ قال لهم اخوهم نوح
الا تتقون يعني الا تخشون الله وكذلك قول هود وصالح ولوط
وشعيب لقومهم وفي العنكبوت قال ابرهيم لقومه اعبدوا الله
واتقوه يعني اخشوه وكذا قوله واتقوا الله حق تقاته وتزودوا
فان خير الزاد التقوى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا واعلم
ان حقيقة التقوى وان كانت هي التي ذكرناها الا انها قد
جاءت في القران والغرض الاصلي منه الايمان تارة والتوبة
اخرى والطاعة ثالثة وترك المعصية رابعا والاخلاص خامسا
اما الايمان فقوله تعالى والزمهم كلمة التقوى اي التوحيد اولئك الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى وفي الشعراء قوم فرعون الا يتقون اي
الا يؤمنون واما التوبة فقوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا
واتقوا اي تابوا واما الطاعة فقوله تعالى في النحل ان انذروا انه
لا اله الا انا فاتقون واما ترك المعصية فقوله تعالى واتوا البيوت
من ابوابها واتقوا الله اي فلا تعصوه واما الاخلاص فقوله تعالى
في الحج فانها من تقوى القلوب اي من اخلاص القلوب وكذا قوله
تعالى فاياي فاتقون واعلم ان مقام التقوى مقام شريف قال
تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقال ان اكرمكم
عند الله اتقاكم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال عليه الصلوة
والسلام من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله ومن احب
ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله ومن احب ان يكون اغنى

اغنى الناس فليكن بما في يد الله اوثق مما في يده وقال علي بن
ابي طالب كرم الله وجهه التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك
الاغترار بالطاعة وقال الحسن رضي الله عنه التقوى ان لا تختار
على الله سوى الله واعلم ان الامور كلها بيد الله وقال
ابرهيم بن ادهم التقوى ان لا يجد الخلق في لسانك عيبا ولا الملائكة
في افعالك عيبا ولا ملك العرش في سرك عيبا وقال الواقدي
التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين ظاهرك للخلق ويقال
التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك ويقال المتقي من سلك
طريق المصطفى ونبذ الدنيا وراء القفا وكلف نفسه الاخلاص
والوفا واجتنب الحرام والجفا انتهى فعلى هذا كان مآل امور العامة
الى التقوى وهي كافية وافية واقية اذ الاعتقاديات والعمليات
اذا فسرت بالمعنى المتعارف وهو ما يعم فعل الحسنات وترك
السيئات كما عرفت فيما سبق داخلة فيها لاشتماله على ما هو
الاساس من الاعتقاد الحق والاصل من الاعمال وهو الايمان
والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات
البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي
غالبا قال الله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقال عليه
الصلوة والسلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام
ولذا اكثر الامر بهما في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
وفي كلام عباده الذين اصطفى وسن ذكرهما مرتين في الخطبة عندنا
وفرض عند الشافعي رحمه الله تعالى وكان اهتمام السلف واجتهادهم
فيها خصوصا فيما يتعلق بحقوق العباد والبهائم ويدل العقل ايضا
على افضلية التقوى اذ يحصل بها التخلية عن الرذائل والمعاصي

والمناهي والتجلية والتحلية بمكارم الاخلاق وانواع الطاعات
والمراضي فلا بد انه نبين انواع الرزائل ليجتنب عنها وبعدها
الفضائل ليترتب على التخلية عن المعاصي التحلية بالطاعات
والتصوير بالصور الحسنة على التصقيل عن الكدورات حتى تكمل
الدرجات فاكمل درجات المومن المتقي بفضله سبحانه وتعالى
الالتحاق باصحاب اليمين ونزوله في جنة عدنه واما الالتحاق
بالمقربين فلاصحاب الفردوس الاعلى وذلك لانه الايمان
اما تقليدي كايمانه العامة الذين يصدقون بما يسمعون ويستمرون
عليه واما استدلالي كايمانه العلماء والمتكلمين واما كشفي يحصل
بانشراح الصدر بنور الله تعالى ويتضح عند صاحبه انه مرجع الكل
ومصيره الى الله تعالى فهذا الصنف الذين هم اصحاب الرتبة
العليا من التقوى هم المقربون النازلون في الفردوس الاعلى
وهم على غاية القرب من الملأ الاعلى وهم ايضا على اصناف
فمنهم السابقون ومنهم من هو دونهم وتفاوتهم بحسب تفاوت
معرفتهم بالله فدرجاتهم لا تنحصر اذ الاحاطة بكنه جلال الله
تعالى غير ممكن وليس لبحر المعرفة عمق ولا ساحل والغوص فيه بقدر
ما سبق له من الله في الازل واما المومن ايمانا تقليديا فهو من
اصحاب اليمين ودرجته دونه درجة المقربين وكذلك المومن
ايمانا استدلاليا وهم على درجات ايضا فالاعلى من درجات
اصحاب اليمين تفاوت رتبته رتبة الاولى من درجات
المقربين فهذا حال من اجتنب كل الكبائر وادى الفرائض
كلها اعني الاركان الخمسة التي هي النطق بكلمة الشهادة باللسان
والصلوة والزكوة والصوم والحج او ارتكب كبيرة او كبائر

كبائر واهمل بعض اركانه الاسلام فتاب قبل قرب الاجل والتحق
بمن لم يرتكب لانه التائب من الذنب كمن لا ذنب له والثوب
المغسول كالذي لم يتوسخ والحاصل انه الايمان كما عرفت سابقا
من خبر المخبر الصادق بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة انه لا اله
الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق فمن ادى الفرائض كلها
واجتنب الكبائر كلها فهو كامل الايمان متق بالمعنى المتعارف
وهو الرتبة الثانية للتقوى واما الرتبة الاولى فهي وانه كانت مساوية
لمطلق الايمان المنجي من العذاب المخلد الا ان التقوى في عرف الشرع
هي الثانية التي لم ينقص في صاحبها شعب الايمان ومثاله حجة الاسلام بقول
القائل ليس الانسانه موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا
اعلاها القلب والروح وادناها اماطة الاذى عن البشرة بان يكون
مقصوص الشارب مقلوم الاظفار نقي البشرة عن الخبث حتى
يتميز عن البهايم المرسلة الملوثة بارواثها المستكرهة الصور بطول
مخاليبها واظلافها وهذا مثال مطابق فالايمانه كالانسان وفقد
شهادة التوحيد توجب البطلان بالكلية والذي ليس له الا شهادة
التوحيد والرسالة هو كانسانه مقطوع الاطراف فاقد لجميع اعضائه
الظاهرة والباطنة الا اصل القلب والروح وكما انه من هذا حاله
قريب من انه يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلف
عنها الاعضاء التي تمدها وتقويها وكذلك من ليس له الا اصل الايمان
وهو مقصر في الاعمال قريب من انه تنقلع شجرة ايمانه اذا صدمتها
الرياح العاصفة المحركة للايمانه في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده
فكل ايمانه لم يثبت في اليقين اصله ولم ينتشر في الاعمال فروعه خيف
عليه سوء الخاتمة الا ما سقي بماء الطاعات على توالي الايام والساعات

حتى ثبت ورسخ اذ الظاهر القاصر لا يرسخ واين ثبوت شجرة النوع
من ثبوت شجرة الصنوبر وانه كانتا مشتركتين في اسم الشجر فاذا
عرفت هذا فاعلم ان القلب رئيس الجوارح ومتبوعها وملك مطاع
نافذ الحكم على رعيته وخدمه وهي الاعضاء والجوارح فلهذا قال
صلى الله عليه وسلم الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد
كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب ولهذا قدمنا
تخلية القلب من الافات وتحليته بالطاعات على الاعضاء
السبعة والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق **فصل** في بيان
تخلية القلب وتحليته ولما كان بيان معنى القلب مقدما
على بيان التخلية والتحلية قدم بيان المعنى المقصود منه اعلم
ان لفظ القلب يطلق لمعنيين احدهما اللحم الصنوبري الشكل
المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص في باطنه
تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود وهو منبع الروح ومعدنه
وهذا القلب عام موجود للبهايم كلها ولا يتعلق به الاغراض
الدينية وانما يتعلق بذلك غرض الاطباء والمعنى الثاني هو لطيفة
ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة
هي حقيقة الانسان وهي المدرك العالم العارف من الانسان
وهو المخاطب والمطالب والمعاقب ولها علاقة مع القلب
الجسماني قال في الاحياء وقد يحار عقول اكثر الخلق في ادراك
وجه علاقته فان تعلقه يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام و
الاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للآلة بالآلة او تعلق
المتمكن بالمكان انتهى وايضا انه للقلب كما عرفت مما سبق
جنود فجند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر ومعنى

ومعنى الجند القلب في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان
قال في الاحياء فجملة جنود القلب يحصره ثلثة اصناف صنف
باعث ومستحث له اما الى جلب الموافق النافع كالشهوة واما
الى دفع المضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث
بالارادة والثاني هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد
ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر الاعضاء
لا سيما العضلات منها والاوتار والثالث هو المدرك
المتعرف للاشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والشم والذوق
والسمع وغيرها وهي مبثوثة في اعضاء معينة ويعبر عن هذا
بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود
ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم
والعظم التي اعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش انما
يبطش بالاصابع وقوة البصر انما يدرك الشيء بالعين وكذا
سائر القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة اعني الاعضاء
فانها من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الآن فيما ايد
من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث هو المدرك من هذه
الجملة فينقسم الى ما اسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس
الخمس اعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن
منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا خمسة فان
الانسان بعد رؤية الشيء يغمض عينيه فيدرك صورته في
نفسه وهي الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بشيء يحفظها وهو
الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى بعض ثم يتذكر
ما نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك

بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ
ولو لا خلق الله تعالى قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان
يخلو الدماغ عنه كما يخلو عنه اليد والرجل فكذلك القوى ايضا
جنود باطنة واماكنها ايضا باطنة فهذه هي اقسام جنود القلب
وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء يطول ومقصود مثل
هذا الكتاب ان ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد
في تفهيم الضعفاء بضرب من الامثال ليقرب ذلك من افهامهم
بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة اعلم ان جندي الغضب
والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينانه على طريقه
الذي يسلكها ويحسن مرافقتهما له في السفر الذي هو بصدده
وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه
وفي ذلك هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة
الابد وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر وحقه
ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله تعالى على الجندين الاخرين
فانهما يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة
وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا
مبينا وذلك حال الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم
في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان يكون
الشهوة مسخرة للعقل فيما يفتقر العقل اليه وقال ايضا
الايمان له ثلث مراتب المرتبة الاولى ايمان العوام وهو ايمان
التقليد المحض والثاني ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع الاستدلال
والثالث ايمان العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين وحاصل
ما قاله في هذه الدرجات الثلث ان في الدرجة الاولى الايمان بمجرد

بمجرد التقليد وهو مثال ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز
سمعوا من ابائهم وامهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته
وسائر صفاته وبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وصدقه وما
جاء به وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا اليه ولم يخطر
ببالهم خلاف ما قالوه لحسن ظنهم بابائهم وامهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان
سبب النجاة من النار واهله من اوائل رتب اصحاب اليمين وليسوا
من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور
اليقين اذ الخطأ ممكن فيما يسمع من الاحاد بل من الاعداد فيما يتعلق
بالاعتقاد والحاصل ان المسلمين اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه
ولكن لانه القي اليهم كلمة الحق واما الدرجة الثانية فايمان ممزوج
بدليل والخطأ ايضا ممكن واما الدرجة الثالثة فهي المعرفة الحقيقية
والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم
يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون
برتبة يستحيل معها امكان الخطأ نعم وهم ايضا يتفاوتون بمقادير
العلوم وبدرجات الكشف فالمعارف انوار ولا يسعى المؤمنون
الى لقاء الله تعالى الا بنورهم قال الله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم وقد ورد في الخبر ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم
يعطى اصغر حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نورا على ابهام قدميه فيضيء مرة
ويطفى مرة فاذا اضاء قدم قدمه فمشى واذا طفئ قام ومرورهم
على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر
كالبرق ومنهم كالسحاب ومنهم كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر
كعدو الفرس والذي اعطي نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه
ورجليه يجر يدا ويعلق اخرى ويجر رجلا ويعلق اخرى وتصيب جوانبه

حبا الرجل مشى على يديه وبطنه
كذا في القاموس

النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا يظهر تفاوت
الناس في الايمان ولو وزن ايمان ابي بكر رضي الله عنه بايمان العالمين
سوى النبيين والمرسلين لرجح وهذا ايضا هي قول القائل لو وزن
الشمس بنور السرج كلها لرجح فايمان احاد العوام نوره مثل نور
السراج وبعضهم كنور الشمع وايمان الصديقين نورهم كنور
القمر والنجوم وايمان الانبياء كنور الشمس وكما ينكشف في نور الشمس
صورة الافاق مع اتساع اقطارها ولا ينكشف في نور السراج
الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك يتفاوت انشراح الصدر
بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت بقلوب العارفين ولذلك
جاء في الخبر انه يقال يوم القيمة اخرجوا من النار من في قلبه مثقال
من الايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل
ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان وان هذه المقادير
من الايمان لا تمنع دخول النار وفي مفهومه انه من ايمانه يزيد
على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل النار لامر باخراجه
اولا وانه من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وان
دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ليس شيء خير من الف مثله الا
الانسان اشارة الى تفضيل قلب العارف المؤمن الموقن فانه
خير من قلوب الف من عوام الناس وقد قال تعالى وانتم الاعلون
ان كنتم مؤمنين وقال بعض العارفين سالت بعض الابدال
عن مسالة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول
يرحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم اطرق
فقال ما تقول رحمك الله ثم اجاب باغرب جواب سمعت فسالته
عن التفاته فقال لم يكن في المسالة عندي علم عتيد فسالت صاحب

صاحب الشمال فقال لا ادري فسالت صاحب اليمين وهو
اعلم منه فقال لا ادري فنظرت الى قلبي فسالته فحدثني بما اجبتك
واذا هو اعلم منهما وكان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان في امتي
محدثين وان عمر منهم وقال ابو سليمان الداراني القلب بمنزلة
القبة المضروبة حولها ابواب مغلقة فاي باب فتح له عمل فيه
فقد ظهر انفتاح باب من ابواب القلب الى جهة الملكوت والملا
الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن
شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الى امراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانهم يتجلى لهم
امور صادقة وقال بعض العلماء يد الله تعالى على افواه الحكماء
لا ينطقون الا بما هيأ الله لهم من الحق وقال آخر لو شئت لقلت
ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره ولما كان لا يخلو قلب
عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك من صفات
البشرية المتشعبة عن الهوى لا جرم لا يخلو قلب عن ان يكون
فيه للشيطان جولان بالوسوسة ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول
الله قال وانا الا ان الله تعالى اعانني عليه فاسلم فلا يامر
الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة
الشهوة فمن اعانه الله تعالى على شهوته لا يامر الا بالخير ومهما غلب
على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان
مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله تعالى ارتحل
الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والتطارد بين جندي
الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما

الجندين فيستمكن ويستوطن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا
والقلوب التي فتحها جنود الشياطين وتملكها وامتلأت بالوساوس
الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الآجلة وكان مبدأ استيلائها
اتباع الهوى لا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت
الشيطان فهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى
الذي هو مطرح آثار الملائكة قال جرير بن عبد الله العدوي شكوت
الى العلاء بن زياد ما اجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك
مثل النقب الذي تمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا
وتركوه يعني ان القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان قال
تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وفي التفسير الكبير الاخلاق
القبيحة هي الهوى والشهوة والغضب فهذه الثلثة اصول الكفر
والبدعة والحرص والبخل والعجب والكبر والحسد هي الاولاد
والنتايج وكذلك جميع الاخلاق المذمومة كالنتايج والشعب من تلك
السبعة انتهى فاذا عرفت هذا فاعلم ان القلب مثاله مثال
حصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي
عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة ابواب الحصن
ومداخله ومواقع ثلمه ولا يقدر على حراسة ابوابه من لا يعرف ابوابه
وحماية القلب عن فساد الشيطان امر واجب وهو فرض
عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو ايضا
واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله
فصارت معرفة مداخل الشيطان واجبة ومداخل الشيطان
صفات العبد فان الكبر والبخل والاسراف والتبذير حرام
ولا يمكن التحرز عنها الا بعلمها وعلم ما يضادها وما هو الحاصل العلم

ان العلم تابع للمعلوم فان فرضا او حراما ففرض وان واجبا او
مكروها فواجب وان سنة فسنة وان نفلا فنفل فعلى كل من اشتغل بشيء
من المعاملات والحرف يفترض عليه علم التحرز عن الحرام
وهي كثيرة فان القلب تكتنفه الصفات وتنصب اليه الآثار
والاحوال من المداخل فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل
جانب واذا اصابه شيء فتأثر به اصابه من جانب آخر ما يضاده
فتغير وصفه فان نزل الشيطان به ودعاه الى الهوى التفت
القلب اليه ونزل الملك به وصرفه عنه وان جذبه شيطان
الى شر جذبه شيطان آخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه
آخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين
شيطانين وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط
مهملا قال في الاحياء واليه الاشارة بقوله عز وجل ونقلب
افئدتهم وابصارهم ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على عظيم صنع الله عز وجل في عجائب القلب وتقلبه كان
يحلف به فيقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يقول
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فحق على العبد ان يقف
عند كل هم يخطر له ليعلم انه من لمة الملك او لمة الشيطان وان
يمعن النظر في ذلك بنور البصيرة لا بهوى من الطبع فانه من مكائد
الشيطان انه يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض
قال عثمان بن ابي العاص الثقفي رضي الله عنه حال الشيطان
بيني وبين صلوتي وبين قراءتي فقال صلى الله عليه ذلك شيطان يقال له
خنزب فاذا احسست به فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك
ثلثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله تعالى عني وفي الخبر ان للوسو

وخنزب بخاء معجمة مكسورة او مضمومة
ونون ساكنة ثم زاء معجمة مكسورة او مفتوحة
قال ابو عمرو والخنزب قطعة لحم منتنة
وهو لقب ذلك الشيطان
كذا في شرح المشارق
منه

شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه وقال حجة
الاسلام ايضا في الاحيا، فان قلت فالداعي الى المعاصي المختلفة
شيطان واحد او شياطين مختلفون فاعلم انه لا حاجة
بك الى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسال
عن صفته كما قيل كل البقل ولا تسل عن المبقلة ولكن
الذي يتضح بنور الاستبصار وشواهد الاخبار انهم جنود
مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعو اليه
فاما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر
الذي ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف
الاسباب كما ذكر في نور النار وسواد الدخان واما
الاخبار فقد قال مجاهد ان لابليس خمس من الاولاد قد
جعل كل واحد منهم على شيء من امره فذكر ان اسماهم ثبر والاعور
ومسوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فهو صاحب المصائب
الذي يدعو بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى
الجاهلية واما الاعور فهو صاحب الزنا يامر به ويزينه واما
مسوط فهو صاحب الكذب واما داسم فيدخل مع الرجل
الى اهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو
صاحب السوق وبسببه لا يزالون متظالمين وشيطان
الصلوة يسمى خنزب وشيطان الوضوء يسمى الولهان وقد
ورد في ذلك اخبار كثيرة وكما ان الشياطين فيهم كثرة
فكذلك في الملائكة وقال ايضا ما اجماله والقلوب
في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلثة قلب عمر
بالتقوى وزكى بالرياضة وطهر عن خبائث الاخلاق تنقدح

ينقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف
العقل الى التفكر فيما خطر ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على اسرار
فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه لا بد من فعله
ويستحث عليه ويدعو الى العمل به فينظر الملك الى القلب فيجده طيبا
في جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بانواع
المعرفة القلب الثاني قلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبائث
الملوث بالاخلاق الذميمة المفتوح فيه ابواب الشياطين المسدود
عنه ابواب الملائكة وكل ذلك لتصاعد دخان الهوى
الى القلب حتى يظلم وينطفي منه انوار البصيرة وينطفي نور الحياء
والمروة والايمان ويسعى الى تحصيل مراد الشيطان القلب الثالث
قلب يبتدر فيه خاطر الهوى فيدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه
الى الخير فتنبعث النفس بشهواتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة
وتحسن التمتع فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح
فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر
وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فان كان الاغلب
على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان
وان كانت الصفات الشيطانية غالبة عليها جرى على جوارحه
بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى قال تعالى يعدهم ويمنيهم
وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم
باذن الله بانواع الحيل فالاحمق يوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه
عن قبول الحقائق وكل ذلك بقضاء من الله وقدر فمن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره
ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ان ينصركم الله فلا غالب لكم

وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق
لها اهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها اهلا فاستعملهم
بالمعاصي وعرف الخلق علامة اهل النار وعلامة اهل الجنة فقال
عز من قائل ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال هؤلاء في النار
ولا ابالي وهؤلاء في الجنة ولا ابالي فتعالى الله الملك الحق المبين لا يسأل
عما يفعل وهم يسألون وهذا الفصل من اوله الى هنا ماخوذ مسرود
على منوال ما نسخ من الاحياء وفي التفسير الكبير واعلم ان المدخل الذي
بابه الشيطان من قبلها في الاصل ثلثة الشهوة والغضب والهوى فالشهوة
بهيمية والغضب سبعية والهوى شيطانية فالشهوة آفة لكن
الغضب اعظم منه والغضب آفة لكن الهوى اعظم منه فقوله تعالى
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء المراد آثار الشهوة وقوله والمنكر المراد
منه آثار الغضب وقوله والبغي المراد منه آثار الهوى فبالشهوة
يصير الانسان ظالما لنفسه وبالغضب يصير ظالما لغيره وبالهوى
يتعدى ظلمه الى حضرة جلال الله تعالى ولهذا قال عليه السلام الظلم
ثلثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم عسى الله ان يتركه فالظلم
الذي لا يغفر هو الشرك بالله والظلم الذي لا يترك هو ظلم العباد
بعضهم بعضا والظلم الذي عسى الله ان يتركه هو ظلم الانسان نفسه فمنشا
الظلم الذي لا يغفر هو الهوى ومنشا الظلم الذي لا يترك هو الغضب
ومنشا الظلم الذي عسى الله ان يعفوه هو الشهوة ثم لها نتايج
فالحرص والبخل نتيجة الشهوة والعجب والكبر نتيجة الغضب والكفر والبدعة
نتيجة الهوى فاذا اجتمعت هذه الستة في بني آدم تولد منها سابع
وهو الحسد وهو نهاية الاخلاق الذميمة كما ان الشيطان هو النهاية

النهاية في الاشخاص المذمومة ولهذا السبب ختم الله مجامع الشرور
الانسانية بالحسد وهو قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد كما ختم مجامع
الخبائث الشيطانية بالوسوسة وهو قوله تعالى يوسوس في صدور
الناس فليس في بني آدم شر من الحسد كما انه ليس في الشياطين شر
من الوسواس بل قيل الحاسد شر من ابليس انتهى ولنشرع الى بيان
تخلية المتقي قلبه عن الاوصاف الذميمة وتحليته بالاوصاف
الحميدة فلا بد من ذكر منكرات القلب وآفاته اجمالا بعد تفسير
الخلق وتقسيمه الى المذموم والممدوح اعلم وفقك الله تعالى وايانا
ان الخلق والخلق بالفتح والضم مستعملان يقال فلان حسن الخلق والخلق
اي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق الصورة الظاهرة وبالخلق
الصورة الباطنة فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدر
عنها الافعال بسهولة من غير حاجة الى فكرة وروية فما لم يثبت
في نفسه ثبوت رسوخ بل على الندور بحالة عارضة لا يطلق
عليه الرسوخ كما لا يطلق على الفعل المتكلف انه بسهولة من غير روية
فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة
شرعا وعقلا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر منها
افعالا قبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وليس الخلق
عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد
المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو الذي يبذل لباعث
او لرياء وليس عبارة عن القوة لان نسبة القوة الى الامساك
والاعطاء بل الى الضدين نسبة واحدة وكل انسان خلق بالفطرة
قادرا على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل
ولا خلق السخاء وليس عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل

والقبيح على وجه واحد بل هو عبارة عن الهيئة التي بها تستعد
النفس لان يصدر منها الامساك او البذل قال في الاحياء
فالخلق اذا عبارة عن هيئات النفس وصورتها الباطنة
وكما ان حسن الصورة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف
والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك
ايضا في الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم
حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت
حصل حسن الخلق وهو قوة العلوم وقوة الغضب وقوة الشهوة
وقوة العدل بين هذه القوى الثلث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها
في انه يصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب
في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل
والقبيح في الافعال فانه انصلحت هذه القوة حصلت منها
ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة وهي التي قال تعالى فيها والحكمة
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة
الغضب فحسنها في انه لا يقتصر انقباضها وانبساطها على حد
ما يقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في انه تكون
تحت اشارة الحكمة اعني اشارة الدين والعقل واما قوة العدل
فهو ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع
انتهى واعلم انه تغيير الخلق ممكن لورود الشرع به واتفاق
العقلا والتجربة ويختلف الاستعدادات فيه بحسب الامزجة
قوة وضعفا روى ابو داود في السنن انه النبي صلى الله عليه وسلم
قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق واقتضى الحديث انه كل نبي
مبعوث الى امة انما بعث ليعلم الناس حسن الخلق وان نبينا

نبينا صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم الاخلاق فحسن الخلق اذا
امتثال الشرايع كلها قال في الاحياء في بيانه قبول الاخلاق
للتغير بطريق الرياضة اعلم انه من غلبت البطالة عليه استثقل
المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب
الاخلاق ولم تسمح نفسه بانه يعترف بانه ذلك لقصوره ونقصه
فزعم انه الاخلاق لا يتصور تغيرها واعتذر بان الطباع لا تتغير
واستدل على ذلك بامرين احدهما انه الخلق هو صورة
الباطن كما انه الخلق هو صورة الظاهر والخلقة الظاهرة لا يقدر
على تغيرها فالطويل لا يقدر انه يجعل نفسه قصيرا ولا القصير يقدر
على انه يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر على ان يحسن صورته
فكذلك القبيح الباطن تجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق
بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطريق المجاهدة
وعرفنا انه ذلك من مقتضى المزاج والطبع وانه لا ينقطع عن
الادمي فاشتغاله به تضييع زمانه لغير فايدة فان المطلوب
هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده
فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغير لبطلت الوصايا
والمواعظ والتاديبات ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم
حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في خلق الادمي وتغير خلق
البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب
من الصيد الى التادب والفرس من الجماح الى السلاسة وكل
ذلك تغير للاخلاق انتهى ما قاله وخلاصته انه الجبلات
مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطية القبول بسبب
قوة الغريزة في اصل الجبلة وانه الخلق قد يتاكد بكثرة العمل

بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا
لان الناس فيه اما جاهل فقط وهو الذي لا يميز بين الجميل
والقبيح والحق والباطل بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع
الاعتقادات ولم يقسم ايضا شهوته على اتباع اللذات
فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى تعليم والى باعث
من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في اقرب زمان واما
جاهل وضال فقط وهو ان يكون قد عرف قبح القبيح لكنه
لم يتعود العمل الصالح بل زين سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهوته
واعراضا عن صواب رايه لاستيلاء الشهوة عليه لكن علم
تقصيره في عمله فهو بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض بجد
وتشمير وحزم فعليه قلع ما رسخ في قلبه لكثرة التعود للفساد واما
جاهل وضال وفاسق وهو ان يعتقد في الافعال القبيحة انها
الواجبة المستحسنة وانها حق وجميل ويتربى على ذلك فهذا
يكاد يمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور وذلك
لتضاعف اسباب الضلال واما جاهل وضال وفاسق
وشرير وهو ان يكون مع وقوع نشوه على الراي الفاسد وتربيه
على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس
ويباهي به وهذا في اصعب المراتب وفي مثله قيل من التعذيب
تهذيب الذيب والحاصل ان الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها
بالرياضة وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء
ليصير طبعا انتهاء فانه كل صفة تظهر في القلب فيفيض اثرها
على الجوارح حتى تتحرك لا محالة على وفقها وكل فعل يجري
على الجوارح فانه يرتفع منه اثر الى القلب وباستماع ما ورد

ورد في ذم سوء الخلق اجمالا وتفصيلا ومما ورد في ذمه ما خرجه
الاصفهاني عن ميمونة بن مهران انه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من ذنب اعظم عند الله من سوء الخلق وذلك لان
صاحبه لا يخرج من ذنب الا وقع في ذنب وخرج الطبراني في المعجم
الاوسط عن عايشه رضي الله عنها انه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الشوم سوء الخلق وخرج ايضا والاصفهاني عن عايشه
رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من شي الا له توبة
الا صاحب سوء الخلق فانه لا يتوب من ذنب الا عاد في
شر منه وخرج الطبراني في الكبير والاوسط والبيهقي عن ابن عباس
رضي الله عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلق الحسن
يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد والخلق السوء يفسد الاعمال
كما يفسد الخل العسل وخرج الطبراني في المعجم الاوسط عن ابي
هريرة رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما حسن الله خلق رجل وخلقه فيطعمه النار والاخبار
فيه كثيرة فعليك بتخلية قلبك عن الرذائل وتحليتها بالفضائل
وبالخروج من كل خلق دني والدخول في كل خلق سني هذا ولنشرع
الى بيان تخلية القلب وتحليته بذكر جملة الاخلاق السيئة
والرذائل الردية ثم تحليته بالاخلاق الحسنة اجمالا وقد يكون
في خلال ما سبق ذكر نوع تفصيل لاكثرها فاعلم ان جملة الرذائل
الردية والاخلاق السيئة ما ذكر من الكفر والنفاق واتباع
الهوى والريا والبدعة والكبر والعجب والحسد والحقد
وتعليق القلب بالاسباب وبغض الصالحين وحب الظلمة
والسخط بالقضاء والجزع والحرص وكفران النعمة والبخل والاسراف

وحب المال وحب الجاه وخوف الذم وحب المدح وطول
الامل والطمع والحرص والشره والتذلل والحقد والحسد والسفه
والوقاحة والعناد والتمرد والصلف والفظاظة وحب الدنيا
والحزن فوات الدنيا والخوف فيه والفتنة والغش والمداهنة
والانس بالمخلوق والعجلة والبطالة والتسويف والخفة والجربزة
والغباوة والتقليد والجبن والعداوة والشماتة والغدر
والتهور والخيانة وخلف الوعد وسوء الظن والطيرة والغباوة
والجمود والاصرار واما الاخلاق الحميدة فمجموع ما ذكر وهو
الايمان واعتقاد اهل السنة والجماعة والاخلاص والاحسان
والانس بالله والشوق الى الله ومحبته والوقار والذكاء
والعفة والاستقامة والحكمة والادب والفراسة والتفكر
والصدق والمرابطة والمشارطة والمراقبة والمحاسبة والصلابة
في الدين والحياء والشفقة والرقة والتواضع والذكر والنصيحة
والتصوف والغيرة والغبطة في عمل الآخرة والسخاء والايثار
والمروة والفتوة والشكر والرضاء والصبر والخوف من الله
والرجاء والحزن والحب في الله والبغض في الله والتوكل
والخمول واستواء مدح وذم والمجاهدة وتحقيق قصر الامل
وذكر الموت والتفويض والتسليم والتملق في طلب العلم وسلامة
الصدر عن الحقد والحسد والشجاعة والحلم والرفق والامانة
والوفاء والانجاز بالعهد وحسن الظن والزهد والانابة
والرشد والسعي والقناعة والاناءة والمبادرة في عمل الآخرة
والمعاتبة والمعاقبة وكظم الغيظ والعفو والنية والارادة
وطول الحياة للعبادة والتوبة والخشوع واليقين والعبودية

والعبودية والحرية والارادة فاذا عرفت اجمالا ما به التخلية من
الرذائل وما به التحلية من الفضائل فاعلم ان من تيقن بان
نفسه اعدى عدوه لم يستبعد الفرح والسرور عند لحوق الذل
والهوان لها واما من اتخذها اصدق اصدقائه فبعده
ممتنعا ومحالا فالاول لمة من الملك فمن وجد ذلك فليحمد الله
على ذلك وليتعوذ الثاني بالله من الشيطان اذ ليس للشيطان
على عباد الله المخلصين سلطان **الفصل الثاني** في بيان آفات
الاعضاء السبعة اجمالا وهي اللسان والاذن والعين واليد
والبطن والفرج والرجل ومن المعلوم ان اللسان من نعم الله
العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه وكبير طاعته
وجرمه اذ لا يتبين الايمان والكفر الا بشهادة اللسان وهما
غاية الطاعة والطغيان وكل ما يتناوله العلم يعرب عنه
اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم متناول له وهذه
خاصية لا توجد في سائر الاعضاء فلهذا قدم بيان آفاته
على سائر الاعضاء وآفات اللسان ليست مقصورة
على القول باللسان بل السكوت والترك فيما يحتاج الى التكلم
في العبادات القولية والمعاملات الشرعية مطلقا من آفات
اللسان اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت
فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من صمت نجا وروي عن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه انه كان يضع حصاة في فيه يمنع بها
نفسه من الكلام ويقول هذا اوردني الموارد وقال الحسن ما عقل
دينه من لم يحفظ لسانه فالصمت اصل ما لم يكن للتكلم اجر او رخصة

شرعا قال العيني في شرح البخاري في باب حفظ اللسان عن التكلم
بما لا يسوغ في الشرع وقال عليه السلام وهل يكب الناس في النار
على مناخرهم الا حصائد السنتهم واما النطق بالحق فواجب
والصمت فيه غير واسع وقال صلى الله عليه وسلم من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت واما الاصل
في الكلام فنوعان النوع الاول ما كان الاصل فيه الاذن
والمنع لعارض وهذا النوع على ثلثة اقسام القسم الاول
من العبادات وهي اما متعدية مثل التعليم والتذكير
والامامة والتاذين ونصحها واستحبابها ووجوبها
شرائط لا بد من معرفتها ومراعاتها لمن باشرها حتى يحصل
المشروط فيصير عبادة يترتب عليها الثواب ولا يأثم
من تركها فانه لم يراع ما ذكر من الاركان والشرائط صار
اثما من آفة اللسان فلا يكون متقيا وموضع بيانه علم الفقه
واما غير متعدية من العبادات القاصرة كالتلاوة والذكر
والدعاء ولهذه ايضا شروط وآداب قد سبق ذكر البعض
منها فانه لم يراع تلك الشروط والآداب يأثم صاحبه
فيكون من آفة اللسان كمن يقرا او يذكر او يدعو باللحن الجلي وهو مخالفة
الاعراب والخفي وهو عدم اداء حق الحرف او بالتغني بزيادة
او نقص في الحروف فهما حرامان وقد عرفت فيما سبق لزوم
التجويد او يقرا او يذكر او يدعو لا لرضاء الله تعالى بل للاجرة
والنفع الدنيوي فانه حرام في العبادة البدنية المحضة
وكمن يسبح في مجلس المعصية لفعلها او البايع عند فتح المتاع
لا للتبرك بل لترويجه فقد صرح بعض العلماء فيه من استعمال

من استعمال الذكر بمعنى الترويج لبضاعته او الحارس لمتاع
الغير بانه يقول صلوا على محمد او تبارك الله او الله لاظهار
انه في السوق وغرضه من الذكر اخذ الاجرة على الحراسة لا الذكر
فانهم يأثمون بمثل هذه الاغراض والنيات لا سيما الهم
الادنى بالذي هو خير واما من يقصد الاعتبار بانهم يشتغلون
بالمعصية او امور الدنيا واللايق الشغل بذكر الله تعالى
فانه يثاب كالواعظ يقول صلوا او الغازي كبروا والذكر يوجب
ما يرفع الاجر وفي التاتارخانية رجل ذكر الله تعالى وسبحه في مجلس
الفسق فانه كان من نيته ان الفساق يشتغلون بالفسق
وانا اشتغل بالتسبيح فهو احسن وافضل وفي الخلاصة وانه يثاب
كمن سبح الله تعالى في السوق وكان من نيته ان الناس يشتغلون
بامر الدنيا وانا اسبح الله تعالى في مثل هذه المواضع كان افضل
من ان يسبح الله تعالى على غير السوق وانه سبح على وجه الاعتبار
كان حسنا فيوجر على ذلك ايضا انتهى القسم الثاني من العادات
التي يتعلق بها النظام وهي المعاملات كالبيع والاجارات
والشركة والمضاربة والرهن والهبة والوديعة والعارية
والكتابة والعتاق والنكاح والطلاق وكل ما يحتاج اليه فهذه
الامور مباحات في اصلها شرعا ان لم يقارنها محرم وانه كان
بعضها في بعض الحالات واجبا او سنة او مكروها فان النكاح
يجب عند القدرة على النفقة والمهر مع التوقان وسن عند عدمه
مع القدرة المذكورة ومكروه عند خوف الجور ولكن الشرع اعتبر
فيها اركانا يجب المراعاة عند المباشرة والا يصير كل واحد منها
اما باطلا لفقد ركنه او فاسدا لفقد شرطه او مكروها فيأثم صاحبه

بارتكاب الفاسد او الباطل او المكروه تحريما او بشبه بارتكابه
المكروه تنزيها فيكون بسبب عدم رعاية الاركان والشروط
آفة اللسان فلهذا لما قيل لمحمد رحمه الله لم لا تصنف كتابا في
الزهد قال صنفت كتاب البيوع اشارة الى ان الزهد والتقوى
لا يحصل الا بالتحرز في المعاملات عن كل بطلان وفساد وكراهة
فلا بد لكل من باشر امرا من امور نظام المعاش وغيره معرفة احوال
ما باشره بحسب الحاجة والمداخلة من علم الفقه اذ علم الفقه كافل
لمعرفتها والقسم الثالث من العادات التي لا يتعلق بها نظام
المعاش وهي ستة الاول المزاح فروي عن ابي هريرة رضي الله
عنه انه قال قالوا يا رسول الله انك لتداعبنا قال اني لا اقول
الا حقا اي فاذا كانت مداعبتكم لا تتضمن الباطل فجائزة والا
فلا وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
له يا ذا الاذنين يعني يمازحه وفيه ثناء حسن عليه بحسن الاستماع
وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان العبد ليقول الكلمة لا يقولها الا ليضحك بها المجلس
يهوي بها ابعد ما بين السماء والارض وان الرجل ليزل عن
لسانه اشد مما يزل عن قدميه وقيل في معنى الحديث جراحات
السنان لها التيام ولا يلتام ما جرح اللسان والثاني المدح وهو
جائز خرج الترمذي عن عقبة بن عامر والبيهقي موقوفا انه قال صلى
الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب ولكن جوازه
بشروط خمسة الاول انه لا يكون لنفسه وفي حكم تزكية النفس مدح
ما يتعلق بها مما يستلزم مدحه مدح المادح والثاني انه يحترز عن الافراط
المودي الى الكذب والرياء وان لا يقول بما لا يتحققه الثالث

مما لا سبيل الى الاطلاع اليه كالتقوى
والورع والزهد فلا يجزم القول بشهادته بل
يقول احسب ونحوه
منه

الثالث انه لا يكون الممدوح فاسقا روي عن انس رضي الله عنه
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يغضب اذا مدح الفاسق وفي
رواية اذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش الرابع
ان يعلم انه لا يحدث في الممدوح غرورا بما مدحه وعجبا وكبرا او فرحا ومدح
اللباس والدابة والمسكن ونحوها داخل في التكبر وكذا ذمها و
عن المقداد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم
المداحين فاحثوا في وجوههم التراب الخامس انه لا يكون
المدح لغرض حرام او مفضيا الى فساد والثالث الشعر وهو
جائز اذا خلا عن الكذب والرياء وذكر الفسق والتغني والفاحشات
المدح وهجو ما لا يجوز هجوه فان هجو الكافر والمنافق جائز
لانه رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الشاعر حسان بن
ثابت بهجوهم وعن الاستكثار منه والتجرد له حتى يشغله
عن بعض الواجبات والسنن والرابع السجع والفصاحة
وهما محمودتان اذا كانا بلا تكلف ولا تصنع خصوصا اذا
كانا في الخطابة والتذكير بل يستحب التكلف اليسير واما التقعر
في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بما
جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة بحيث يبعد عن الطاعة
ويؤدي الى القسوة فمن التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا والاتقياء من امتي برآء من التكلف
والفصاحة والسجع بحسب السليقة والطبيعة لا ينكر الاستحباب
فيهما لانه فيهما تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها
وقد سبق الكلام في المتنطعين والخامس الكلام فيما لا يعني
وقد سبق فيه ايضا والسادس فضول الكلام وهذا يتناول

مثل مدح حسن شخص معين في المرد والنساء
بين الاجانب لتحريك الشهوة فيهم
او تعنتا في النفس وتطييب المجلس ومثل
مدح الظلمة ونحوها
منه

من حكاية الاسفار لغير فائدة ورؤية
الجبال والانهار والاطعمة والثياب والخوض في
منه

او الزيادة فيما يعني على قدر الحاجة وليس منه
التفصيل المحتاج اليه لانه للحاجة وفيما لا حاجة
يجب الايجاز والاقتصار منه

الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فانه من جنسه
امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يطوله ويكرره وجهه
تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول
وانه لم يكن فيه اثم ولا ضرر هذا وقد يكون الاذن بالسكوت
فهو كالقول فان النهي عن المنكر فرض بالكتاب والسنة واجماع
الامة واما المنع والرد بالقول فيما يجب الاذن كزيارة
الابوين فقد دخل في النهي عن المعروف فيكون حراما وهذا
شأن المنافقين قال تعالى فيهم يأمرون بالمنكر وينهون
عن المعروف وكذا منع امرأته عن اقامة خدمة احد ابويها
اذا كان مريضا اذا لم يوجد من يخدمه ويقوم بحوائجه فيأثم
الزوج وعليها ان تخرج بلا اذنه اذا لم يمنعها بالفعل كالضرب
والحبس وفي الخلاصة يجوز للزوج ان يأذن لها بالخروج الى
سبعة مواضع زيارة الابوين وعيادتهما وتعزيتهما او احدهما
وزيارة المحارم فانه كانت قابلة او غاسلة او كان لها
على آخر حق او لآخر عليها حق تخرج بالاذن وبغير الاذن والحج
على هذا وفي ما عدا ذلك من زيارة الاجانب وعيادتهم
والوليمة لا يأذن لها ولو اذن وخرجت كانا عاصيين انتهى
والنوع الثاني ما كان الاصل فيه الحظر والمنع وهو ستون
الاول كلمة الكفر العياذ بالله وحكمه انه كان طوعا فهو غير سهو
لسانه احباط العمل كله ثم لا يعود بالتوبة عندنا فيجب عليه الحج
ان كان غنيا ولو حج اولا قال تعالى ومن يكفر فقد حبط عمله وهو
في الآخرة من الخاسرين ولا يجب قضاء ما صلى وصام وزكى
ويجب قضاء ما فات في حال الاسلام منها لان المعصية لا تحبط

لا تذهب بالكفر وانفساخ النكاح ولو من المرأة بلا طلاق فلا تلزم
الحلالة بعد الثلث فلو صدرت من المرأة تجبر على النكاح بعد
التوبة ومن الرجل تخير المرأة انه تاب وحرمة ذبيحته وحل دمه
لتبديل دينه وتوبته الرجوع عما قاله والتجديد ايضا توبة والثاني
ما فيه خوف الكفر وحكمه انه يؤمر بالتوبة وتجديد النكاح احتياطا والثالث
الخطأ وحكمه انه يؤمر بالتوبة والاستغفار فقط والرابع الكذب
وهو الاخبار عن الشيء على غير ما هو عليه فانه لم يكن عن عمد فمعفو مثل
يمين اللغو وانه عن عمد فحرام قطعي الا في مواضع خرج الترمذي عن اسماء
بنت يزيد انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل الكذب
الا في ثلث رجل كذب امرأته ليرضيها ورجل كذب في الحرب فان
الحرب خدعة ورجل كذب بين المسلمين ليصلح بينهما وزاد
في رواية ابي داود عن ام كلثوم والمرأة تحدث زوجها والحق بهذه
الثلث دفع ظلم الظالم واحياء الحق قيل ومنه الوعيد والوعد كاذبا
للصبي والانكار لسر الغير ومعصية نفسه وقيل المباح في هذه المواضع
التعريض وهو الخامس من آفات اللسان وهو ارادة غير الظاهر المتبادر
من الكلام ولا بد من احتماله لمراده بحسب اللغة ولا يكفي مجرد النية
وهو جائز عند الحاجة كالصور السابقة ويكره بدونها واما الكذب
الصريح فحرام لا يحل بحال فيما عدا ما ذكر آنفا ومن التعريض تقييد الكلام
بلعل وعسى عن النبي صلى الله عليه وسلم المخرج من الكذب ان يقول ان شاء
الله وما شاء الله ولعل وعسى كذا في التاتارخانية ومن التعريض انه
يقول اشتريت هذه الجبة مثلا وقد اشتريته بستة لانه الاول
موجود في الثاني فلا يكون كذبا وقد يكون ذكر العدد كناية عن الكثرة
فلا يراد خصوصه وانه شاب انه توف مثلا فتجد سبعين مثلا او اكثر

خلافا لمحمد انه صدرت من الزوج منه

ومعناه في المعارض لمندوحة ارسعة وتخلصا وكفاية منه

الغيبة وقد مضى نوع التفصيل فيما سبق والسابع النميمة وقد
مضت ايضا والثامن السخرية وهي تتضمن الاستصغار والاستخفاف
قال تعالى لا يسخر قوم من قوم منه
وهي حرام كما مر والتاسع اللعن وهو الطرد والابعاد من رحمة
الله تعالى فلا يجوز لشخص معين بطريق الجزم ولا الحيوانات وجماد وقد
ورد التصريح عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي عن لعن الريح
والبرغوث وانما يجوز اللعن بالوصف العام المذموم لانه ثبت
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن من ذبح لغير الله تعالى ومن لعن والديه
ومن اوى محدثا ومن غير منار الارض واكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهده
والواشمة والموشومة ومانع الصدقة والمحلل له والمختفي والمختفية
اي فاعلة الواشم والمفعوله
ومن ام قوما وهم له كارهون وامراة زوجها عليها ساخط ورجلا
سمع الاذان ولم يجب والراشي والمرتشي وعاصر الخمر ومعتصرها وشاربها
وساقيها وحاملها والمحمولة اليه وبايعها ومبتاعها وواهبها
واكل ثمنها والعاشر السب خرج البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لاخيه يا كافر
فقد باء بها احدهما فانه كان كما قال والا رجعت عليه والحادي
عشر الفحش والثاني عشر الطعن والتعيير والثالث عشر النياحة والرابع عشر
المراء وهو طعن في كلام الغير باظهار خلل فيه فقط والخامس عشر الجدال
فانه قصد تخجيل الخصم فحرام وقد مر والسادس عشر الخصومة وهي
مذمومة وهي وراء المراء والجدال لان المراء طعن في كلام الغير
لاظهار خلل فيه وليس فيه غرض الا تحقير الغير واظهار مزية الكياسة
والجدل عبارة عن مراء يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها
والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي بها مال او حق مقصود وذلك
تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا بالاعتراض

هي كشف ما يكره كشفه وافشاء السر
وفي الاكثر تطلق على نقل القول المكروه
الى المقول فيه وهي حرام الا ان يكون
له ضرر فيه في القتل والضرب او الشتم
ولم يكن دفعه الا بالاعلام
فيجب لانه نصح
منه

[illegible]

بالاعتراض على كلام سبق والسابع عشر الغناء والتغني للناس
اذا لم يكن في العرس والاعياد وايام الافراح سماه كثير من الفقهاء
وصاحب الهداية كبيرة قال الله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث
قال بعض المفسرين ان المراد منه الغناء واما التغني في العرس والاعياد
والتغني لدفع الوحشة وحده فاختلفوا فيه دون التغني بالقرآن والذكر
والدعاء اذ التغني تحسين الصوت بلا لحن فمندوب اليه زينوا القرآن
باصواتكم زينوا اصواتكم بالقرآن ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي
ان يتغنى بالقرآن ليس منا من لم يتغن بالقرآن وليس المراد في هذه
الاحاديث الا التغني بعدم اضرار الكلمة عن وضعها بل تحسينها
تحسين الصوت وتزيين القراءة وذلك مستحب عندنا في
الصلوة وخارجها وفي التاتارخانية ذكر محمد رحمه الله في السير
عن انس بن مالك رضي الله عنه انه دخل على اخيه البراء بن مالك
وهو كان يتغنى فقال انس فقال اتخشى اني اموت على فراشي و
قد قتلت تسعة وتسعين من المشركين مبارزا سوى ما شاركت
فيه من المسلمين قوله وهو كان يتغنى بظاهره حجة لمن يقول لا باس
للانسان ان يتغنى اذا كان يسمع ويونس نفسه وانما يكره اذا
كان يسمع ويونس غيره وقال ايضا وفي الذخيرة ومنهم من قال
لا باس في الاعياد وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
جالسا في يوم العيد وفي البيت جاريتان تغنيان بالدف فجاء
ابو بكر رضي الله عنه وقال امغنيتان في بيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال دعهما فانه هذا اليوم يوم عيد ومنهم من قال
اذا كان يتغنى ليستفيد به نظم القوافي ويصير فصيح اللسان لا باس به
ومنهم من قال اذا كان وحده ويتغنى لدفع الوحشة عن نفسه فلا باس

وبه اخذ شمس الائمة السرخسي رحمه الله وانما المكروه على هذا القول
ما يكون على سبيل اللهو انتهى والثاني عشر افشاء السر والتاسع عشر
وهو مذموم بالاجماع
الخوض في الباطل والعشرون سؤال المال والمنفعة الدنيوية عمن
لا حق له فيه وهو حرام الا عند الضرورة والحادي والعشرون
سؤال من لم يبلغ فهمه عن كنه ذات الله تعالى وصفاته وكلامه وعن
الحروف اهي قديمة او محدثة وعن قضاء الله تعالى وقدره خرج
البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا
خلق الله فمن خلق الله تعالى فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت
بالله ورسله وفي رواية فليستعذ بالله ولينته وزاد ابو داود
فاذا قالوا ذلك فقولوا الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفوا احد ثم ليتفل عن يساره وليستعذ من الشيطان والثاني
استهانة للشيطان الموقع له في ذلك
والعشرون السؤال من المشكلات ومواضع الغلط للتغليط
والتخجيل وهو حرام والمستحب في السؤال عنهما انه يكون للتعلم او
للتعليم او حثهم على التامل والثالث والعشرون الخطاء في التعبير
والغفلة عن دقائق الخطاء في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله
تعالى وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ
في امور الدين الا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه
عن الذلل لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله روي عن حذيفة انه قال
النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت
ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وقال ابن عباس رضي الله عنه
جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه في بعض الامر
فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم اجعلتني لله

الله عدلا بل ما شاء الله وحده وخرج مسلم عن ابي هريرة رضي الله
عنه انه قال صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب الكرم انما الكرم
الرجل المسلم وزاد في رواية ولكن قولوا العنب والحبلة وايضا
خرج مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم هذا
اذا كان معجبا بنفسه مزريا بغيره اشدهم هلاكا اذا اصدر ذلك
القول عن عجب وكان ابرهيم يكره انه يقول اعوذ بالله وبك
ويقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وقال
محمد رحمه الله في الجامع الصغير يكره ان يقول الرجل في دعائه بحق
نبيك وعلل صاحب الهداية بقوله لانه لا حق للمخلوق على الخالق
وقال في المحيط السرخسي ايضا ويكره ان يقال بحق انبيائك ورسلك
لانه لا حق للمخلوق على الخالق فاقتضى التعليل في غير النبي عدم القول
بطريق الاولوية وفي التاتارخانية نقلا عن الجامع الصغير يكره ان يقول
في دعائه بحق نبيك ولكن يقول بدعوة نبيك وجاء في الاثار ما
دل على الجواز وفي المنتقى عن ابي يوسف عن ابي حنيفة رحمهما الله
لا ينبغي لاحد ان يدعو الله الا به ويكره ان يقول ادعوك بمعقد العز
من عرشك قال ثمه والدعاء الماذون فيه والماثور به من قوله تعالى
ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال ايضا عن ابي حنيفة رحمه الله
انه قال يكره للرجل ان يقول في دعائه اللهم اني اسالك بمعقد العز من
عرشك يروي هذا اللفظ بروايتين بمعقد الذي من عرشك وبمقعد العز
من القعود فبالرواية الثانية لا شك في الكراهية لانه وصف الله
تعالى بما لا يليق به وهو القعود والتمكن على العرش وهو قول
المجسمة واما باللفظ الاول فلانه يوهم تعلق عزه بالعرش وان عزه

قال صاحب القاموس ولبس النهي حقيقة
النهي عن تسمية كرما ولكنه رمز الى ان هذا النوع
من غير الاناسي المسمى بالاسم المشتق من الكرم انتم
احقاء بان لا تؤهلوه لهذه التسمية غيره للمسلم
التقي ان يشارك فيما سماه الله وخصه بان جعله
صفته فضلا ان تسموا بالكريم من ليس بمسلم فكانه
قال ان تائي الكرمان لا تسموه مثلا باسم الكريم
ولكن بالجفنة او الحبلة فافعلوا وقوله فانما الكرم
اي فانما المستحق للاسم المشتق من الكرم المسلم انتهى
منه

حادث اذا تعلق بالحادث والله تعالى متعال عن صفة الحدوث
وعن ابي يوسف انه قال لا يكره قال الفقيه ابو الليث وبه ناخذ انتهى
وكذا في الهداية قال وعن ابي يوسف انه لا باس به وبه اخذ الفقيه
ابو الليث رحمه الله لانه ماثور عن النبي صلى الله عليه وسلم روى انه كان
يقول في دعائه اللهم اني اسئلك بمعقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة
من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامة ولكن
نقول هذا خبر واحد انتهى وفي السراجية يكره ان يدعو الرجل اباه
والمراة زوجها باسمه وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي وامتي كلكم
عبيد الله وكل نساءكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي
وفتاتي ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي ولكن سيدي وسيدتي فكلكم عبيد
والرب واحد عز وجل وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسم عاصية ابنة عمر رضي الله عنه الى جميلة وحزن الى سهل
وعزيز الى عبد العزيز وعتلة الى عتيبة وشيطان وحكم وغراب
الى عبد الله وشهاب الى هشام وحرب الى سلم وبرة الى زينب
فقال صلى الله عليه وسلم لا تزكوا انفسكم وكان يكره ان يقال
خرج من عنده برة وسمى المضطجع المنبعث وارضا تسمى عفرة خضرة
وشعب الضلالة شعب الهدى وبني الزنية بني الرشدة وبني
مغوية بني رشد ومنع عن التكنية بابي الحكم وقال اقبح الاسماء حرب
ومرة وان اخنع اسم عند الله الملك الاملاك وقال لا تسمين
غلامك يسارا ولا رباحا ولا نجيحا ولا افلح ولا بركة ولا نافعا
فانك تقول اثمه هو فيقال لا والرابع والعشرون النفاق القولي
وهو مخالفة القول الباطن في الثناء واظهار المحبة وقد سبق بيانه والحاكم

والخامس والعشرون كلام ذي اللسانين الذي يتكلم بين
المتعادين بين كل واحد بكلام يوافقه او ينقل كلام كل واحد الى الاخر
او كان يحسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة او يثني عليه او
يعد كل واحد منهما انه ينصره وهذا بعض النفاق ويزيد عليه وقد سبق
البيان والسادس والعشرون الشفاعة السيئة قال الله
تعالى ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها والسابع والعشرون
الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وهو صفة المنافقين قال الله
تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر
وينهون عن المعروف والثامن والعشرون غلظة الكلام والعنف
على المؤمنين والحال ان المستحب معهم طيب الكلام والتبسم
وطلاقة الوجه بخلاف الكفرة والمبتدعة والظلمة قال تعالى
واغلظ عليهم وليجدوا فيكم غلظة ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله
والتاسع والعشرون السؤال والتفتيش عن عورات الناس والتكشف
الجهل الكلام عند العالم والتلميذ عند الاستاذ او عند اعلم
او افضل منه والحادي والثلثون التكلم عند الاذان والاجابة
بغير الاجابة قالوا يقطع كل عمل باليد والرجل واللسان حتى التلاوة
انه كان في غير المسجد ولا يسلم ولا يرده فقد اختلفوا فيه وتشتغل
بالاجابة واختلفوا في الاستحباب والوجوب فقال بالاول
صاحب الهداية وغيره وقال جماعة من الفقهاء بالثاني كصاحب التحفة
والبدايع والثاني والثلثون الكلام في الصلوة سوى القراءة
والاذكار المأثورة وفي التاتارخانية واذا سلم رجل على الذي
يصلي ويقرا القرآن روى عن ابي حنيفة رحمه الله انه يرد السلام
بقلبه وعن محمد انه يمضي على القراءة ولا يشتغل قلبه كما لا يشغل لسانه

وضده كما عرفت فرض على الكفاية عند القدرة بلا ضرر ديني ودنيوي

وفي فتاوى آهو وعند ابي يوسف رحمه الله يجيبه بعد الفراغ والثالث
والثلثون الكلام في حال الخطبة ولو تسبيحا او تصلية او امرا بالمعروف
او نحوها اخرج البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام
يخطب فقد لغوت والرابع والثلثون كلام الدنيا بعد طلوع الفجر
الى الصلوة وقيل الى طلوع الشمس لانه مكروه والخامس والثلثون
الكلام عند قضاء الحاجة في الخانية رجل سلم على من كان في الخلاء
يتغوط او يبول لا ينبغي ان يسلم عليه في هذه الحالة فان سلم عليه
قال ابو حنيفة رحمه الله يرد عليه السلام بقلبه لا بلسانه وقال ابو يوسف
لا يرد اصلا ولا بعد الفراغ وقال محمد يرد بعد الفراغ من الحاجة والسادس
والثلثون الكلام عند الجماع فانه مكروه وكذلك الضحك يكره في هذه
المواضع والسابع والثلثون الدعاء على مسلم خصوصا بالموت
على الكفر فانه كفر عند بعض مطلقا والثامن والثلثون الدعاء للكافر
والظالم بالبقاء وحصول المراد بلا شرط الايمان والعدل والصلاح
فانه لا يجوز لانه رضاء بالمعصية والتاسع والثلثون الكلام عند قراءة
القرآن قال تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له والاربعون كلام الدنيا
في المساجد بلا عذر فانه مكروه لغير المعتكف والحادي والاربعون وضع اللقب
بسوء لمسلم وذكره به من غير ضرورة التعريف قال تعالى ولا تنابزوا
بالالقاب واما اللقب الحسن فجائز والثاني والاربعون اليمين الغموس
وهو الحلف على الكذب عمدا والثالث والاربعون اليمين بغير الله
تعالى وهذا على قسمين الاول ما كان بطريق التعليق على امر فان كان
الامر المعلق غير الكفر كالطلاق والعتاق والنذر فعند بعضهم يكره
مطلقا لما فيه التزام ما لا يلزمه الشرع وعند بعضهم يكره في الماضي دون

كراهة تنزيه فان هذا الوقت شريف
لا يليق فيه الاشتغال بما يتعلق بخوض
الدنيا الدنية بل اللائق الاشتغال
بما يرضي الرب تعالى وتقدس
منه

سواء استحسنه اولا واما الدعاء عليه بغير الكفر
فانه لم يكن ظالما فلا يجوز وان كان فبقدر ظلمه
يجوز والاولى تركه
منه

بل يدعو له على التوبة والصلاح ودفع الظلم
منه

فاستماع القرآن والانصات عند القراءة
وان كان واجبا في الصلوة بهذه الآية
الا ان العبرة لعموم اللفظ واطلاقه
لا لخصوص السبب وتقييده
منه

دون المستقبل وعند عامتهم لا يكره لعدم النهي عنه وان كان
الامر المعلق كفرا كالحرام ثم ان كان صادقا لا يكفر وان كان كاذبا
فهذا من اكبر الكبائر حتى ذهب بعضهم الى انه كفر مطلقا والرابع والاربعون
كثرة الحلف ولو على الصدق قال تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
ولا تطع كل حلاف مهين والخامس والاربعون سؤال الامارة
والقضاء فانه لا يحل كسؤال المال والسادس والاربعون
سؤال تولية او وقف قالوا لا يولى من طلب الولاية على الاوقاف
كمن طلب القضاء لا يقلد والسابع والاربعون طلب الوصاية قال
قاضيخان لا ينبغي للرجل ان يقبل الوصاية لانها امر على خطر لما روي
عن ابي يوسف انه قال في الدخول في الوصية اول مرة غلط والثانية
خيانة وعن غيره والثالثة سرقة وعن بعض العلماء لو كان الوصي عمر بن
الخطاب لا ينجو عن الضمان وعن ابي مطيع لا يدخل في الوصية الا
احمق او لص انتهى فلذا قيل القضاء الواوات والثامن والاربعون دعاء
الانسان على نفسه وقد مضى فيما سبق والتاسع والاربعون رد
عذر اخيه وعدم قبوله والخمسون تفسير القرآن برايه روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من قال في كتاب الله تعالى برايه فاصاب
فقد اخطا قال الفقيه ابو الليث النهي انما ورد في المتشابه منه لا
الى جميعه كما قال الله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه
منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله
والراسخون في العلم يقولون آمنا به الآية لان القرآن انما نزل
حجة على الخلق فلو لم يجز التفسير لا يكون حجة بالغة فاذا كان كذلك
جاز لمن يعرف لغات العرب وعرف شان النزول ان يفسره
واما من كان من المتكلفين ولم يعرف وجوه اللغة لا يجوز له التفسيره

الا مقدار ما سمع فيكون ذلك على وجه الحكاية لا على سبيل
التفسير انتهى و الحادي و الخمسون السؤال عن حل شي وحرمته
وطهارته ونجاسته صاحبه ومالكه تورعا بلا ريبة وامارة
ظاهرة على الحرمة والنجاسة اذ الصحابة والتابعون اعتمدوا
على الظاهر فان اليد دليل الملك والاصل في الاشيا الحل
والطهارة واليقين لا يزول بالشك و الثاني والخمسون
اخافة المؤمن من غير ذنب واكراهه على ما يريده و الثالث
والخمسون قطع كلام الغير بكلامه من غير ضرورة و الرابع والخمسون
رد التابع كلام متبوعه ومقابلته ومخالفته كرد الرعية كلام
الامير وكلام القاضي والولد كلام والديه والمملوك كلام سيده
والتلميذ كلام استاده والمراة كلام زوجها والجاهل كلام
العالم قال في الخلاصة رجلان وقعت بينهما خصومة واخذ
احدهما خطوط المفتين فقال الآخر ليس كما كتبوا ولا يعمل بهذا يجب
عليه التعزير و الخامس والخمسون التكلم مع الشابة الاجنبية فانه
لا يجوز بلا حاجة حتى لا يشمت ولا يسلم عليها ولا يرد سلامها
جهرا بل في نفسه وكذا العكس لقوله صلى الله عليه وسلم والتكلم
زناه الكلام و السادس والخمسون تناجي اثنين عند ثالث
ولو ساكتا روي عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا كنتم ثلثة فلا يتناجى اثنان دون
الآخر حتى تختلطوا بالناس من اجل ان ذلك يحزنه ولا تباشر المراة
المراة فتصفها لزوجها كانه ينظر اليها و السابع والخمسون السلام
على الذمي بلا حاجة عنده فانه مكروه ومعها لا باس به وعن
اصحابنا انه لا يسلم على الفاسق المعلن ولا على الذي يتغنى والذي

بالغناء المحرم

والمراد بهذه المباشرة نظر المراة
بشرة امراة اخرى بالدقة مسعود

والذي يطير الحمام كذا في التاتارخانية نقلا عن العتابية ويرد
سلام الذمي بقوله وعليكم ولا يزيد عليه و الثامن والخمسون السلام
على من في الخلا وقد تقدم و التاسع والخمسون دلالة طريق المعصية
لمن يريدها فانها لا تجوز لكونها اعانة على المعصية وفي الخلاصة
ذمي يسال مسلما عن طريق البيعة لا ينبغي له ان يدله انتهى فالدلالة
للشرطي والظلمة اذا ذهبوا للظلم والفسق وتعليم الحيلة للمبطل
في دعواه وتعليم الاقوال الضعيفة منها و الستون الاذن
والاجازة ومنه الاطاعة فيما هو معصية فان الرضا بالمعصية
معصية كاذن الزوج لامراته ان تخرج من بيته الى غير مواضع مخصوصة
وقد مضى البيان فيما سبق وجملة ما ذكر الى هنا آفات اللسان
و انه السكوت عن كل كلام وجب او سن آفة اللسان حرام او
مكروه وصاحبه شيطان اخرس اللهم اعنا على ذكرك والقيام
على طاعتك في بيان آفات الاذن واعلم وفقك الله وايانا ان
استماع كل ما لا يجوز تكلمه بلا ضرورة دينية كاقامة واجب
او سنة او دنيوية كخوف الهلاك واخذ الحق وكسب المعاش
من آفات الاذن حرام او مكروه وتكلموا في معنى المكروه والمروي
عن محمد رحمه الله نصا ان كل مكروه حرام الا انه لما لم يجد فيه
نصا قاطعا لم يطلق عليه لفظ الحرام وعن ابي حنيفة وابي يوسف
رحمهما الله الى الحرام اقرب كذا في الهداية ومن الآفات استماع
الملاهي بلا اضطرار ديني او دنيوي كالغزو والحج والتجارة اذا
لم يمكن الا مع استماع الملاهي فلا يضر قال قاضيخان عن النبي
صلى الله عليه وسلم استماع الملاهي معصية والجلوس عليها
فسق والتلذذ بها من الكفر انما قال ذلك على وجه التشديد

اي لرؤسا الظلمة
سيد الحسن بن عبد ...

الاذن الثانية
مسند

وان سمع بغتة فلا اثم عليه ويجب عليه ان يجتهد كل اجتهاد حتى
لا يسمع لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل اصبعيه
في اذنيه انتهى ومنها استماع الغنى بالاختيار وقد مضى من آفات
اللسان ايضا وقال حجة الاسلام في نقل المذاهب فيه حكى
القاضي ابو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وابي حنيفة
وسفيان رضي الله عنهم وجماعة من العلماء الفاظا يستدل بها
على انهم راوا التحريم قال قال الشافعي في كتاب ادب القضاء
ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه
ترد شهادته وقال القاضي ابو الطيب استماعه من المراة
التي ليست بمحرم لا يجوز عند اصحاب الشافعي بحال سواء كانت
مكشوفة او من وراء حجاب وسواء كانت حرة او مملوكة
وقال قال الشافعي رحمه الله صاحب الجارية اذا جمع الناس
لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال حكي عن الشافعي انه
كان يكره الطقطقة بالقضيب وقال وضعته الزنادقة
ليشتغلوا به عن القرآن وقال الشافعي ويكره من جهة الخبر اللعب
بالنرد اكثر مما يكره من اللعب بشيء من الملاهي ولا احب اللعب
بالشطرنج واكره كل ما لعب به الناس لان اللعب ليس من
صنعة اهل الدين ولا المروءة واما مالك فقد نهى عن الغناء
وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها
وهو مذهب سائر اهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده واما
ابو حنيفة رحمه الله فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء
من الذنوب وكذلك سائر اهل الكوفة كالثوري وحماد
والنخعي والشعبي وغيرهم فهذا كله نقله القاضي ابو الطيب الطبري

الطبري انتهى وقد سبق ذكر التغني في القرآن والالحان في تعظيم
القرآن وتلاوته حق تلاوته نقلا عن التاتارخانية فمن استمع القرآن
ممن يقرأ بلحن وخطأ بلا تجويد فعليه النهي ان ظن تاثير نهيه وعليه في الآبية
القيام والذهاب ان قدر بلا ضرر فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم
الظالمين ومنها استماع امراة اجنبية من غير حاجة خرج البخاري
ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا كتب على ابن آدم نصيبه
من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان
زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش
والرجل زناها الخطى والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك
الفرج ويكذبه ومنها استماع حديث قوم يكرهونه الا ان يكون
في قصد اضراره فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال من تحلم بحلم لم يره كلف ان يعقد بين شعيرتين
ولن يفعل ومن استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب
في اذنيه الآنك يوم القيمة ومن صور صورة عذب وكلف
ان ينفخ فيه الروح وليس بنافخ واعلم انه ما ذكر من آفات الاذن
من حيث الاستماع واما آفاته من حيث انه اعرض عنه اما بعدم الاستماع
راسا واما بعدم التفاته وقبوله فكعدم استماع القرآن والخطبة وخطاب
المتبوع كالامير والقاضي والاستاذ والوالدين والمحتسب المنصوب
والزوج والسيد وكعدم استماع القاضي كلام الخصمين او احدهما والمفتي
كلام المستفتي واولي الامر شكوى المظلوم والمسئول عنه كلام السائل
المضطر والاغنياء والكبراء كلام الفقراء والضعفاء استكبارا
واستحقارا ونحو ذلك مما يجب او يسن استماعه اللهم اجعلنا من
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه **في بيان آفات العين** اعلم

ان حفظ العين عن النظر مهم وهو عسير من حيث انه قد يستهان به و
لا يعظم الخوف فيه والآفات كلها تنشا منه فان النظر مبدأ
الزنا والنظرة الاولى اذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والثانية يؤاخذ
بها روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لك الاولى و
عليك الثانية اي النظرة وقال العلا بن زياد لا تتبع بصرك
رداء المراة فانه النظر يجعل في القلب شهوة وقل ما يخلو الانسان
في ترددانه عن وقوع البصر على النساء والصبيان ومهما تخايل
اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعند ذلك ينبغي ان يقرر
على نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل لانه ان حقق النظر واستحسن
ثارت الشهوة وعجزت عن الوصول ولا يحصل له الا التحسر
وان استقبح لم يستلذ به واثم لانه قصد التلذذ فقد فعل ما اليه
فلا يخلو في كلتى حالتيه عن معصية وعن اثم وتحسر ومهما حفظ العين
بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات وانه اخطى نظره وحفظ
الفرج مع التمكن فذلك يستدعي عليه القوة ونهاية التوفيق والحكمة
ان غض البصر مامور به قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم
ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل
للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين
زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين
زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او اباء بعولتهن او اخوانهن
او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن
او التابعين غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا
على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن
وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وعن عبد الله بن مسعود

مسعود رضي الله عنه مرفوعا قال الله تعالى النظرة سهم مسموم من سهام
ابليس من تركها من مخافتي ابدلته ايمانا يجد حلاوته في قلبه وعن ابي
امامة رضي الله عنه مرفوعا ما من مسلم ينظر الى محاسن امراة ثم يغض
بصره الا احدث الله تعالى له عبادة يجد حلاوتها في قلبه وعن
ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا كل عين باكية يوم القيمة الا عينا
غضت عن محارم الله وعينا سهرت في سبيل الله تعالى وعينا خرج
منها مثل راس الذباب من خشية الله تعالى ثم ان اعظم الآفات
النظر الى عورة انسان قصدا فالمنظور اليه ان كان نفسه او صغيرا
او صغيرة حيث لا يتكلم ذلك الصغير او الصغيرة المنظور
اليها او منكوحته بنكاح صحيح او امته التي لم تحرم عليه بمصاهرة بان تكون
موطوءة ابيه او ابنه او امته الموطوءة اختها ولم يحرمها على نفسه بنكاح
او بيع لغيره او ام امته الموطوءة او رضاع او نكاح او حرمة غليظة
بان طلقها طلقتين ثم ملكها فلا يحل له وطؤها حتى تنكح زوجا غيره
او يكونها مشتركة غير كتابية او مشركة تجوز النظر من الزوجين الى
كل عضو منهما الا انه قال بعضهم الادب انه لا ينظر الى الفرج
وان كان المنظور اليه غير هؤلاء فان كان النظر بعذر شرعي فيجوز
سواء كانت تحت السرة او غيره وان لم يكن بعذر فان كان
بشهوة او بشك فيحرم سواء كان المنظور اليه امراة او غيرها
والناظر شابا او شيخا والمنظور اليه عورة او غير عورة وان
لم يكن بشهوة ولا شك فان كان المنظور اليه ذكرا يحرم النظر
اليه تحت السرة الى تحت الركبة والسرة ليست من العورة عندنا وان
لم يكن المنظور اليه ذكرا بل انثى فان كان الناظر كالمنظور اليه انثى فنظر
الرجال بعضهم الى بعض وان لم يكن الناظر مثل المنظور اليه انثى بل ذكرا

فانه كانت المنظورة اليها حرة اجنبية غير محرم للناظر حرم اليها النظر
سوى وجهها وكفيها والنظر الى وجهها وكفيها من غير حاجة مكروه
واما عند الحاجة فكالنظر الى الذكر بل مع زيادة الظهر والبطن اذا
دخل العذر في الحاجة والعذر تسعة الاول تحمل الشهادة كما في
الزنا الثاني في اداء الشهادة في حق المراة الثالث حكم القاضي الرابع
الولادة للقابلة الخامس البكارة في العنة والرد بالعيب السادس
الختان سنة في الذكر والخفض مستحب في البكر السابع المداواة كالاحتقان
للامراض لا للجماع الثامن ارادة النكاح التاسع ارادة الشراء ففي هذه
الاعذار يجوز النظر ولو حصل الشهوة بغير قصد وفي حكم النظر الى البدن
النظر فوق ثيابها ان حصل الشهوة به ومن الآفات النظر الى بيت
الغير من شق الباب او من ثقب او كشف ستر فانه منهي عنه خرج
البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا من اطلع في بيت قوم
بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقئوا عينه وعن ابي ذر رضي الله عنه مرفوعا
ايما رجل كشف سترا فادخل بصره قبل ان يؤذن فقد اتى حدا
لا يحل له ان ياتيه ولو ان رجلا فقا عينه لهدرت ولو ان رجلا
مر على باب لا ستر له فراى عورة اهله فلا خطيئة عليه انما الخطيئة
على اهل المنزل وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه مرفوعا لا تاتوا
البيوت من ابوابها ولكن ائتوها من جوانبها فاستاذنوا فان
اذن لكم فادخلوا والا فارجعوا اعلم ان السبب الداعي يقام
مقام المدعو مثل اقامة المس والنكاح مقام الوطي في ثبوت
حرمة المصاهرة فان المس والنكاح سبب داع الى الوطي
فما كان سببا للذنب فهو ذنب وقد يقام الدليل مقام
المدلول الا ان الفرق بينهما ان السبب لا يخلو عن تاثير وافضاء

او افضاء والدليل يخلو عن ذلك ومن الآفات مشاهدة
المعاصي والمنكرات بالوقوف عليها والنظر اليها بغير ضرورة
ومن الآفات اتباع البصر الى انقضاض كوكب فانه منهي عنه
والنظر الى من فوقه في امر الدنيا على وجه الرغبة والى من دونه في امر
الدين ايضا منهي عنه وكذا النظر الى الفقراء والضعفاء بطريق
الاستخفاف والاحتقار فانه تكبر حرام ومن الآفات ايضا عدم
النظر في كل موضع يجب النظر فيه وانما يجب اذا توقف عليه واجب
كحضور الجمعة والجماعات اذا لم يمكن بدون النظر وكحكم القاضي
والشهادة ونحوهما **في بيان آفات الفرج** اعلم اولا ان شهوة
الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين احديهما ان يدرك
لذته فيقيس عليها لذات الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت
لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان النار والمها اعظم الام
الاجساد والترغيب والترهيب يسوق الخلق الى سعادتهم
وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة مدركة فان ما لم يدرك
بالذوق لا يعظم اليه الشوق الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام
الوجود فهذان فائدتها ولكن فيها من الآفة ما يهلك الدين
والدنيا ان لم يضبط ولم يقهر ولم يرد الى حد الاعتدال وعن ابن
عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قال هو قيام
الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر
الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وسلم يقول اعوذ بك
من شر سمعي وبصري وقلبي ومني وقال صلى الله عليه وسلم النساء
حبائل الشيطان فلولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة

لانه سبب لكفران نعم الله تعالى منه

لانه سبب لتحقير عبادة الله تعالى منه

على الرجال كذا في الاحياء وبالجملة الحذر عن غضب الله تعالى وسخطه
لازم للانسان فان الذنوب من حيث انها عصيان رب الارباب
لا يبعد ان تكون مستجلبة للغضب كالسم يقتضي الهلاك وانه
يدفع غائلته بالترياق فانه سبق رحمته سبحانه غضبه يقتضي
التجاوز عنها وهو الغفور الرحيم فاما آفات الفرج وهي الزنا
واللواطة ووطي الحائض فانها حرام ويكفر مستحلها قال في مختارات
النوازل ووطي الحائض حرام يكفر مستحله ويفسق مباشره انتهى
وحرم اللواطة بزوجته وامته وعبده ايضا ولا يمنع ملك
النكاح واليمين حرمة اللواطة اذ الحرمة لا تسقط بالشبهة لكن
الشبهة وان كانت ضعيفة تمنع اكفار المستحل وفي مختارات
النوازل ويجتنب عن الاستمتاع ما تحت الازار حالة الحيض
عند ابي حنيفة رحمه الله خلافا لمحمد ويجوز ان يستمتع ما فوق
الازار وظاهر قوله تعالى فاعتزلوا النساء في المحيض اي الفرج
وما قرب منه فهو في حكمه فيجتنب منه ولا يعتزل عن فراشها
لانه تشبه باليهود وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يضاجع
بعض نسائه وهن حيض وكذلك الامة البالغة اذا حاضت
لا يتعرض مولاها تحت الازار وتفسير الازار هو الازار المعروف
اي لا يستمتع بها ما تحت السرة وقيل المراد من الازار الاستتار
يعني اذا استترت يحل له الاستمتاع بما فوقه وعلى هذا يجتنب
عن الفرج لا غير ولو انقطع حيضها ما دون العشرة لم يحل له
وطئها حتى تغتسل ولو انقطع على العشرة يحل وطئها قبل الغسل
ولو انقطع ما دون عادتها وفوق الثلث لم يحل له وطئها
وان اغتسلت حتى يمضي عادتها فاذا مضت عادتها قبل

قبل يعاد الغسل انتهى وفي صحيح البخاري كانت اليهود تقول اذا
جامعها من ورائها جاء الولد احول فنزلت نساؤكم حرث
لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وعن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا
من اتى حائضا او امراة في دبرها او كاهنا فصدقه كفر بما انزل
على محمد وعنه رضي الله عنه مرفوعا ملعون من اتى امراته في دبرها
وعن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا من وجدتموه يعمل
عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به ومن اتى بهيمة فاقتلوه
فاقتلوها معه فعندنا يعزر من اتى بهيمة والبهيمة تذبح ويجوز بيع
لحمها والاكل والانتفاع حية ويضمن لصاحبها قيمتها ويجوز
انه يجامع قبل الاستبراء من يجب عليه استبراؤها او يفعل
دواعيه فانها حرام ايضا قبله وكذا انه ياتي زوجته الصغيرة
التي لا تحتمل الجماع او المريضة المتضررة بالجماع وكذا امته الصغيرة
او المريضة وكذا الجماع عند احد يعرفه وكره انه يستقبل القبلة
عند قضاء الحاجة او الشمس او القمر اذا لم يكونا محجوبين وكذا
استدبار القبلة والاستنجاء بما له قيمة من الملبوس والماكول
للانسان او للدابة او نحوه او نجاسة كالروث والتخلي
في الطريق او في ظل الناس او في مواردهم خرج مسلم عن ابي
هريرة رضي الله عنه مرفوعا اتقوا اللاعنين قالوا وما اللاعنان
يا رسول الله قال الذي يتخلى في طريق الناس او في ظلهم والبول
قائما بلا عذر والبول في الماء الراكد والجاري وجحر النمل وفي المغتسل
وحبسه في الاناء وقد ورد النهي عن ان يبال في الماء الراكد والجاري
وانه لا ينقع بول في طست في بيت وروي ان النبي صلى الله
عليه وسلم نهى ان يبول الرجل في مستحمه وقال ان عامة

الوسواس منه ولا يجوز انه لا يجامع زوجته اصلا مع القدرة او يجب
البيتوتة والمجامعة معها احيانا وانه يبول عند الجماع بخلاف امته
فانه لا يجب مجامعتها اصلا وانه يترك الختانة بلا عذر كالمرض
وكبر السن **في بيان آفات البطن** اعلم اولا انه اعظم المضرات
للانسان شهوة البطن فبها اخرج آدم وحواء من دار القرار الى دار
الذل والافتقار فالبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت
الادواء والآفات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى
المنكوحات ثم يتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه
الذين هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار
المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات
ثم يتولد منهما آفة الدنيا وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى
ذلك الى الحسد والحقد والعداوة والبغضاء ثم يفضي بصاحبه الى اقتحام
البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد
منها من بطر الشبع والامتلاء فلو اكل ما اكل من الطيبات لم يرفق مطيته حتى
لا يقصر في طرق الطاعات والصالحات فذلل نفسه بالجوع والصبر
عن المشتهيات المحرمات حتى ضيق به مجاري الشيطان لاذعنت
لطاعة الله تعالى ولم تسلك سبيل البطر والطغيان وبالجملة انه في
تقليل الاكل والاجتناب عن كثرته ومداومة الشبع صحة الجسم
وجودة الحفظ والذكا وصفاء القلب وخفة المؤنة وامكان
القناعة والله الموفق فاما آفة البطن وهي بمنزلة الآفات فهي اكل
الحرام لعينه كالخمر والدم ولحم الخنزير ونحوها او لغيره كالمسروق
والمغصوب وما يقرب منه وهو ما يكون مكروها تحريما وما
يملكه خبيثا بالعقد الفاسد ونحوه مما يجب فسخه او تصدقه والاكل فوق

فوق الشبع بلا قصد صوم غد او اكرام ضيف واكل ما يضر البدن
كالتراب والطين والجص ونحوها وشربه واما اكل ما فيه نجس كلحم الحية
للتداوي اذا انحصر فيه فقد اختلفوا فيه وجوز بعضهم بلا انحصار ايضا
اذا عرف فيه الشفاء ولو باخبار الطبيب الحاذق فان الضرورات
تبيح المحظورات ويكره الاكل في السوق بمرائى الناس وفي الطريق
وعند المقابر واكل طعام الميت والاكل من اواني الذهب والفضة
والشرب منهما للرجال والنساء وكذا الاكل بملعقة الذهب
والفضة وكذا الاكتحال بميل الذهب والفضة وكذا احراق
العود في مجمر الذهب والفضة واما المذهب والمفضض فجائز
استعماله عند الامام ابي حنيفة رحمه الله اذا لم يضع فمه على الذهب
والفضة قال في التاتارخانية وكان ابو حنيفة رضي الله عنه لا يرى
بالاناء المفضض باسا اذا وضع فاه على العود او على الكوز وقال
ايضا في الجامع الصغير عن ابي حنيفة رحمه الله انه كان يكره الاكل
والشرب في انية الفضة والذهب والادهان فيها قالوا
وهذا اذا كان يصب الدهن من الانية على راسه او بدنه اما اذا
ادخل يده في الاناء واخرج منها الدهن ثم استعمله فلا باس وكذلك
اذا اخذ الطعام من القصعة ووضعه على خبز او ما اشبه ذلك ثم
اكل لا باس به قال ويستوي فيه الرجل والمرأة يعني في الاكل والشرب
من الذهب والفضة انتهى وفي الهداية ولا يجوز الاكل والشرب
والادهان والطيب انتهى وكره ان يؤكل على خوان الذهب
والفضة وان يؤكل طعام حصل فيه العلم او الظن الغالب على انه
اتخذ للريا والسمعة والمستحب ان يؤكل على السفرة والخوان وكره
ايضا ان يؤكل من وسط الطعام ومما يلي غيره اذا كان لونا واحدا

مثل شرب العسل لمن غلب عليه الصفراء
منه

وكره ان يؤكل طعام صنع عند لعب
اللهو وسائر المنكرات منه

ويكره ترك التسمية وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اكل احدكم طعاما فليقل بسم الله فان نسي في الاول فليقل في الآخر بسم الله في اوله وآخره والاكل بشماله والشرب بها قال بعضهم بل الاخذ بها والاعطاء بها ويكره قطع اللحم ونحوه بالسكين عند عدم الحاجة وروى عن صفوان ابن امية رضي الله عنه انه قال كنت اكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فآخذ اللحم بيدي من العظم فقال ادن اللحم من فيك فانه اهنأ وامرأ ويكره مسح السكين واليد بالخبز وبعضهم جوز انه اكل بعده واذا اكل اكثر من حاجته ليتقيأ قال الحسن البصري روح الله روحه لا بأس قال رايت انس بن مالك رضي الله عنه ياكل الوانا من الطعام ويكثر ثم يتقيأ وينفعه ذلك ولا ياكل طعاما حارا ولا يشم ويكره رمي ما في الفم والانف من الطعام والبزاق والمخاط نحو القبلة وروى انه النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يشرب من ثلمة القدح وان ينفخ في الشراب ويكره اعطاء الشارب بعد الشرب الى من في يساره بلا اذن من في اليمين ويكره الشرب بنفس واحد والتنفس في الاناء بل باسم الله في اوله والحمد لله في آخره لازم لا ارب كما مضى فيما سبق وفي الاحياء وكان معروف الكرخي روح الله روحه يهدى اليه طيبات الطعام فياكل فيقال له ان اخاك بشرا لا ياكل من هذا فيقول اخي بشر قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم يقول انما انا ضيف في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا جوعني صبرت ما لي وللاعتراض والتمييز ودفع ابرهيم بن ادهم الى بعض اخوانه دراهم فقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حواري فقال يا ابا اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال

الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال انتهى فاذا عرفت هذا فاعلم ان ترك الاكل والشرب الى ان يفضي الى ترك الواجبات والسنن حرام ومعصية اللهم اعنا على قيام طاعتك

في بيان آفات اليد اعلم وفقك الله وايانا ان اكثر آفات اليد ما كان حراما كالقتل والجرح لنفسه او غيره بلا حق او مكروها كقتل النملة بدون الاذى والهرة اذا لم تكن موذية والمثلة و ضرب الوجه مطلقا والضرب بغير حق والغصب والغلول والسرقة واخذ الغني او الهاشمي او الاصل او الفرع الزكوة و العشر والنذر والفطر والكفارة واللقطة وما وجب تصدقه من المال الخبيث قد مضى ذكره فيما سبق خصوصا في الباب الاول والثاني والثالث والرابع من المقصد الخامس ونعوذ بالله من الآفات

في بيان آفات الرجل اعلم ان جميع ما يلقى العبد في الدنيا لا يخلو من نوعين احدهما ما يوافق هواه والآخر ما لا يوافقه فلا يخلو عن احدهما او كلاهما في جميع الاحوال فالنوع الثاني وهو ما لا يوافق الهوى والطبع تحمله اما باختياره او غيره والاول وهو ما يوافق الهوى هو صحة الاعضاء وسلامة الجوارح وذلك نعمة عظيمة يحتاج صاحبها الى شكر منشئها ومنعمها قال عز من قائل قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون ولكل نعمة شكر يليق بها فشكر نعمة اليد ان يصدر منه الجميل كانواع الاحسان والصدقة التي لا يتبعها اذى وشكر نعمة الرجل ان يمشي في سبيل الطاعات والحسنات والمجاهدات ويسعى في طرق الاعمال الصالحات والخيرات والمبرات وانه لا يمشي في طرق المحرمات ولا يذهب الى المجالس

المعاصي والملاهي والمنكرات اما لفعلها او للنظر اليها كالسرقة
وشرب الخمر وانواع الملاهي من اللعب واللهو والرقص على طريق
اللعب واللهو وسائر ما بين حرمته وكراهته في كتب الفقه
فاذا عرفت هذا فاعلم انه من كان حاله على ما تقدم من شكر
النعمة فهو على الصراط المستقيم واما من لم يضبط نفسه عن الاسترسال
والركون الى الدنيا والانهماك في ملاذها مباحا او غير
مباح فهو ضل باتباعه هواه بغير هدى من الله ومكب
على وجهه محتاج الى الرجوع والانابة قال الله تعالى ومن اضل
ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وقال تعالى افمن يمشي مكبا
على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم فالمؤمن
المتقي يواظب الشكر على نعم الله تعالى ويعلمه على من لا يعلمه
اذ حاله ان يحب لهم ما يحب لنفسه ويراجع العلماء
فيما لا يعلمه عملا بقوله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
وقد تقدم مراتب العلماء وقال عز شانه نرفع درجات
من نشاء • وفوق كل ذي علم عليم • وقال تعالى وقل رب
زدني علما والله سبحانه وتعالى يهدينا الى الحق والحقيقة
ويسددنا بمنه وجوده بتوفيقه • ربنا هب لنا من لدنك
رحمة • وهيئ لنا من امرنا رشدا • ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ
هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة • انك انت الوهاب
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب
النار • فانك انت واسع الرحمة والجود • ومفيض الجود على كل
موجود • فالحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ولقد
من الله سبحانه وتعالى على عبده حيث فتح ابواب رشده

رشده بجمع هذه الفوائد • ونظم تلك الفوائد • في قلادة شرح النصيحة
المرصع بالكلمات المرغوبة الفصيحة • المسمى برشحة النصيح • من الحديث
الصحيح • ووقع الشروع الى هذا الجمع في يوم الاربعا العاشر
من سابع العشر السادس • وتمام بياضه في يوم السبت الرابع عشر
من رابع العشر السابع من العشر العاشر من سني المائة
الاولى بعد الالف من الهجرة النبوية
على صاحبها افضل التحية الحمد لله
اولا • وثانيا

[illegible]

تم بدانه وقع الشروع في يوم الاربعا وهو اليوم العاشر
من الشهر السابع وهو رجب من السنة السادسة
من العشرة العاشرة من سني المائة الاولى بعد الالف
وتمام بياضه في يوم السبت وهو الرابع عشر من الشهر الرابع
وهو شهر ربيع الثاني من السنة السابعة
من العشرة العاشرة ايضا من سني المائة
الاولى بعد الالف
سنة